(بسم الله الرحمن الرحيم)

جـــامعـة الـقـاهـــرة .
كليـــة الـهـنـدســـة
قسم الهندسة المعمارية

عمارة و عمران المناطق الحرفية فى المدن الاسلامية

نظرة خاصة للقاهرة منذ عهد الفاطميين وحتى نهاية عهد المماليك

بحث مقدم للحصول على درجة الماجستير

من

م. / عـزة محمد كمال السيد

بكالوريوس الهندسة المعمارية - جامعة القاهرة - ١٩٩٢

تحت اشراف

أ.د./ على أحمد رأفت
أستاذ العمارة
بقسم الهندسة المعمارية
كلية الهندسة - جامعة القاهرة

د.م./ على حاتم جبر
مدرس
بقسم الهندسة المعمارية
كلية الهندسة -جامعةالقاهرة

القاهرة ١٩٩٦

(بسم الله الرحمن الرحيم)

جامعة القاهرة
كلية الهندسة
قسم الهندسة المعمارية

عمارة و عمران المناطق الحرفية فى المدن الاسلامية

نظرة خاصة للقاهرة منذ عهد الفاطميين وحتى نهاية عهد المماليك

بحث مقدم للحصول على درجة الماجستير

من

م . / عزة محمد كمال السيد

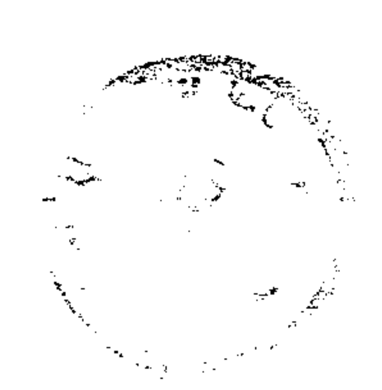
بكالوريوس الهندسة المعمارية – جامعة القاهرة – ١٩٩٢

تحت اشراف

أ.د./ على أحمد رأفت
استاذ العمارة
بقسم الهندسة المعمارية
كلية الهندسة – جامعة القاهرة

د.م./ على حاتم جبر
مدرس
بقسم الهندسة المعمارية
كلية الهندسة –جامعةالقاهرة

القاهرة ١٩٩٦



تعـــريف بالباحـــث:

إسم الباحثة: عـــزة محمـــد كمـــال السيـــد

بكـــالوريوس الهندســـة المعماريـــة (١٩٩٢)

كليـــة الهندســـة - جامعـــة القـــاهـــرة

ب

إهـــداء

إلى أبـــى وأمـــى وكـــل من علمنى

عـزة محـمـد كمـال السـيد ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م

شكـــر وتقديـــر

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين الذى وفقنى للانتهاء من هذا البحث. وأتوجـه بخالص شكرى وتقديرى إلى الأستاذ الجليل الدكتـور/ علـى أحمد رأفت -أستاذ العمـارة بقسـم الهندسـة المعمارية بجامعة القـاهرة- والذى أفخر بإشرافه علـى هذا البحث، وبتوجيهاتـه المستمرة خـلال فترة الإعداد له وحتى الانتهاء منه.

وأود أن أوجه عميق شكرى وعرفانى وتقديرى إلى أستاذى الدكتور/ على حاتم جبر -المـدرس بقسم الهندسة المعمارية بجامعة القاهرة- والذى أتمنى له التوفيق دائما من الله عز وجل نظير ما يقدمـه لى ولغيرى من الطلبة من وقت وجهد وتوجيه دائم ومستمر وحرص شديد علـى إتمام البحث فـى أحسـن صورة، جزاه الله عنى خير الجزاء.

كما أتوجه بالشكر والتقدير للأستاذة الدكتورة/ زكية حسن شافعى -أستاذة العمارة بقسم الهندسة المعمارية بجامعة القاهرة- والتى كانت لى نعم الأم والمعلم، وذلـك لتشـجيعها المستمر لـى علـى العمـل والاستزادة دائما فى مجال البحث العلمى.

وإلى الأستاذ الفاضل الدكتـور/ عمـرو شـريف نعمـان -رئيـس مجلـس قسـم الهندسـة المعماريـة بجامعة القاهرة- أتقدم بالشكر والامتنان لما يقوم به دائما من مجهودات وتشجيع لطـلاب البحـث العلمـى جزاه الله عنا كل خير.

وأخيرا أتوجه بالعرفان والتقدير إلى أمى التى تحرص دائمـا علـى تشـجيعى ومعـاونتى فـى كافـة أمور حياتى وفى هذا البحـث بصفـة خاصـة، أثابهـا اللـه خيـر الثـواب. كمـا أود أن أشـكر أخوتـى وجميـع أصدقائى وزملائى على ما يقومون به من تشجيع ومعاونة لى دائما.

والحمد لله رب العالمين .....

عـزة محمـد كمـال السـيد ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م

ملخص الرسالة

كان للمجتمع الحرفى فى فترة العصور الوسطى الإسلامية فى مصر صبغة معمارية وعمرانية خاصة به ساعدت -بالإضافة إلى عوامل ثقافية واجتماعية وسياسية ودينية- فى أن يلعب هذا المجتمع دور واضح وخطير فى إنعاش التجارة فى مصر فى تلك الفترة.وخاصة فى المرحلة التى تبدأ منذ بداية حكم الفاطميين وحتى نهاية حكم المماليك (أى منذ عام ٣٥٨هـ/٩٦٩م -٩٢٣هـ/١٥١٧م) حيث حدث ازدهار للنشاط الحرفى.

وبمقارنة حال المدن الحرفية التى أنشأتها الحكومة خلال السنوات الماضية بتلك المجتمعات الحرفية التقليدية نجد أن هناك مشكلة تستدعى البحث والدراسة، وذلك بسبب عجز هذه المدن الحرفية الحديثة عن توفير تلك الخدمات التى أنشئت من أجلها، بالإضافة إلى وجود صعوبة بالغة فى الانتقال من وإلى هذه المدن، مما استوجب وقفة لتقييم عوامل نجاح المجتمعات الحرفية التقليدية.

أما بالنسبة لأسباب نجاح تلك المجتمعات الحرفية التقليدية فقد كان من الضرورى لمعرفتها أن ندرس ملامح تشكيلها وسماتها المميزة (سواء سمات عمرانية أو غير عمرانية) وتحليلها للوصول إلى المفردات التصميمية والعمرانية والتى أدت إلى نجاح ذلك المجتمع فى فترة حكم الفاطميين وحتى نهاية حكم المماليك، وذلك بهدف الاستفادة منها فى النهوض بالمجتمعات الحرفية الحالية.

وفى سبيل الوصول إلى سمات المجتمع الحرفى التقليدى فإن ذلك استلزم مرور الدراسة بعدة مراحل تبدأ بصورة شاملة لدراسة العوامل المؤثرة على العمارة والعمران بالمدن الإسلامية ودراسة المناطق المركزية بتلك المدن (كمدينة فاس، وتونس، وتطوان، وطنجة، والجزائر، ودمشق، والقاهرة) والتى وجد أن بينها وحدة فى ملامح تشكيلها (معماريا وعمرانيا)، وذلك نتيجة لوحدة الفكر والاتجاهات والقيم والعادات السائدة فى المجتمعات الإسلامية التقليدية.

ثم نتطرق لدراسة المناطق الحرفية فى المدن الإسلامية بصفة عامة حيث نجد أن الحرفى كان ينتمى لنقابة مهنية (Professional Organization) فى مجال عمله، ولنقابة أهلية (Community Organization) فى حياته العامة ومكان سكنه، وكانت تلك النقابات تخضع لقيود ورقابة شديدة من قبل الدولة التى قامت بتعيين مشرفين لها على الأسواق، فكان المحتسب هو المشرف على تلك الأسواق، كما كانت النقابات الحرفية لها رئيس يسمى (شيخ الطائفة)، يتولى البت فى المشاكل التى تحدث بين أفراد الطائفة وكانت تتدرج المناصب من بعده فى كل نقابة، كما كانت المناطق الحرفية والأسواق تخضع لقوانين صارمة فرضتها الشريعة الإسلامية والتى اعتمدت فى كل مبادئها على مبدأ (لا ضرر ولا ضرار).

وقد كانت الصورة البصرية للمناطق الحرفية فى المدن الإسلامية ذات طابع مميز حيث درسنا المنهج الحديث لتحليل الصورة البصرية للمدن القائمة (وهو منهج Kevin Lynch)، والذى عند تحليله وجد أنه يحتاج إلى بعض التحوير لكى يمكن تطبيقه عند تقييم عناصر المدينة الإسلامية والتى تعد مدينة

تراكمية لم تنشأ عن فكر تخطيطى وفى نفس الوقت لم تنتج عشوائيا وإنما اعتمدت على عوامل ثقافية واجتماعية ودينية بالإضافة إلى العوامل العمرانية، لذا فقد كان من الضرورى استنباط منهج لتحليل عناصر الصورة البصرية للمناطق الحرفية فى المدن الإسلامية والذى اعتمد على دراسة علاقة المنطقة بالقصبة الرئيسية للمدينة، واحتواء كل منطقة على قطاع متجانس ثقافيا واجتماعيا، ووجود حيز خارجى مضاف إلى نهر الطريق، وعلاقة المنطقة الحرفية ببوابات المدينة الرئيسية أو البوابات الداخلية والتى تفصل الأحياء عن بعضها البعض، وكذلك عناصر الجذب العامة (سواء فراغات أو مبانى هامة أو تكتل لنشاط معين).

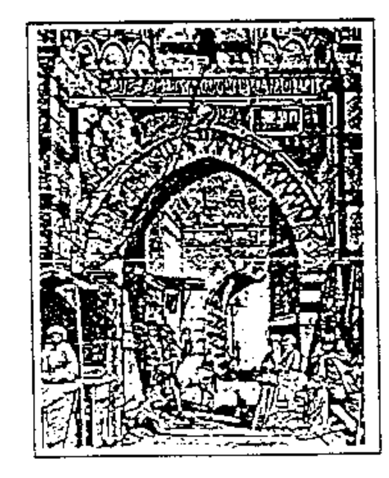
ثم ركزت الدراسة على أنماط الحرف التى تواجدت فى مصر وأسباب ظهور تلك النوعيات من الحرف (كأسواق المآكل والمشارب، والمعادن، والمنسوجات، والزجاج والخشب والخزف، والمصنوعات الجلدية) حيث تعددت نوعيات الحرف وظهر بين بعضها البعض تجاور، أو تداخل، أما الصناعات التى تسبب تلوث وضوضاء كصناعة البارود وأسواق الخيول ومستلزماتها فقد نقلت خارج المدينة أو على أطرافها. وقد كان لدراسة العلاقة بين سكن الصانع ومحل عمله دورا كبيرا دورا فى استنتاج أسباب سكن بعض الحرفيين فى ربوع فوق ورش العمل (كمنطقة خان الخليلى بمصر، أو النماذج المتعددة للوكالات والتى يحتوى الدور الأرضى بها على مخازن ومحلات يعلوها ربوعا سكنية للتجار وعائلاتهم)، بينما نرى أنه فى بعض المناطق الحرفية الأخرى لايوجد سكن للحرفى أعلا أو بجوار ورشته.

وتلت تلك الدراسة للحرف بمصر تحليل تفصيلى (تاريخيا وعمرانيا ومعماريا) لبعض المناطق الحرفية فى مصر الإسلامية وهى مناطق (جنوب باب الفتوح، وخان الخليلى، والخيامية وقصبة رضوان)، وكان كل منها يعد نموذجا مختلفا يحتوى على وحدة تصميمية انتفاعية تمثل فى حد ذاتها وحدة متكررة (Prototype Unit) تتكرر على امتداد المدينة التقليدية الإسلامية.

لذا فإن هذه الدراسة قد طرحت لنا أسباب نجاح المجتمعات الحرفية فى مصر منذ فترة حكم الفاطميين وحتى نهاية حكم المماليك، والتى اعتمدت على كفاءة الجانبين المعمارى والعمرانى للمناطق الحرفية، ومدى المرونة الموجودة فى كل منهما بما يتوافق مع كل نمط حرفى خاص. كما أننا لا ننسى أنه من أهم العوامل التى ساهمت فى هذا النجاح ارتباط المجتمع الحرفى بباقى عناصر وفئات المجتمع بثقافاته وعاداته وقيمه السائدة، وكذلك ارتباطه بالدولة وموظفيها ونظام الحكم السائد.

المحتويات

قائمة الأشكال



ز

المحتـــويـات

٢/ الفصل الثانى : المناطق الحرفية فى المدن الاسلامية منذ عهد الفاطميين وحتى نهاية عهد المماليك:

٣/ الفصل الثالث : المناطق الحرفية فى القاهرة منذ عهد الفاطميين وحتى نهاية عهد المماليك

٤/ الفصل الرابع : الدراسة الميدانية

قائمة الأشكـــال

(شكل ١-١٥) مدرسة السلطان الغورى بالقاهرة، و يظهر فيها استخدام أشرطة الكتابة المزخرفة، وعرايس السماء، و كذلك الاتجاه للسماء عن طريق المآذن العالية (ابراهيم أحمد العدوى، مصر الإسلامية درع العروبة ورباط الإسلام، ١٩٨٩)

(شكل ١-١٦) واجهة مدخل المدرسة الصالحية بالقاهرة ويظهر بها استخدام الزخارف والتى تكون عبارة عن أشرطة من الكتابة والآيات القرآنية، وعمل عقد على مستويات مختلفة باستخدام المقرنصات (ابراهيم أحمد العدوى، مصر الإسلامية درع العروبة ورباط الإسلام، ١٩٨٩)

(شكل ١-١٧) كروكى لأحد شوارع المدن الإسلامية يوضح ضيق الشوارع وانحناءاتها للحماية من أشعة الشمس (عزة حسين رزق، الخصائص البصرية للمدينة الإسلامية فى فترة العصور الوسطى، ١٩٧٧)

(شكل ١-١٨) مسقط أفقى للمدرسة البرقوقية بالقاهرة (نزار الصياد، Streets of Islamic Cairo، ١٩٨١)

(شكل ١-١٩أ، ب) مسقط أفقى لمجموعة الغورى حيث يوضح (أ) موقع عام لمبنى المدرسة والمسجد والسبيل والكتاب والوكالة، ويوضح (ب) مسقط أفقى لمدرسة ومسجد السلطان الغورى (محمد أمين محمد، عمارة المجمعات المعمارية المتكاملة حتى نهاية العصر المملوكى، ١٩٨٧)

(شكل ١-٢٠) أحد أحياء مدينة الجزائر ويتضح فيها النسيج المتضام (عزة حسين رزق، الخصائص البصرية للمدينة الإسلامية فى فترة العصور الوسطى، ١٩٧٧)

(شكل ١-٢١) مسقط أفقى لمدينة صفاقس بتونس يوضح استخدام النسيج المتضام (عزة حسين رزق، الخصائص البصرية للمدينة الإسلامية فى فترة العصور الوسطى، ١٩٧٧)

(شكل ١-٢٢) مدينة تطوان بالمغرب و يظهر بها أن الشوارع بالمدن التقليدية كانت ضيقة و منحنية و كثر خروج المبانى عليها من الجانبين، وبها ساباطات (جميل عبد القادر أكبر، عمارة الأرض فى الإسلام ، ١٩٩٢)

(شكل رقم ١-٢٣) موقع بالمغرب ويظهر به ضيق الشوارع واتصال المبانى من أعلا (جميل عبد القادر أكبر، عمارة الأرض فى الإسلام ، ١٩٩٢)

(شكل ١-٢٤) واجهة طولية لمدينة القاهرة القديمة توضح خط السماء المميز للمدينة الإسلامية (نزار الصياد، Streets of Islamic Cairo، ١٩٨١)

(شكل ١-٢٥) واجهة بإحدى المدن الإسلامية توضح بروز أبراج المشربيات وصغر عرض الطريق كلما زاد الارتفاع، وأثر ذلك فى تظليل واجهات المبانى (عزة حسين رزق، الخصائص البصرية للمدينة الإسلامية فى فترة العصور الوسطى، ١٩٧٧)

(شكل ٢-١) بعض المبانى التى تطل على ساحة (فناء) فى وسط السوق بمراكش بالمغرب (جميل عبد القادر أكبر، عمارة الأرض فى الإسلام ، ١٩٩٢)

(شكل رقم ٢-٢) استخدام الفناء فى مدخل طريق غير نافذ كمحل للبيع رغم أن الطريق لايحتمل ذلك الاستخدام لذلك نرى الفناء ضيقا والشكل بمدينة تونس (جميل عبد القادر أكبر، عمارة الأرض فى الإسلام، ١٩٩٢)

(شكل ٢-٣) صورة لمدينة بشاور الأفغانية توضح حيازة صاحب المحل لجزء من الطريق عن طريق مد مظلة وغرس بعض الأشجار و ذلك للاستفادة من الساحة التى يطل عليها المحل وعمل المظلة أيضا للتقليل من شدة حرارة الجو (جميل عبد القادر أكبر، عمارة الأرض فى الإسلام ، ١٩٩٢)

(شكل ٢-٤) أحد شوارع الجزائر ويتضح فيه استغلال جزء كبير من الطريق في عرض البضائع (جميل عبد القادر أكبر، عمارة الأرض في الإسلام ، ١٩٩٢)

(شكل ٢-٥) صورة بمدينة طنجة بالمغرب توضح استغلال الباعة للرصيف أمامهم في عرض بضائعهم مما يقلل من عرض الرصيف وعدم قدرة الماره على استخدامه في السير واضطرارهم للسير في نهر الطريق (جميل عبد القادر أكبر، عمارة الأرض في الإسلام ، ١٩٩٢)

(شكل ٢-٦) صورة لمدينة أسفي في المغرب توضح بعض الباعه للأواني و قد نصبوا خيما لهم في الطريق ولم تعترض على ذلك الشريعة طالما اتفق الباعه فيما بينهم (جميل عبد القادر أكبر، عمارة الأرض في الإسلام، ١٩٩٢)

(شكل ٢-٧) الشوارع الرئيسية بمصر الاسلامية و هي شارع المعز , شارع الجمالية , شارع الدرب الأحمر (نزار الصياد، Streets of Islamic Cairo، ١٩٨١)

(شكل ٢-٨) صور توضح استخدام مواد مختلفة للتسقيف ففي (أ) أحد شوارع مدينة مكناس بالمغرب ويظهر بها وضع كمرات خشبية بعرض الطريق حتى يتمكن كل جار من وضع عيدان قصب أو قماش لتغطية الطريق، وفي (ب) أحد شوارع مدينة تطوان بالمغرب ويظهر بها قيام الجيران ببناء شبكة خشبية تدعمها كمرات خشبية بعرض الطريق لينمو عليها شجر العنب و بالتالي تمثل مظلة تغطي الطريق وتقلل توغل أشعه الشمس للمنازل، وفي (جـ) أحد شوارع مدينة تونس، وفيها يظهر اكتفاء الجيران بتغطية الطريق بقطعه من القماش، بتثبيتها من الطرفين وحملها على حبال عرضية عبر الطريق بينهم (جميل عبد القادر أكبر، عمارة الأرض في الإسلام، ١٩٩٢)

(شكل ٢-٩) صورة بشارع الخيامية بالقاهرة توضح استخدام سقف خشبي به فتحات صغيرة مربعة للإضاءة، وذلك على امتداد المسار

(شكل ٢-١٠) مسقط أفقي لربع رضوان بالقاهرة و يظهر فيه الوحدة الإنشائية المتكررة، و هي عبارة عن حانوت يتكرر بامتداد الشارع (عزة حسين رزق، الخصائص البصرية للمدينة الإسلامية في فترة العصور الوسطى، ١٩٧٧)

(شكل ٢-١١) أحد الحوانيت في سوق من أسواق القاهرة، ويظهر فيه استخدام الجزء العلوي الذي يغلق المحل ليلا في عرض وتعليق البضائع ، كما يظهر استخدام الجزء السفلي كجلسة ومكان للبيع (أندريه ريمون، The Great Arab Cities ، ١٩٨٤)

(شكل ٢-١٢) مسقط أفقي لمدينة القاهرة يوضح موقع حارة اليهود و حارة النصارى (أندريه ريمون، The Great Arab Cities، ١٩٨٤)

(شكل ٢-١٣) أحد الأسواق بمدينة طنجة بالمغرب، وهو يعد مثالا لتوضيح حق الأختصاص أو تمليك المنفعة (جميل عبد القادر أكبر، عمارة الأرض في الإسلام، ١٩٩٢)

(شكل ٢-١٤أ، ب، جـ، د) كروكي لعناصر الصورة البصرية في المنهج الحديث (كيفن لينش، The Image of the City، ١٩٦٠)

(شكل ٣-١) صور لنماذج من أسواق المآكل والمشارب توضح (أ) الطحان، (ب) الخباز، (جـ) الحلواني أو الفطاطري، (د) الكنفاني (علماء الحملة الفرنسية، وصف مصر، ترجمة زهير الشايب، ١٩٨٠)

(شكل ٣-٢) صور لنماذج من أسواق صناعة المنسوجات توضح (أ) الصباغ، (ب) صانع الأقمشة الصوفية (علماء الحملة الفرنسية، وصف مصر، ترجمة زهير الشايب، ١٩٨٠)

(شكل ٣-٣) صور لنماذج من أسواق صناعة المعادن توضح (أ) النحاس، (ب) الحداد (علماء الحملة الفرنسية، وصف مصر، ترجمة زهير الشايب، ١٩٨٠)
(شكل ٣-٤) صور لنماذج من أسواق صناعة الزجاج والخزف والأخشاب توضح (أ) صانع القوارير الزجاجية، (ب) صانع الأوانى الفخارية، (جـ) قاطع الأخشاب، (د) النجار (علماء الحملة الفرنسية، وصف مصر، ترجمة زهير الشايب، ١٩٨٠)
(شكل ٣-٥) كروكى لوكالة الغورى يوضح (أ) مسقط أفقى للدور الأرضى، (ب) مسقط أفقى للدور الأول، (جـ) مسقط أفقى للدور الثانى، (د) الفناء الداخلى الذى تطل عليه جميع الأنشطة (عبد القادر الريحاوى العمارة فى الحضارة الإسلامية، ١٩٩٠)
(شكل ٣-٦) النموذج الأول (التجميع حول فناء) يوضح (أ) مسقط أفقى، (ب) منظر داخلى لوكالة ذو الفقار (محمد حبشى، الصناعة ودورها فى تشكيل المدينة الأسلامية، ١٩٩٢)
(شكل ٣-٧) النموذج الثانى (التوزيع الخطى) يوضح (أ) مسقط أفقى، (ب) منظر لأحد شوارع مدينة دمشق (قتيبة الشهابى، أسواق دمشق القديمة ومشيداتها التاريخية ، ١٩٩٠)
(شكل ٣-٨) امسقط أفقى يوضح لنموذج الثالث " نموذج المربعات" (محمد حبشى، الصناعة ودورها فى تشكيل المدينة الأسلامية، ١٩٩٢)
(شكل ٣-٩) مسقط أفقى ييوضح النموذج الرابع (نموذج السقائف) (محمد حبشى، الصناعة ودورها فى تشكيل المدينة الأسلامية، ١٩٩٢)
(شكل ٣-١٠) مسقط أفقى لمنطقة الجمالية بالقاهرة يوضح الحارات ذات النهايات المغلقة (آندريه ريمون، The Great Arab Cities، ١٩٨٤)
(شكل ٣-١١) منطقة خان الخليلى بالقاهرة ويظهر بها انتشار الباعة الجائلين والسقايين والزحام الشديد حول الحوانيت وأمام المحلات (آندريه ريمون، The Great Arab Cities ، ١٩٨٤)
(شكل ٣-١٢) مسقط أفقى لمدينة القاهرة يوضح مواقع الوكالات وانتشارها على امتداد قصبة المدينة (آندريه ريمون، The Great Arab Cities ، ١٩٨٤)
(شكل ٣-١٣) حرفى يقوم بالنقش بالحفر على صينية كبيرة الحجم من النحاس الأحمر (اعتماد علام، الحرف والصناعات التقليدية بين الثبات والتغير، ١٩٩١)
(شكل ٣-١٤) طريقة وضع المعروضات الخاصة بمحلات صناعة المشغولات المعدنية
(شكل ٣-١٥أ، ب) طريقة وضع المعروضات الخاصة بمحلات صناعة الخيام حيث نرى فى (أ) المعروضات على الحوائط فى كافة أرجاء المحل، وفى (ب) نجدها على باب المحل من الخارج

(شكل ٤-١) خريطة توضح تصنيف الأسواق التجارية بمدينة القاهرة (سامح وهبه، ثقافة الجماعة والاحتياجات الفراغية والمحيط العمرانى، ١٩٩٥)
(شكل ٤-٢) خريطة لمدينة القاهرة توضح الحدود الإدارية للنطاق الأرحب (Marcel Clerget ,Le Caire, 1934)
(شكل ٤-٣) خريطة لمدينة القاهرة توضح مواقع المبانى الأثرية (دينية، وإدارية، وصحية) بالمحيط الأشمل (Marcel Clerget ,Le Caire, 1934)
(شكل ٤-٤) خريطة لمدينة القاهرة لشبكة لطرق بالمحيط الأشمل (Marcel Clerget ,Le Caire, 1934)
(شكل ٤-٥) خريطة لمدينة القاهرة توضح المناطق التفصيلية الثلاث التى سيتم دراستها

(شكل ٤-٦) صور توضح الوضع الراهن لمناطق الدراسة وهى بالترتيب: (أ، ب) منطقة جنوب باب الفتوح، (جـ، د) منطقة خان الخليلى، (هـ، و) منطقة الخيامية وقصبة رضوان

(شكل ٤-٧) مسقط أفقى لمدينة القاهرة يوضح علاقة منطقة جنوب باب الفتوح بالقصبة الرئيسية للمدينة

(شكل ٤-٨) منطقة جنوب باب الفتوح حيث نرى فى (أ) مسقط أفقى للمنطقة، (ب)، (جـ) توضح انتشار تجارة البصل بالمنطقة

(شكل ٤-٩) صورة للفراغ الواقع جنوب باب الفتوح توضح اشغال الرصيف بالبضائع مما اضطر المشاه إلى السير فى نهر الطريق

(شكل ٤-١٠) صورة بمنطقة باب الفتوح توضح تواجد نوعيات عديدة من المحلات إلا أن السلعة الغالبة هى تجارة البصل

(شكل ٤-١١) صورة توضح التباين الذى حدث فى طابع المنطقة نتيجة لكثرة التعديلات والإضافات الخاصة بمستعملى المنطقة

(شكل ٤-١٢) صورة لمنطقة جنوب باب الفتوح توضح استغلال الرصيف بكامله فى عرض المنتجات والجلوس أيضا

(شكل ٤-١٣) صور للمبانى الهامة بالمنطقة حيث نرى فى (أ) بوابة الفتوح، وفى (ب) جامع الحاكم بأمر الله وتظهر به الدعامات الخشبية المستخدمة أثناء عمليات الترميم

(شكل ٤-١٤) كروكى يوضح الناحية الإنشائية للبوابة حيث نرى فى (أ) مسقط أفقى، وفى (ب) واجهة البوابة من ناحية شارع البغالة

(شكل ٤-١٥) صورة توضح شارع البغالة والذى يعد من المناطق التى بها معدل مرور المركبات عال

(شكل ٤-١٦أ) كروكى يوضح علاقة المحلات بالفراغ الذى تطل عليه

(شكل ٤-١٦ب) كروكى يوضح علاقة الجامع بالفراغ والقصبة الرئيسية

(شكل ٤-١٦جـ) كروكى يوضح العنصر الإنشائى للبوابة وعلاقته بمداخل ومخارج المدينة

(شكل ٤-١٧) صورة بمنطقة باب الفتوح توضح تواجد العديد من العمارات السكنية الحديثة التى أفسدت الطابع العام للمنطقة

(شكل ٤-١٨) مسقط أفقى لمدينة القاهرة يوضح علاقة منطقة خان الخليلى بالقصبة الرئيسية للمدينة

(شكل ٤-١٩) مسقط أفقى لمنطقة خان الخليلى يوضح العلاقة بالطرق المحيطة

(شكل ٤-٢٠) صورةلأحد مسارات منطقة خان الخليلى توضح ضيق وتعرج المسارات

(شكل ٤-٢١) صور لمنطقة خان الخليلى توضح (أ) محلات بيع الحلى الفضية والذهبية، و(ب) محلات بيع الأطباق النحاسية المشغولة

(شكل ٤-٢٢) صورة لأحد مسارات منطقة خان الخليلى توضح استخدام الخشب والصاج فى تغطية المسار، وكذلك تم عمل معالجات حديثة لواجهات المحلات واستخدمت وحدات التكييف التى تظهر على واجهة احدى العمارات السكنية بالمنطقة

(شكل رقم ٤-٢٣) صورة للفراغ أمام بوابة خان الخليلى توضح استغلال أصحاب المحلات لجزء كبير من الفراغ فى عرض بضائعهم

(شكل ٤-٢٤) صورة بمنطقة خان الخليلى توضح مبنى الخان والذى يمثل عنصر جذب هام بالمنطقة

(شكل ٤-٢٥) كروكى يوضح مسقط أفقى لبوابة خان الخليلى

(شكل ٤-٢٦) صورة لبوابة خان الخليلى توضح الفراغ الواقع أمامها، والباعة والمعروضات التى تشغله

١/ مقدمة البحث:

تعد المناطق الحرفية بمثابة النواة التى تتكون منها المدينة فى العصور الوسطى الاسلامية ولما كانت تلك المناطق تمثل مجتمعا متكاملا ناجحا بالاضافة الى تجانسها مع باقى عناصر البيئة العمرانية للمدينة، فان ذلك استوجب وقفة ودراسة لمسببات هذا النجاح ولعوامله التى ساهمت فيه سواء كانت عمرانية أو غير عمرانية ، كذلك اهتم البحث بدراسة العلاقة التى تربط المجتمع الحرفى بالنواحى الاقتصادية والاجتماعية والسياسية فى الدولة.

وقد ذكر الأستاذ على فهمى فى مقال له[١] تلك النكسة التى تعرض لها مجتمع الصناعات الحرفية فى مصر عام (١٥١٧م)، وذلك عندما غزا السلطان " سليم الأول العثمانى" مصر وقرر تفريغها وخاصة "القاهرة المحروسة" من أمهر الحرفيين وأرباب الصناعات الدقيقة، وتهجيرهم سرا الى الاستانة. ووفقا لذلك فقد كانت الفترة التى يدور حولها البحث منذ بداية العصر الفاطمى نظر الاهتمام الفاطميين بالصناعات والتجارة وازدهارهما فى عصرهم، وحتى نهاية العصر المملوكى والذى يسبق مباشرة الفترة التى تعرضت فيها البلاد لتلك النكسة.

٢/ المشكلة وأهمية البحث:

خلال السنوات الأخيرة قررت الحكومة انشاء مدنا تضم جميع الحرفيين بهدف ايجاد تجمع حرفى للقاهرة بأكملها، إلا أن هذه المدن – والتى من أهمها مدينة الحرفيين



صورة لمدينة الحرفيين المجاورة لمصر الجديدة

المصدر: جريدة الأهرام (٧-٧-١٩٩٥)

مدينة الحرفيين مهددة بالتوقف.. هذا ما يؤكده اصحاب المحال التى مازالت تقاوم بينما فضل اصحاب ٣٠٠ محل ان يغلقوا ابوابها الى اجل غير مسمى . القصة ترجع الى ٥ سنوات مضت حين تم انشاء المدينة لتضم جميع الحرفيين بهدف ايجاد تجمع خدمى للقاهرة باكملها الا ان الحرفيين الذين لبوا دعوة الحكومة ذهبوا الى منطقة منعزلة تفتقر الى الرعاية والاهتمام. ومنذ ان تطأ الاقدام هذه المدينة والتى تقع على بعد ١٣ كيلو من مصر الجديدة تجد مجموعة من المحلات المغلقة و أخرى يقف اصحابها فى انتظار أى زائر لعله يكون زبونا جديدا ! وباستثناء محلات السمكرة و الدوكو فان بقية الحرفيين من الميكانيكية و النجارين و كل ما يلزم اصلاح السيارات يعيشون فى حالة من الضيق لعدم مقدرتهم دفع اجور العمال او تحمل تكاليف الاسرة واعباء المعيشة.

بعد ٥ سنوات من انشاء مدينة الحرفيين

النفى الاجبارى يهدد الحرفيين المهرة

جزء من المقال الذى نشر بالجريدة

[١] على فهمى: " تنشيط الصناعات الحرفية فى مصر"، نشرة خاصة تصدرها جمعية الارتقاء بالبيئة العمرانية، العدد الثالث، ديسمبر، القاهرة، ١٩٩٥- للاستزادة أنظر صـ ١٦١ بالملحق

الواقعة على بعد ١٣ كيلو من مصر الجديدة- أثبتت عجزها عن توفير تلك الخدمات التى انشئت من أجلها بأسلوب بسيط وسلس وبتكاليف ومعقولة، كما أن بعد تلك المراكز عن القاهرة أدى الى وجود مشاكل كثيرة فى الانتقال منها واليها، وفى توفير الخدمات الآساسية بها[٢]

وقد تطلب ذلك عمل دراسة وافية للمجتمعات الحرفية التى كانت موجودة فى العصور الوسطى الإسلامية وخاصة فى الفترة منذ تولى الفاطميين وحتى نهاية عصر المماليك حيث تميز المجتمع الحرفى فى تلك الفترة بكفاءته العالية ، وبتجانسه مع كل عناصر وطوائف المجتمع، وذلك بغرض الوصول الى أسس، نجاح تلك المجتمعات ومحاولة فهم طبيعة المجتمع فى تلك الفترة. وذلك بفرض تطبيق معايير النجاح هذه بما يتلاءم مع مجتمعنا فى العصر الحديث.

٣/ أهداف البحث:

يعد الهدف الرئيسي للبحث هو تحليل المبادىء و الأسس العمرانية والغير عمرانية للمناطق الحرفية فى القاهرة منذ عهد الفاطميين وحتى نهاية عهد المماليك وذلك بهدف تحديد الملامح التى ميزت تلك المناطق والتى يمكن بالتطوير الاستفادة منها فى انجاح المجتمعات الحرفية فى العصر الحالى.

ولتحقيق هذا الهدف فقد كان هناك بعض الأهداف المساعدة التى يمكن تلخيصها فيما يلى :

- العلاقة بين العمارة والعمران بالمدن الإسلامية، والضوابط الحاكمة لهما.
- تحديد سمات المناطق المركزية بالمدن الإسلامية.
- دراسة ملامح وخصائص تشكيل المناطق الحرفية فى المدن الاسلامية فى الفترة المحددة للدراسة.
- دراسة النظام الادارى والسياسى فى الدولة ومدى تحكمه فى نوعيات الحرف. - تحليل عناصر الصورة البصرية المميزة للمناطق الحرفية بالمدن الإسلامية.
- دراسة نوعيات الحرف المتواجدة فى تلك الفترة والعوامل المؤدية الى ظهورها وعلاقة تلك الحرف ببعضها (سواء حرف متجاورة أو متداخلة أو متباعدة) وعلاقتها بما حولها.
- دراسة العلاقة بين أماكن التصنيع والبيع والسكن لأصحاب الورش الحرفية.

---

[٢] للمزيد أنظر صـ ١٦٨ بالملحق

٤/ منهج البحث:

من خلال تحديدنا لأهداف البحث ، وفى سبيل تحقيقها اشتمل البحث على ثلاثة أجزاء رئيسية: الجزء الأول وهو الجزء النظرى عبارة عن الفصول الثلاثة الأولى للبحث والخاصة بمرحلة جمع وتحليل البيانات الخاصة بدراسة العناصر العمرانية والمعمارية للمجتمع عامة وللمناطق الحرفية خاصة فى المدن الاسلامية مع التركيز على القاهرة وذلك فى الفترة منذ بداية حكم الفاطميين وحتى نهاية حكم المماليك .أما الجزء الثانى وهو الجزء التطبيقى فيحتوى على الفصل الرابع والذى نتعرض فيه للدراسة الميدانية لثلاث مناطق بمصر الاسلامية بينما يشمل الجزء الثالث على الفصل الخامس وهو الجزء الخاص بنتائج البحث والتوصيات المقترحة.

ويمكن إيضاح المنهج المتبع فى البحث من خلال تقسيمه إلى فصول يشمل كل منها مكانا وزمانا معينا خاصا بالقضية المطروحة فيه. ويمكن ايضاح تلك المراحل فى الجدول التالى:

الموضوع	المكان	الزمان
الجزء الأول (الجزء النظرى)		
الفصل الأول	عام (المدن الاسلامية)	عام (من الفاطمي الى المملوكى)
الفصل الثانى	عام (المدن الاسلامية)	عام (من الفاطمى الى المملوكى)
الفصل الثالث	خاص (القاهرة القديمة)	عام (من الفاطمى الى المملوكى)
الجزء الثانى (الجزء التطبيقى)	خاص (القاهرة القديمة)	عام (من الفاطمى الى المملوكى)
الفصل الرابع		
الجزء الثالث		
الفصل الخامس (نتائج وتوصيات)	ــــــــــ	ــــــــــ

جدول يوضح مراحل الدراسة وكيفية الوصول من العام الى الخاص فى الموضوع والمكان والزمان.

ومما سبق يمكن دراسة منهج البحث ومكوناته بالتفصيل حيث اشتملت على الأجزاء الأتية:

بالنسبة للجزء الأول وهو الجزء الخاص بالدراسة النظرية فهو يحتوى على ثلاثة فصول: الفصل الأول منها يشتمل على دراسة العلاقة بين العمارة والعمران بالمدن الاسلامية منذ بداية عهد الفاطميين وحتى نهاية عصر المماليك ودراسة العوامل المؤثرة عليهما ، وكذلك دراسة المناطق المركزية بصفة عامة فى المدن الاسلامية كنموذج لتجمع الخدمات بالمدينة الاسلامية.

بينما يشتمل الفصل الثانى على دراسة ملامح تشكيل المناطق الحرفية بالمدن الاسلامية منذ عهد الفاطميين وحتى نهاية عصر المماليك وكذلك الصورة البصرية لها ودراسة النظم الادارية والسياسية الحاكمة فى الدولة وتأثيرها على هذا المجتمع الحرفى بصفة خاصة.

أما الفصل الثالث فانه يحتوى على دراسة للحرف بمصر الاسلامية بصفة عامة حيث يتعرض هذا الفصل لدراسة النوعيات المختلفة للحرف والعلاقات التى تربط بينها وبين باقى عناصر المجتمع، وكذلك دراسة تأثير هذه النوعيات من الحرف على التشكيل المعمارى X والعمرانى للمنشأت.

وبالنسبة للجزء الثانى من البحث فإنه يطرح المشكلة من خلال الدراسة التطبيقية والتى تنحصر فى الباب الرابع حيث نتعرض فى هذا الباب للأسس والضوابط التى تحكمنا فى عملية اختيار العينات الخاصة بالدراسة التطبيقية والتى تم فيها اختيار ثلاث مناطق فى مصر الاسلامية وهى (منطقة جنوب باب الفتوح ومنطقة خان الخليلى) كمثال للأسواق الواقعة بداخل أسوار القاهرة، و(منطقة الخيامية وقصبة رضوان) وهى مثال للأسواق الواقعة خارج أسوار القاهرة حيث تعد بمثابة الامتداد الحادث فى القصبة الرئيسية للمدينة ويتم أيضا فى هذا الفصل دراسة الصورة البصرية المميزة لكل منطقة منهم وكذلك دراسة الوحدة التصميمية الانتفاعية الأساسية بكل منطقة ، وكذلك العلاقة بين مكان التصنيع ومكان السكن X بكل منهم.

ويشتمل الجزء الثالث من البحث على الفصل الخامس ، وهو الذى نتعرض فيه لنتائج البحث والتوصيات المقترحة والتى يمكن الاستفادة بها فى النهوض بالمجتمعات الحرفية الحالية.

٢/١ العوامل المؤثرة على العمارة و العمران بالمدن الاسلامية:

هناك ملامح خاصة بالتشكيل[١] والطابع العمرانى[٢] للبلاد العربية خلال العصور الإسلامية المختلفة التى مرت بها. وهذه الملامح تشكلت من خلال بعض المحددات والمؤثرات المشتركة بين بعض البلاد والتى إن اختلفت فإنها لا تختلف كثيرا سوى نتيجة لاختلاف الحكام وتأثير التيارات الفكرية فى هذه البلاد. إلا أنه في الغالب كانت هناك وحدة عقائدية سيطرت على التشكيل المعمارى والطابع العمرانى فى معظم البلاد العربية والإسلامية، كما أثرت الكثير من العوامل الأخرى والتى يرجع بعضها إلى تأثير الطبيعة البيئية و الجغرافية للمكان ويرجع بعضها الآخر لتأثير التيار الفكرى الاسلامى على المجتمع بمنظوماته الاجتماعية والثقافية المختلفة.

ويمكن تصنيف تلك العوامل التى أثرت على التشكيل المعمارى والطابع العمرانى من خلال إطارين رئيسيين. أولهما يتناول الجوانب العمرانية من حيث تأثير العوامل المناخية والبيئية و طبيعة المكان والمواد المتاحة؛ وثانيهما يتناول الجوانب الغير عمرانية من حيث العوامل الاجتماعية والدينية والسياسية والاقتصادية والجمالية والثقافية.

١/٢/١ الجوانب العمرانية و ملامح تأثيرها:

أثرت الخصائص المناخية من حرارة ورطوبة ورياح على المعطى المعمارى وعلى حجم و شكل الفراغات البينية سواء الداخلية أوالخارجية، ويمكن توضيح تلك التأثيرات فيما يلى:

[١] التشكيل: هو ذلك المجال الذى يتناول المستقرات الإنسانية من منظور تشكيلى، بمعنى أنه هو العلاقة التبادلية بين الكتل والفراغات.

[٢] الطابع العمرانى: هو مجموعة المراجع البصرية لمجتمع ما، و هو عمق المكان (sencs of place)، و هو حاصل تجربة الجماعة فى مكان محدد و فى خلال فترة زمنية محددة مجسدا فى عمارتها و عمرانها.

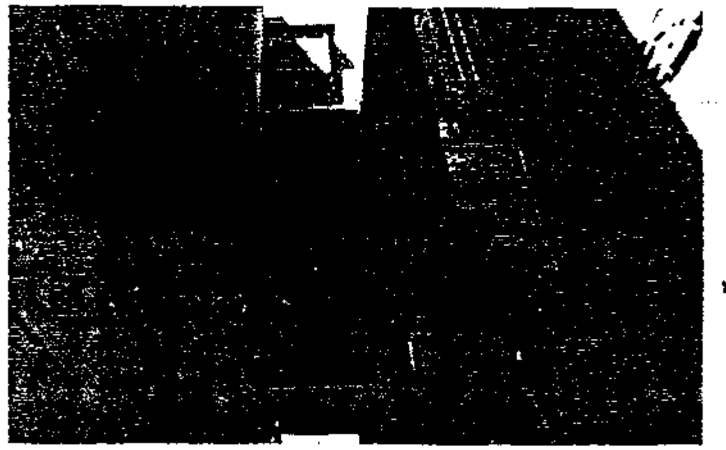
اعتمد التصميم فى العمارة الإسلامية على اتباع أسلوب التفريغ باستخدام الأحواش المبنية[٣] إلى جانب وضع المبانى فى صفوف متراصة ومتلاحمة لمنع تعرض واجهاتها للعوامل المناخية الصعبة (شكل ١-١).



(شكل ١-١) مسقط أفقى لجزء من مدينة تونس يوضح الأحواش المبنية بداخل جزء من نسيج المدينة المتضام

المصدر: مركز الحفاظ على المدينة بتونس، ١٩٦٨

... صغرت عروض الشوارع إلا فى أماكن محدودة (كالمناطق التجارية والأماكن العامة) و... الشوارع الضيقة والمتعرجة وكذلك الطرق غير النافذة(*Cul de* Sac) والتى يقل قط... وعرضها كلما اتجهنا إلى أعلى لكثرة البروزات بها. وقد كانت تلك البروزات- والتى كانت تسمى روشان[٤]- تتزايد أحيانا بحيث تتصل ببعضها وتسمى ساباط[٥](شكل رقم ١-٢).



(شكل ...) بيت الكريدلية وبيت ... وسهيمة بالقاهرة، وقد اتصلا من العلو ... ضم البيتين

المصدر: ... عبد القادر أكبر "عمارة الأرض فى الإسلام"، ١٩٩٢

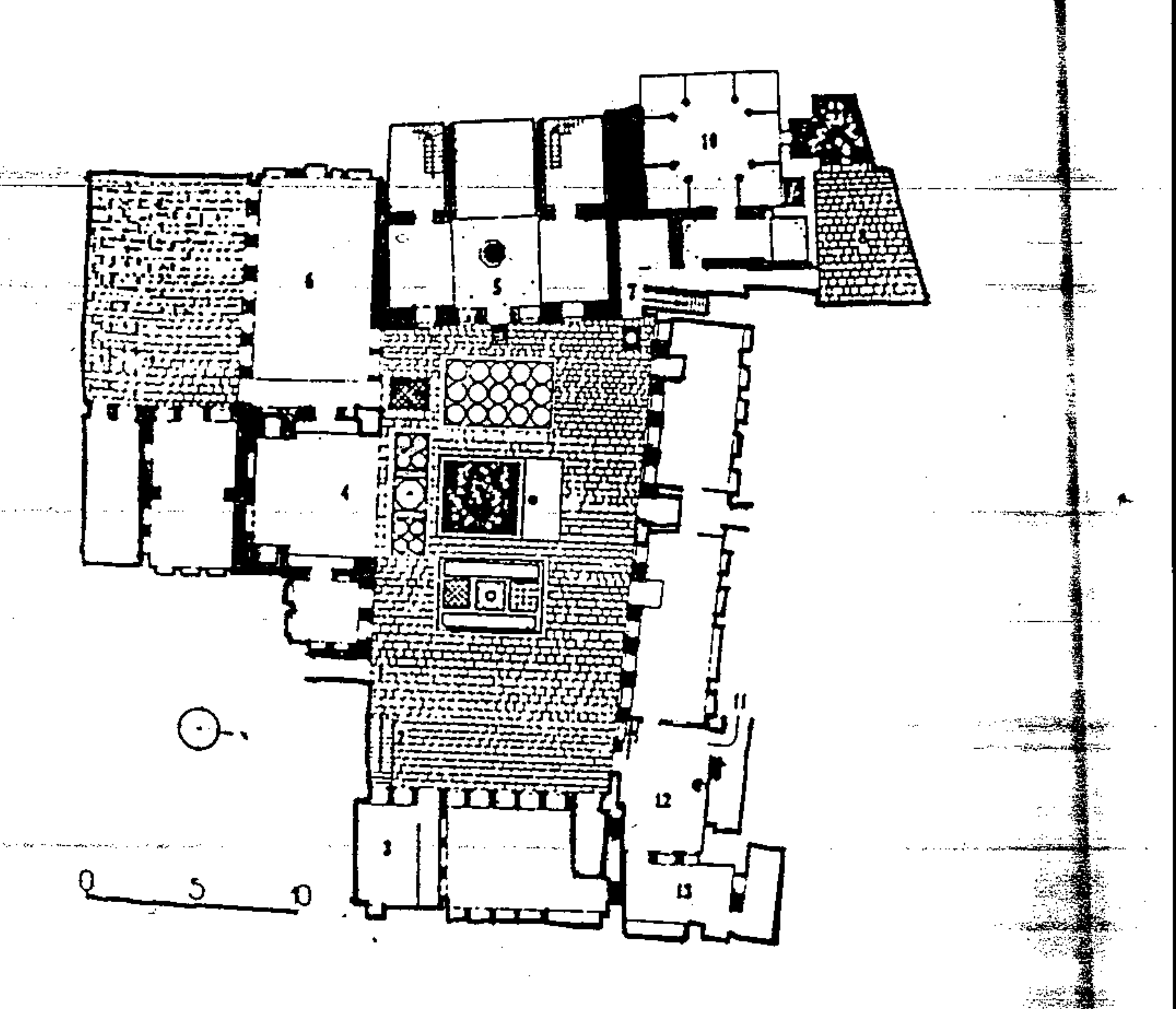
---

[٣] ... (الفناء): هو السعة أمام العقار سواء كان ذلك العقار بيتا أو غرفة فى الدار أو الدار نفسها، و ليس كما هو شائع ... مدخل الدار فقط.

[٤] الروشن ... جناح أو الظلة أو الخارجة هى الأبنية الناتئة عن الجدار الى الطريق و معلقة فى الهواء.

[٥] الساباط ... السقيفة بين حائطين تحتها طريق، وجمعها سوابيط أو ساباطات.

وقد جعلت واجهات المبانى المطلة على الطريق مغلقة، وجعل التوجيه للداخل (بعمل فتحات على الداخل على صحن) كذلك إستخدم التوجية إلى أعلى فى اتجاه السماء باستخدام صحن أوسط مكشوف وتأكد مبدأ الخصوصية عن طريق عمل المداخل المجازية المنكسرة والتى تلغى العلاقة المباشرة بين المبنى (فراغ خاص) والطريق (فراغ عام).(شكل ١-٣)



(شكل ١-٣) مسقط أفقى لمنزل غزالة فى الحى الخاص بسكن المسيحيين بمدينة حلب، ويظهر به تجميع الأنشطة المختلفة للمنزل حول فناء أوسط مما يؤكد فكرة التوجيه للداخل على صحن مكشوف متصل بالسماء

المصدر: آندريه ريمون "The Great Arab Cities"، ١٩٨٤

ومن الملاحظ في المدن الإسلامية بصفة عامة أن اتساع المدن كان أمرا ضروريا في المناطق العامرة، وكان ذلك لا ينتج عن تخطيط مسبق كما لم يكن هذا الإتساع خاضعا لهيئة أو لسلطة مركزية كما يحدث في مدننا المعاصرة والحديثة، ولكن الذى كان يحدث هو تراكم لتصرفات الفرق الساكنة مؤديا بذلك إلى اتساع رقعة المناطق العامرة. أى أن نمو المدن و شكل البيئة العمرانية التقليدية نتج عن تراكم القرارات التى اتخذها السكان وهذه القرارات في العادة قرارات ذات مستوى صغير كبناء مبنى في مزرعة خاصة أو إحياء أرض مجاورة. فهى إذا ليست قرارات ذات مستوى عالى كتحديد منطقة لتكون مخصصة للتصنيع وأخرى للسكن كما هو الحال اليوم في التخطيط [٦]. ومما يذكر أن انعدام التخطيط المسبق في تلك المدن لم ينتهى إلى تراكم فوضوى للقرارات ونمو عشوائى للمدينة بل كان مبنيا على مبادئ معينة تراعى التقاليد والقيم العقائدية السائدة.

وقد كان هناك اهتماما شديدا باستخدام الماء كعنصر رحيم، كما تم تزويد السطح الأوسط بفسقية مياه سلسبيل[٧] (شكل رقم ١-٤).



(شكل ١-٤) نافورة بأحد الشوارع خلف الجامع الأموى توضح استخدام عنصر الماء
المصدر: أكرم حسن العلبى "خطط دمشق"، ١٩٨٩

[٦] جميل عبد القادر أكبر: " عمارة الأرض في الإسلام "، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة، ١٩٩٢. صـ ١٥٩ ـ ١٦٠

[٧] د. محمد امين محمد : " عمارة المجمعات المعمارية الإسلامية المتكاملة حتى نهاية العصر المملوكى "، ماجستير غير منشور، هندسة القاهرة، القاهرة، ١٩٨٧. صـ ٥

كما انتشر استخدام ملاقف الهواء وجعلت فى اتجاه الهواء الرطب واستخدمت المشربيات فى معالجات الفتحات الخارجية. كذلك استخدمت القمريات و حدائق السطح واستخدمت الحوائط الحجرية السميكة للتقليل من الإحساس بحرارة الجو(شكل رقم ١-٥).

(شكل ١-٥) قصبة رضوان بالقاهرة، ويتضح من المبانى المطلة عليها استخدام المشربيات فى الفتحات الخارجية، وكذلك استخدام الحوائط الحجرية السميكة لتلطيف درجة الحرارة

المصدر: آندريه ريمون 'The Great Arab Cities' ، ١٩٨٤

وكذلك فقد كان هناك تنظيم اجتماعى بين سكان الحى أو الطريق غير النافذ لعدم وجود قوانين حاكمة لأن السكان هم المسيطرون، وكانت الخلية الأساسية للحياة المدنية تتمثل فى الأحياء. وكان يشار إلى الأحياء عادة باسم الحارات (مثل حارة المغانى بدمشق)[٨] أو أسماء أخرى كالخط (مثل خط قصر بشتاك بالقاهرة)[٩] أو الدرب(مثل درب الشعارين بدمشق)[١٠].

وقد وصف نيبيور (*Niebuhr*) أحياء القاهرة بأنها تتكون من عدد كبير من الشوارع الصغيرة، ليس لها جميعا إلا منفذ واحد تتصل عن طريقه بأحد شوارع المدينة الرئيسية.[١١]لذا من الممكن القول بأن وحدة تركيب المدينة هى الحى أو الخطة الذى يكون وحدة مغلقة تترابط فيما بينها عن طريق شبكة متدرجة من الطرق و أزقة تصب فى حوارى (عطفات) والتى تؤدى إلى الشارع الرئيسى (درب) وهو الذى يسمى الحى عادة باسمه ويتصل فى النهاية بالشارع الكبير (شارع) غالبا عن طريق بوابة والتى بدورها تبلور مبدأ الاستقلالية.

---

[٨] بالرجوع إلى خطط دمشق صـ ٤٣٧ نجد أن حارة المغانى: تقع جنوب القلعة، قرب دار السعادة.

[٩] المقريزى: " **الخطط المقريزية** "، الجزء الثانى، دار صادر، بيروت . صـ ٣٤

[١٠] بالرجوع إلى خطط دمشق صـ ٤٣٩ نجد أن **درب الشعارين**: هو طريق متعرج طويل و ضيق يمتد من غربى سوق مدحت باشا إلى جهة الشمال، ثم يتجه شرقا ليصل إلى البيمارستان النورى، و يسمى أوله "الحصرية"، و آخره "زقاق المرستان" و قد دمر يوم دمرت فرنسا دمشق بقنابلها إبان الثورة السورية الكبرى.

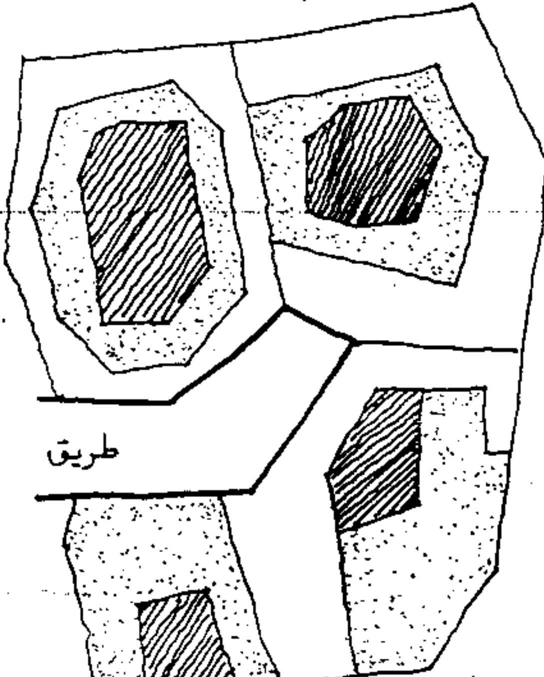
[١١] آندريه ريمون: " فصول من التاريخ الاجتماعى للقاهرة العثمانية "، مؤسسة روزاليوسف، القاهرة، ١٩٧٤، صـ ١٨

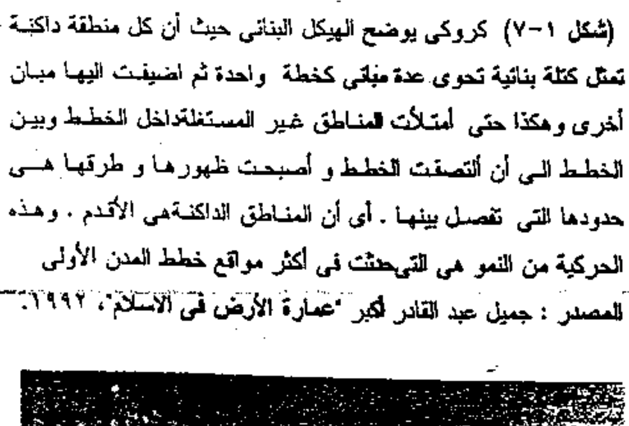
فوجود البوابة على بداية الحارة يدل على أن المكان الذى بداخلها يقع تحت سيطرة سكان هذا المكان.

و يقول لابيدوس فى وصف الحارات فى العصر المملوكى:

" قسمت المدن إلى مناطق سميت حارات و محلات أو أختات. و كانت هذه أحياء سكنية ذات أسواق محلية و ربما ورش أيضا "[١٢] (أشكال ١-٦، ١-٧، ١-٨، ١-٩).

(شكل ١-٦) كروكى يوضح أن المدن الأولى كانت عبارة عن خطط متجاورة وكل خطة تحوى خططا صغيرة وكل خطة من هذه الصغيرة تحوى خططا أصغر منها و هكذا
المصدر : جميل عبد القادر أكبر "عمارة الأرض فى الاسلام"، ١٩٩٢.





(شكل ١-٧) كروكى يوضح الهيكل البنائى حيث أن كل منطقة داكنة تمثل كتلة بنائية تحوى عدة مبانى كخطة واحدة ثم اضيفت اليها مبان أخرى وهكذا حتى أمتلأت المناطق غير المستغلةداخل الخطط وبين الخطط الى أن ألتصقت الخطط و أصبحت ظهورها و طرقها هى حدودها التى تفصل بينها . أى أن المناطق الداكنةهى الأقدم . وهذه الحركية من النمو هى التىحدثت فى أكثر مواقع خطط المدن الأولى
المصدر : جميل عبد القادر أكبر "عمارة الأرض فى الاسلام"، ١٩٩٢.

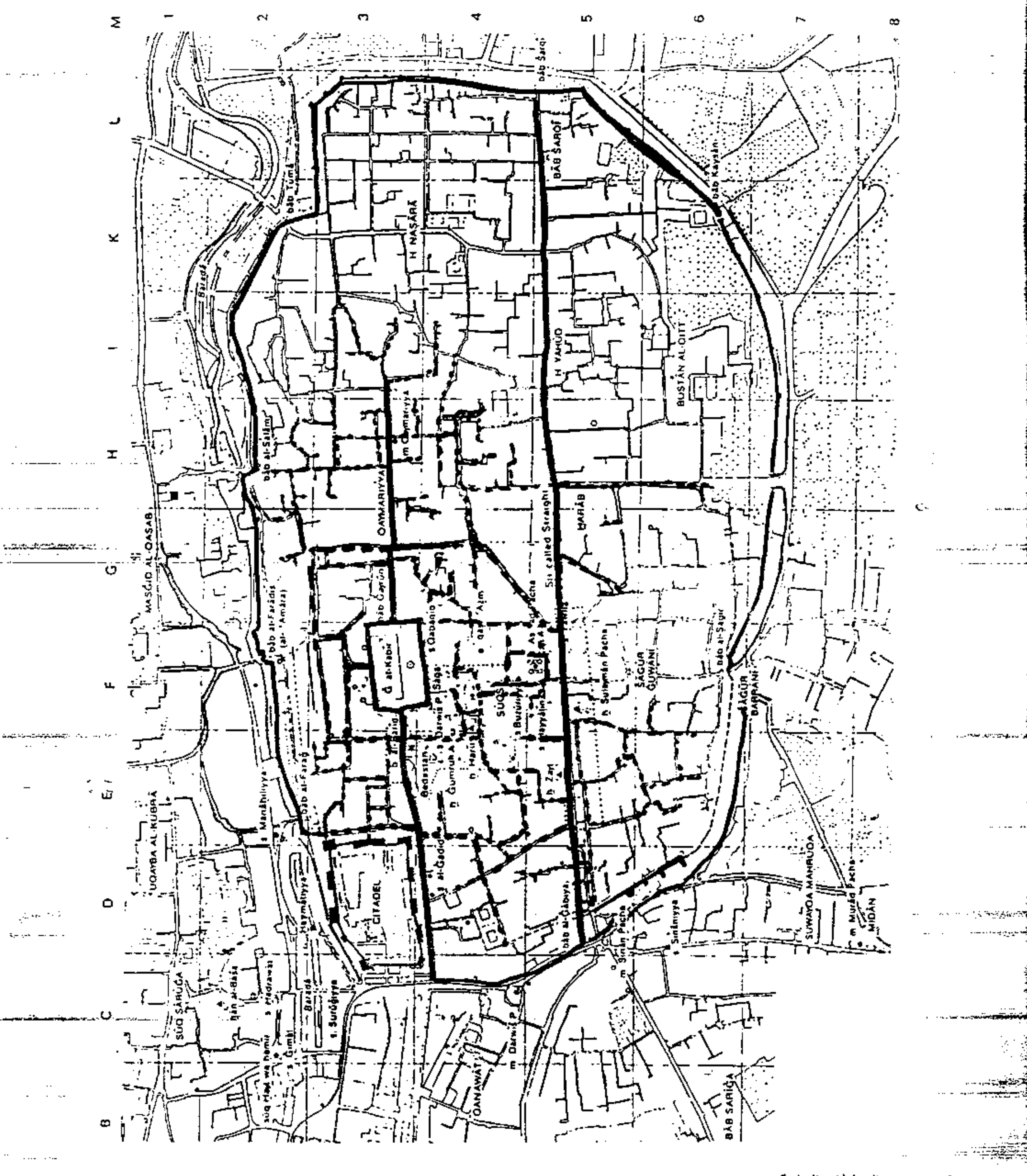


(شكل ١-٨) صورة لإحدى البوابات الداخلية بالدار البيضاء بالمغرب
المصدر : جميل عبد القادر أكبر "عمارة الأرض فى الاسلام"، ١٩٩٢.



(شكل ١-٩) صورة لبوابتين متلاصقتين بمدينة تونس تؤديان الى جهتين مختلفتين فى المدينة
المصدر : جميل عبد القادر أكبر "عمارة الأرض فى الاسلام"، ١٩٩٢.

[١٢] جميل عبد القادر أكبر: " عمارة الأرض فى الإسلام "، ١٩٩٢، صـ ٣٨٦



——— المناطق العامة

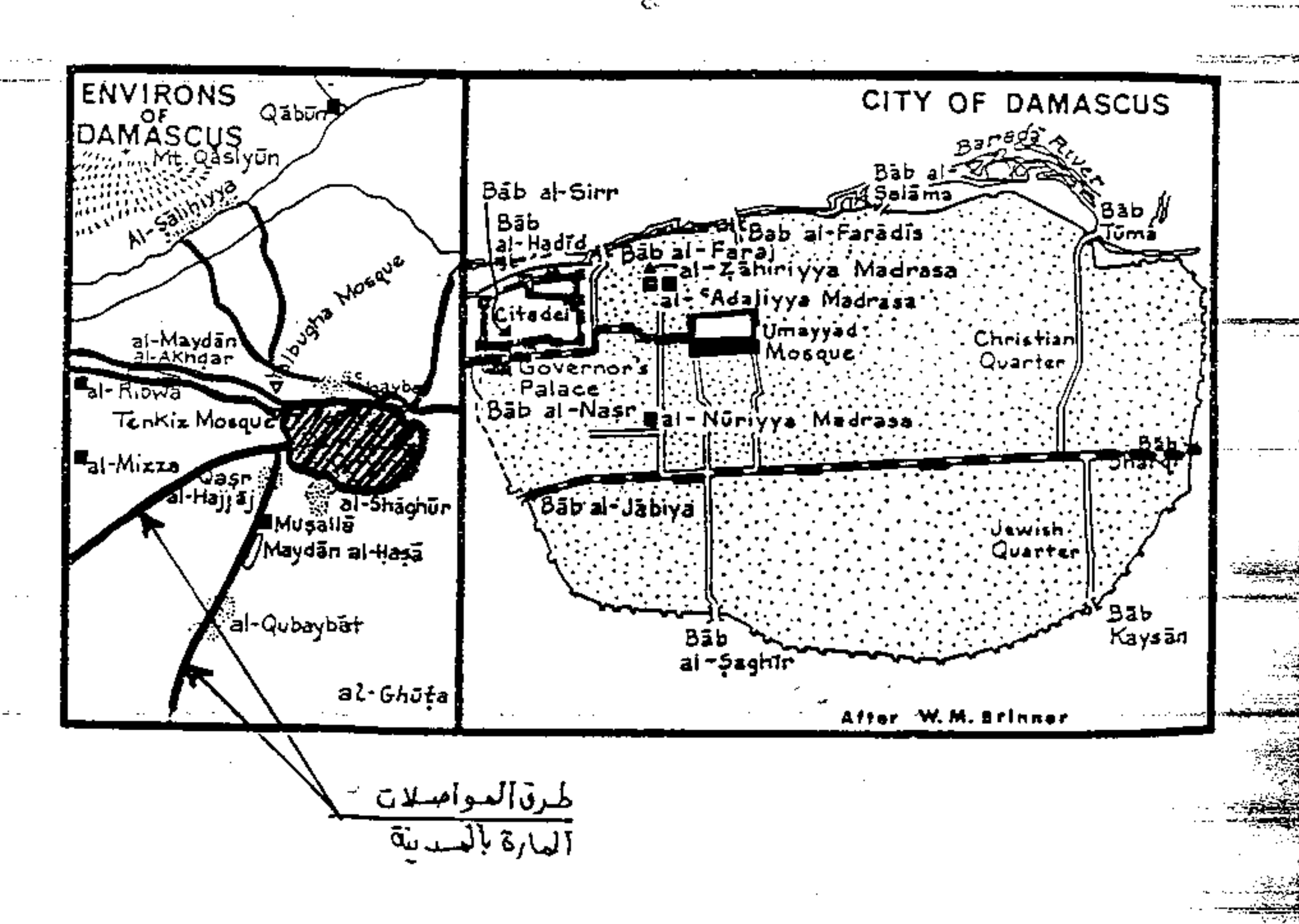
- - - المناطق الخاصة

(شكل ١-١١) مسقط أفقى لمدينة دمشق يوضح المناطق العامة (Public City)، والمناطق السكنية (Private City)

المصدر: آندريه ريمون "The Great Arab Cities"، ١٩٨٤

وقد كان هناك تطور عظيم شهدته طرق المواصلات فى القرن الرابع عشر الميلادى وخاصة فى مصر وسوريا وأثر ذلك على انتشار نوعيات من العمائر -نتيجة للرواج الاقتصادى-كانت موجودة من قبل ولكن بأعداد قليلة كالوكالات والقيساريات والخانات، كما تطور الفراغ التجارى واحتوت المنشآت التجارية كلها على هذا الفراغ مما أكد وظيفة الصحن، واكتسب وظيفة أخرى غير التوجيه للداخل عليه نظرا للعوامل الدينية والمناخية والاجتماعية.

كذلك فإن ارتباط طرق التجارة بمداخل ومخارج المدينة أدى إلى وجود محور رئيسى (قصبة) بالمدينة تحتوى على كافة الأنشطة التجارية وهو المركز الاقتصادى للمدينة (شكل ١-١٠).



(شكل ١-١٠) مسقط أفقى لمدينة دمشق ويظهر بالشكل وقوعها على الطرق الرئيسية المارة بالبلاد.

المصدر: لابيدوس "Muslem Cities in the Later Middle Ages"، 1969

١/٢/٢ الجوانب الغير عمرانية وملامح تأثيرها:

تنوعت تأثيرات الجوانب الغير عمرانية على المنتج المعمارى والعمرانى فى البلاد الإسلامية وذلك لاختلاف نوعية هذه الجوانب حيث يمكن تصنيفها -من حيث تأثيرها- إلى نواحى اجتماعية وثقافية واقتصادية وهى التى تؤثر تأثيرا ماديا ، ونواحى ترتبط بالثوابت والمعتقدات الدينية وهى ذات تأثير روحى، ونواحى تتمثل فى القيم الجمالية وهى ذات تأثير معنوى.

وفيما يلى شرح مختصر لتأثير تلك العوامل على المعطى المعمارى والعمرانى فى المدن الاسلامية:

بالنسبة للتأثيرات المادية فقد ظهرت فكرة المدينة العامة والمدينة الخاصة فى تخطيط المدينة الواحدة وهو ما يعرف (Public City & Private City)[١٣] حيث ظهر بوضوح شديد (فى المدينة العربية) فرق كبير بين المناطق المركزية (و التى يتركز فيها النشاط الاقتصادى والتجارة) وبين المناطق والأحياء السكنية. وهذا الفرق مرجعه ثقافى اجتماعى(Socio-Cultural) حيث كان من السهل قراءة المسقط الأفقى لأى مدينة عربية وتحديد الجزء العام فيها وهو الجزء الخاص بالأنشطة التجارية والذى يعتبر المركز الاقتصادى للمدينة وهو يمتاز بالشوارع الواسعة المنتظمة المفتوحة وتكون فيما بينها شبكة طرق لا تتقاطع مع حدود المدينة. كذلك يمكن تحديد الجزء الخاص من المدينة وهو عبارة عن المناطق السكنية فشوارعها ضيقة غير منتظمة وينتهى معظمها بحارة مسدودة، وتمثل كل حارة أو زقاق مجتمعا منفردا خاصا بالسكان الموجودين به؛ وهو فى بعض الأحيان مجتمعا متكاملا به العمل والسكن والسوق، وبالتالى فإننا نرى فى هذا التخطيط للمدينة العربية تأثير الثقافات والعوامل الاجتماعية واضحا (شكل ١-١١).

كما ظهر دور المرأة فى المدينة الإسلامية فكان هناك اهتماما خاصا بها، حيث كان هناك تصميما خاصا يناسب دورها الاجتماعى ويحترم القيم الدينية والاجتماعية السائدة، حيث وجه التصميم للداخل واشتمل المعطى المعمارى على أماكن مخصصة للحريم واستعملت المداخل المنكسرة واستعملت المشربيات فى معالجة الفتحات، والتى بالاضافة إلى فائدتها فى حجب الرؤية كان لها دور مهم فى تلطيف الجو والتقليل من الإحساس بحرارة الجو.

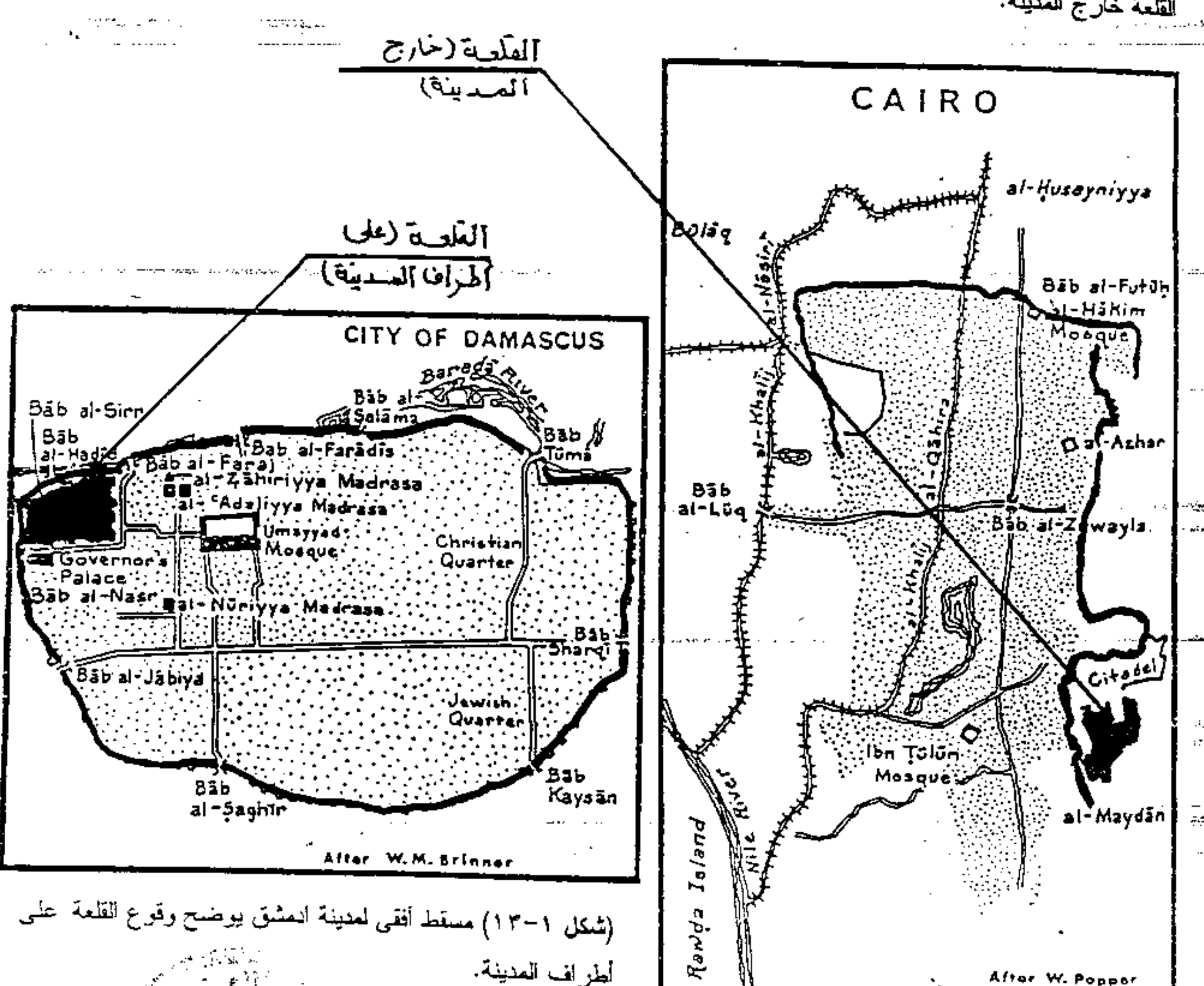
---

13 Raymond, A., " **The Great Arab Cities in the 16th - 18th Centuries** ", New York University Press, New York & London, 1984 p. ١٥

كذلك فقد ظهر دور التعليم وأهميته وبالتالى ظهرت المنشآت التى تؤكد هذا الدور، وقد عبرت هذه المنشآت على نوعية وأسلوب تداول العلوم الدينية والدنيوية المكملة.

كما نجد أنه نتيجة لتطور التنظيمات السياسية (حيث تحولت من تبعية مطلقة للخلافة الى استقلال كامل وكيان مستقل) فقد ظهرت أنواع العمائر الدالة على ذلك حيث ظهرت المدن الملكية والقلاع وظهرت أنواع العمائر السياسية أو الرسمية والتى لم تكن معروفة مع بداية الفتح. وكان من الملاحظ أنه عند بناء مثل هذه الأنواع من العمائر وخاصة القلاع والحصون فإنها عادة تكون خارج المدينة (كما فى القاهرة-شكل ١-١٢) أو على أطرافها (كما فى دمشق-شكل ١-١٣).

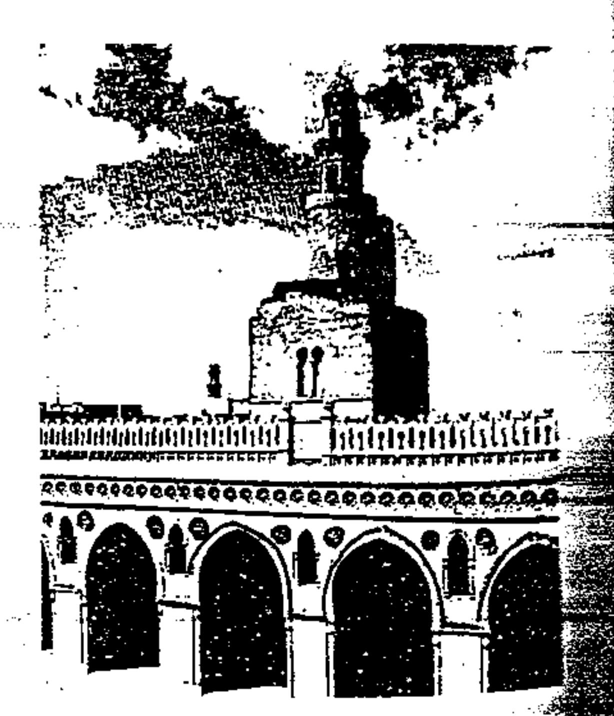
(شكل ١-١٢) مسقط أفقى لمدينة القاهرة يوضح وقوع القلعة خارج المدينة.



(شكل ١-١٣) مسقط أفقى لمدينة لدمشق يوضح وقوع القلعة على أطراف المدينة.

أما بالنسبة للتأثيرات الروحية فنجد أن مبدأ الرمزية والتجريد كان شائعا ومسيطرا و له أثر كبير على المعطى المعمارى حيث زاد التأثير على ضرورة الاتصال بالسماء عن طريق الصحن المكشوف والمحاط بأربعة حوائط (شكل ١-١٤).

كذلك فإننا نجد أن مبدأ التوحيد فى الإسلام والإيمان بوحدانية الخالق ولانهائيته والاتصال بالسماء كان ظاهرا فى الوحدة القياسية الإنشائية المتكررة، والتى تظهر فى متوالية لا نهائية. كذلك عمل الصحن الواحد كرمز وتأكيد لمبدأ التوحيد. و تم تأكيد الاتصال والربط بين السماء والأرض عن طريق عمل عرائس السماء فى نهاية المسجد. كذلك فان الارتفاع الشاهق للمآذن يدل أيضا على فكرة الاتصال بين السماء والأرض. كما كان لهذا المبدأ أكبر الأثر على التشكيل المعمارى والزخارف المعمارية التى تمثلت فى أشرطة الكتابة -والتى تكون عبارة عن آيات قرآنية- اللانهائية والتى لايمكن تمييز بدايتها من نهايتها. (أشكال ١-١٤، ١-١٥)



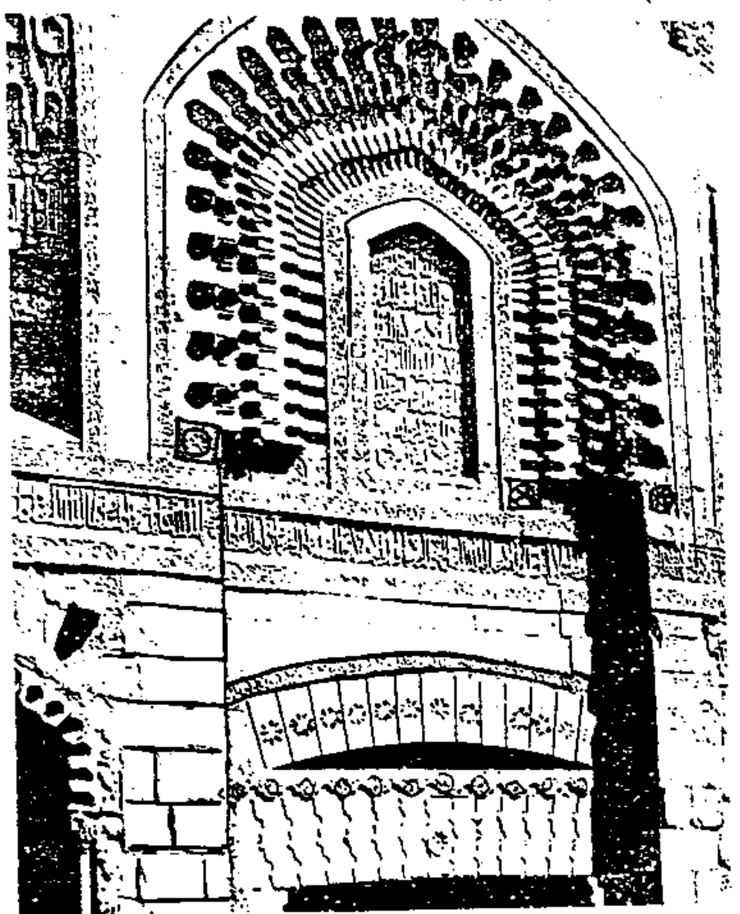
(شكل ١-١٤) جامع أحمد بن طولون، والشكل يوضح فكرة الاتصال بالسماء عن طريق استخدام الصحن المفتوح للسماء واستخدام عرايس السماء والتى تمثل نوعا من الربط و التداخل بين السماء والأرض.
المصدر : د. ابراهيم أحمد العدوى: " مصر الإسلامية درع العروبة و رباط الإسلام "، ١٩٨٩.



(شكل ١-١٥) مدرسة السلطان الغورى بالقاهرة، و يظهر فيها استخدام أشرطة الكتابة المزخرفة، وعرايس السماء، وكذلك الاتجاه للسماء عن طريق المآذن العالية.
المصدر : د. ابراهيم أحمد العدوى: " مصر الإسلامية درع العروبة و رباط الإسلام "، ١٩٨٩.

كما أصبح دور المنشآت الدينية حيويا وهاما فى تقوية وتثبيت العلاقات الاجتماعية حيث أصبح المسجد بؤرة جذب عمرانية، وكذلك ازداد الاحتياج إلى منشات تؤدى وظيفتها بصورة متطورة بحيث تكون هذه الوظيفة دينية ودنيوية أيضا حيث ظهرت مبانى المجمعات والتى تشتمل على المسجد والسبيل والتكية والمدرسة والكتاب.

وبالنسبة للتأثيرات المعنوية فقد انعكس الالتزام بالقيم الجمالية على إبراز العمائر الاسلامية لنوعيات وقيم الجمال المختلفة. فتميزت المعطيات المعمارية والعمرانية بالصدق والنقاء والتكامل والتباين ووحدة الطابع إلى جانب احترام المقياس الانسانى[١٤] واستخدام عناصر زخرفية بسيطة ومعبرة عن الدين الإسلامى والوحدانية للخالق، كما استخدمت عناصر التشكيل المعمارى ذات المدلول على القيم الدينية المختلفة من وحدة وترابط وقيم روحية مختلفة(شكل ١-١٦).



(شكل ١-١٦) واجهة مدخل المدرسة الصالحية بالقاهرة ويظهر بها استخدام الزخارف والتى تكون عبارة عن أشرطة من الكتابة والآيات القرآنية، وعمل عقد على مستويات مختلفة باستخدام المقرنصات

المصدر: ابراهيم أحمد العدوى "مصر الإسلامية درع العروبة ورباط الإسلام"، ١٩٨٩

[١٤] م. محمد أمين محمد: " عمارة المجمعات المعمارية الإسلامية المتكاملة حتى نهاية العصر المملوكى "، ١٩٨٧.صـ٧

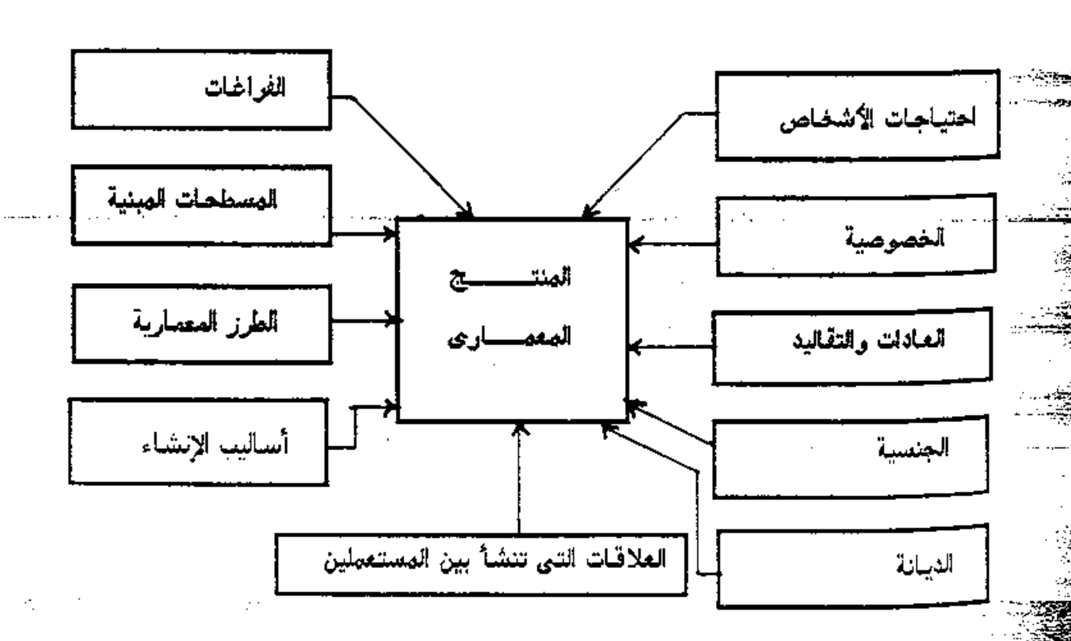
١/٣ ملامح ربط العمارة بالعمران:

نظرا لأن هذا البحث يشتمل على دراسة كل من العمارة والعمران، لذا فيلزم التعرف على كل جانب منهما على حدة، ودراسة ما اذا كانت هناك علاقات وثيقة بينهما أم أنه هناك تعارض بينهما فى البيئة المشيدة بالمدن التقليدية.

١/٣/١ مفهوم العمارة فى المدينة الإسلامية:

تعد العمارة هى الحيز الغالب الذى يلبى احتياجات الأفراد الذين يستعملونه سواء كان هذا الاستعمال للسكن أو العمل أو الاستفادة بالخدمات التى يقدمها، وهى إذن وعاء ضخم يحتوى على عناصر متعددة كالفراغات والمسطحات المبنية والطرز المعمارية المختلفة، وأساليب الانشاء التى قد تختلف من عصر لآخر أو من بلد لأخر فى نفس العصر كما يحتوى هذا القالب على مجموعة من العلاقات المتداخلة والتى من أهمها توفير احتياجات الأشخاص واحترام خصوصياتهم وعاداتهم وتقاليدهم، وجنسياتهم ودياناتهم، والعلاقات التى قد تنشأ بين المستعملين لمبنى معين ومستعملى المبنى الملاصق له.

ويمكن ايضاح تأثير تلك العوامل والعلاقات على المنتج المعمارى فى الكروكى التالى:



١/٣/٢ مفهوم العمران فى المدينة الإسلامية:

لدراسة مفهوم العمران فى المدن الاسلامية فاننا نجد أن ذلك مرتبط بطرق اتخاذ القرارات التى أثرت فى نمو وتكون المدن فى العالم الاسلامى حيث أنه كانت هناك مبادىء وجهت اتساع رقعة المدن وأثرت بشكل كبير على التشكيل العمرانى بالمدن.

وقد وصف جميل أكبر عملية امتداد العمران وتراكم القرارات فى المدن الاسلامية حيث وصف ذلك فى قوله:

"أن اتساع رقعة المدن أمر لابد منه فى المناطق العامرة. وهذا الاتساع فى مدن العالم الاسلامى لم ينتج عن تخطيط مسبق بالمعنى المستخدم اليوم لكلمة تخطيط كما لم تشرف على هذا الاتساع سلطة مركزية ، ولكن الذى حدث هو تراكم لتصرفات الفرق الساكنة مؤدية بذلك الى اتساع رقعة المناطق العامرة. أى أن نمو المدن وشكل البيئة العمرانية التقليدية نتج عن تراكم القرارات التى اتخذها السكان، وهذه القرارات فى العادة قرارات ذات مستوى صغير كبناء مبنى فى مزرعة خاصة، أو احياء أرض مجاورة وهكذا، فهى ليست قرارات ذات مستوى عال كتحديد منطقة لتكون مخصصة للتصنيع وأخرى للسكنى كما هو الحال اليوم فى التخطيط".[١٥]

هذا ومن المسلم به فى المدن الاسلامية أن انعدام التخطيط فيها لم يؤدى الى تراكم موضوعى للقرارات أو الى نمو عشوائى للمدينة، وانما كان مبنيا على مبادىء معينة.

وهكذا فاننا نجد أن امتداد العمران بالمدينة الاسلامية لم يكن يعتمد على فكر مسبق أو نظريات محددة فى التخطيط، وانما اعتمد علي قرارات نابعة من السكان والتى تتحدد وفقا لاحتياجاتهم ومتطلباتهم ووفقا أيضا لنوعية العلاقة بين السكان وبعض، وعلاقة السكان بالبيئة المبينة أو بالفراغات سواء فراغات داخلية أو خارجية.

١/٣/٣ الطبيعة العمرانية للشوارع بالمدن الإسلامية وعلاقتها بالعمارة:

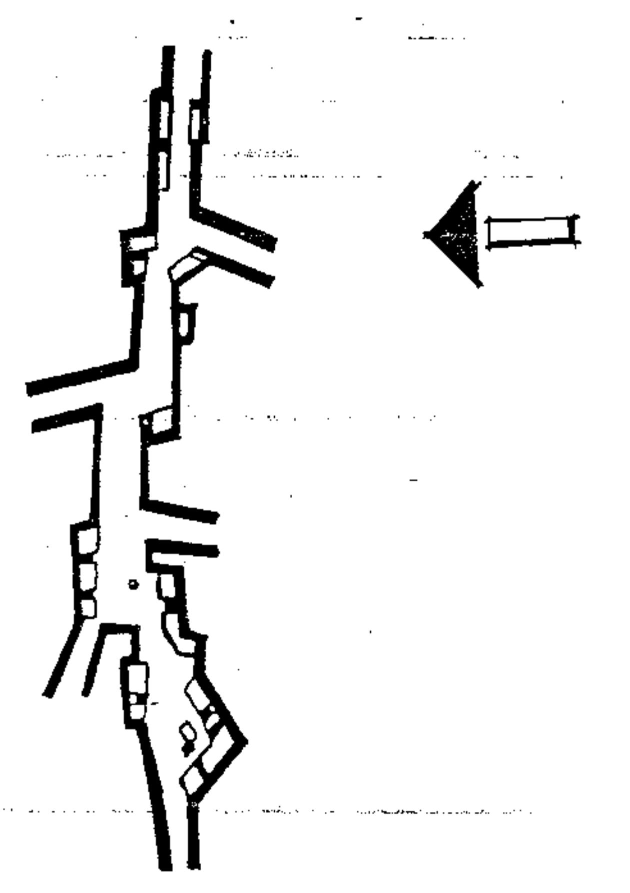
تميزت الشوارع الرئيسية بالمدن الاسلامية بالعديد من الصفات الخاصة والتى من أهمها البنية التتابعية لها، والتى كانت تخضع لتنظيم خاص يظهر المسار فى نوع من التتابع الموسيقى متشابها فى ذلك مع النغمات المتتالية التى تكون عناصر المقطوعة الموسيقية. وقد

---

[١٥] جميل عبد القادر أكبر: " عمارة الأرض فى الإسلام "، ١٩٩٢ صـ ١٥٩-١٦٠

تميزت هذه المتتابعة بوضوحها الشديد فى اتجاهها الأساسى واتجاهها العكسى، مما أعطى المشاه الشعور بالادراك البصرى أثناء تجولهم فى كلا الاتجاهين.[١٦]

وبصفة عامة فلقد كانت الشوارع بالمدن الاسلامية ضيقة وغير مرصوفة ويتراوح عرض الطريق من (٢ – ٣ أمتار)، وفى الشوارع الرئيسية تصل الى (٦ –٧ أمتار) ولم تزد على (١٠ أمتار). وبالرغم من أن الشارع مستقيم فى اتجاهه العام إلا أنه ينحنى بطريقة غير ملحوظة ونتيجة لهذا فان امتداد الطريق يبدو وكأنه مسدود، مما يعطى للزائر تشوق ولهفة للتعرف على العناصر التى ستقابله فى المرحلة القادمة.[١٧] (شكل ١–١٧) وبالتالى فإن الزائر يكون أمامه دائما متابعة بصرية عناصرها التى تشده هى عناصر معمارية من مبانى ومعالجات ومداخل وعناصر جمالية وزخرفية.



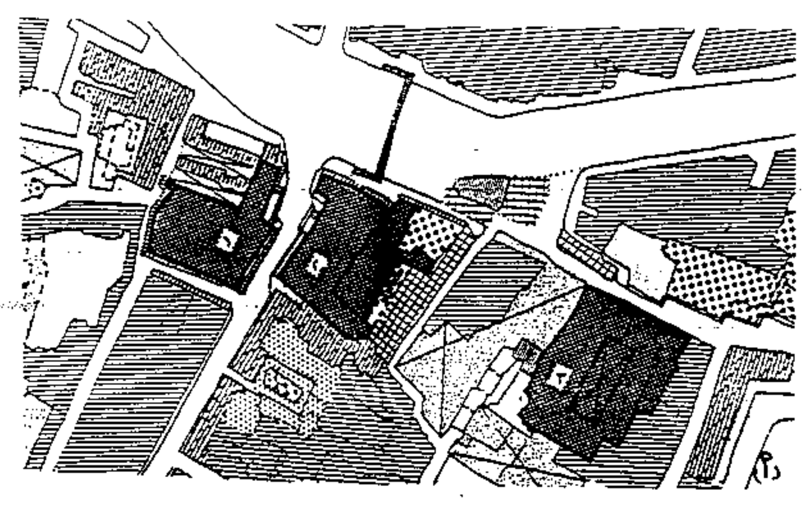
(شكل ١–١٧) كروكى لأحد شوارع المدن الإسلامية يوضح ضيق الشوارع وانحناءاتها للحماية من أشعة الشمس
المصدر: م./ عزة حسين رزق "الخصائص البصرية للمدينة الإسلامية فى فترة العصور الوسطى"، ١٩٧٧

كما عملت اتصالات بين الحارات عن طريق ممرات أسفل المبانى (الساباط) وبالتالى فاننا نرى فى كثير من شوارع المدينة الاسلامية أجزاء مسقوفة. يتصل فيها المبانى الموجودة على جانبى الطريق وذلك فى الأدوار العلوية وتعد هذه من مظاهر ترابط الجانب المعمارى السائد فى مبانى المدن الاسلامية مع الجانب العمرانى المميز لشوارعها ونسيجها المتضام.

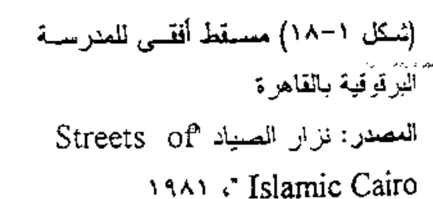
[16] Al-Sayyad, N., "**Streets of Islamic Cairo**", Massachusetts Institute of Technology", Massachusetts 1981. p87

[17] د. صالح لمعى: "التراث المعمارى الإسلامى فى مصر"، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٤، ص ٧٥

ولقد راعى المهندس عند التصميم علاقة ارتفاع المبنى وعرض الطرق وذلك لتوفير التهوية والاضاءة الكافية داخل المبانى. كذلك عمل شطف بركن المبنى بالطابق الأرضى فى حالة وقوع المبنى على شارعين لاعطاء زاوية رؤية أفضل بالنسبة لحركة المواصلات. كذلك روعى تكوين مساحات صغيرة عند انحناء الشوارع وخاصة أمام مداخل المبانى الدينية حيث يتجمع عدد كبير من الناس أثناء الخروج أو الدخول وقت الصلاة (شكل ١-١٨) ولقد لوحظ احترام المبنى لخطوط التنظيم المحددة للشوارع لهذا نرى أن حد الحائط الخارجى يسير بخطوط منكسرة بينما الحد الأخر داخل المبنى عبارة عن خط مستقيم.

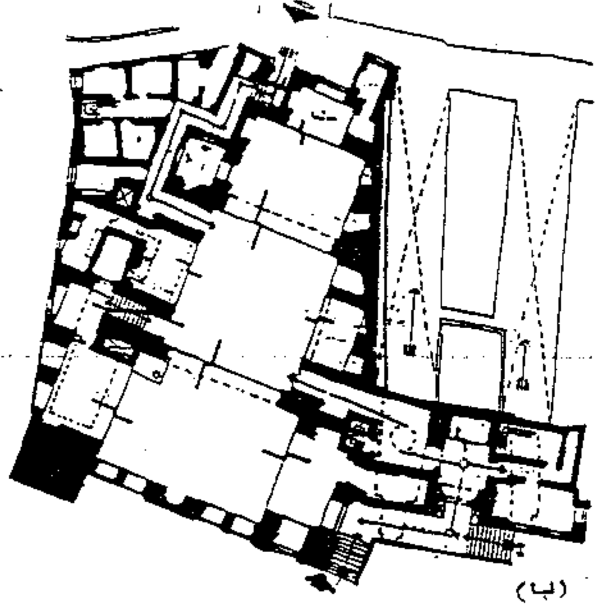


١- مبنى المدرسة والمسجد
٢- مبنى السبيل والمقعد والكتاب
٣- مبنى الوكالة



(شكل ١-١٨) مسقط أفقى للمدرسة البرقوقية بالقاهرة
المصدر: نزار الصياد "Streets of Islamic Cairo"، ١٩٨١

وقد روعى فى تنظيم الفراغات بين المبانى أن تكون هذه الفراغات عنصر جذب وربط بينها بحيث يظهر انتماء هذه المبانى لبعضها، وهذا ما نراه فى مجموعة السلطان الغورى (٩٠٩ - ٩١٠ هـ /١٥٠٤ - ١٥٠٥ م) فقد شكل مبنى المدرسة ومبنى المدفن والسبيل والكتاب أعلاه بحيث احتضن البنيان ساحة بينهما يتناسب مسطحها مع مسطح وارتفاع المبانى المذكور بحيث تم عمل ربط فراغى بينهما (شكل ١-١٩أ، ب) كما روعى فى وضع السلالم أمام المبانى اتجاه الحركة.



(شكل ١-١٩أ، ب) مسقط أفقى لمجموعة الغورى حيث يوضح (أ) موقع عام لمبنى المدرسة والمسجد والسبيل والكتاب والوكالة، ويوضح (ب) مسقط أفقى لمدرسة ومسجد السلطان الغورى
المصدر: محمد أمين محمد، "عمارة المجمعات المعمارية المتكاملة حتى نهاية العصر المملوكى"، ١٩٨٧

كما روعى فى التصميم دراسة علاقة كل مبنى بالنسبة للشارع وتسلسل وتكوين الفراغات أمامها جميعا. وكذلك علاقة هذه المبانى مع بعضها، فقد حرص كل مهندس على إظهار مبناه ولكن بدون أن يؤثر ذلك على المبانى المجاورة.

أما خارج المدينة فلم يقابل المهندس هذه الارتباطات والالتزامات الموجودة داخل المدينة وقد أتاح ذلك له المرونة الكاملة فى التشكيل ووضع العناصر فنراه يحاول ايجاد التوازن والتماثل بين عناصر المبنى.[١٨]

[١٨] د. صالح لمعى: "التراث المعمارى الإسلامى فى مصر"، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٤. صـ ٧٦،٧٥.

٤/١ المناطق المركزية بالمدن الإسلامية فى فترة العصور الوسطى:

كما يوجد فى التخطيط الحديث للمدن مناطق تتمركز فيها معظم الأنشطة والأعمال الهامة وتعرف هذه المناطق بالمناطق المركزية فإنه يوجد أيضا فى مدن العصور الوسطى مناطق تعرف بالمناطق المركزية.

١/٤/١ تعريف المناطق المركزية:

تميزت المدن الإسلامية فى فترة العصور الوسطى بوجود مناطق بها مخصصة لمزاولة الأنشطة الإقتصادية، وهى المناطق التى تتم فيها حركة البيع والشراء وكل الأنشطة الخاصة بالتجارة، وتسمى هذه المناطق بالمناطق المركزية. وهى تتميز بوجود سمات معمارية وعمرانية خاصة بها تختلف عن غيرها من المناطق كالمناطق السكنية والمناطق الدفاعية كالقلاع والحصون وغيرها.

ومن ضمن الأنشطة التى اشتملت عليها هذه المناطق التعليم حيث انتشرت دور العلم والمدارس فى المدينة الإسلامية فى العصور الوسطى، وكان ذلك خير دليل على الإهتمام بالتعليم كوسيلة لرفع المستوى الثقافى والإجتماعى، وخاصة أن دور المسجد ما زال موجودا إلى الآن فى التعليم، إلا أنه اقتصر على تحفيظ القرآن. وكانت هذه المدارس تقوم بتدريس علوم الدين من شريعة وفقه وتفسير ومذاهب ورياضيات وفلسفة ومنطق[١٩].

كما ظهرت مبانى للخدمات الصحية عرفت بالبيمارستان؛ وقد وصل عدد هذه المستشفيات العامة –و التى تقدم خدماتها بالمجان– إلى خمسة مستشفيات فى فترة حكم الدولة المملوكية، وقد كان إنشاء هذه المستشفيات دليلا على الإهتمام بالصحة العامة، وخاصة أن الخدمة بها كانت مجانية، سواء فى الإقامة بالمستشفى، أو تقديم الوجبات الغذائية اللازمة والأدوية والعقاقير والإشراف الطبى[٢٠].

---

١٩ د. أحمد رأفت الزغبى: " إحياء التراث المعمارى و التخطيطى لقاهرة الفاطميين "، دكتوراه غير منشورة، جامعة عين شمس، القاهرة، ١٩٧٣ . صـ ١٠٨

٢٠ نفس المصدر السابق: صـ ١٠٨

وقد لعب المسجد دورا هاما فى المدينة الإسلامية، حيث كان يجتذب الناس لأداء فريضة الصلاة خمس مرات يوميا، بالإضافة إلى ماكان يؤديه من مهام إجتماعية، مثل التشاور بين الناس فى أمور الدين والدنيا. وارتبط المسجد بمجموعة من الوظائف الأخرى فألحقت به المدارس والحمامات العامة، التى ارتبطت بالنظافة والدين، وأصبحت مكان يلتقى فيه الناس للإستحمام وقضاء الوقت فى التسامر والتشاور. كذلك ألحقت بالمسجد أنشطة أخرى كالأسبلة والتكايا.

و فى المركز أيضا ظهرت مجموعة من المبانى ذات الأهمية التجارية والتى كانت تعد أسواقا إقليمية هى الخانات والوكالات، وقد كان يأتيها التجار من أماكن بعيدة، ويقيمون فى الربوع التى تعلوها، حتى ينتهوا من أعمالهم التجارية.

هذا بالإضافة إلى ظهور الشوارع التجارية فى منطقة مركز المدينة، وكانت تتكون من دور واحد من مجموعة من الحوانيت الخاصة ببيع سلعة معينة، تعلوها مساكن أصحابها، وتفتح هذه الحوانيت مباشرة على الشوارع التجارية المغطاة أو شبه المغطاة أو المكشوفة.

٢/٤/١ السمات المميزة للمناطق المركزية:

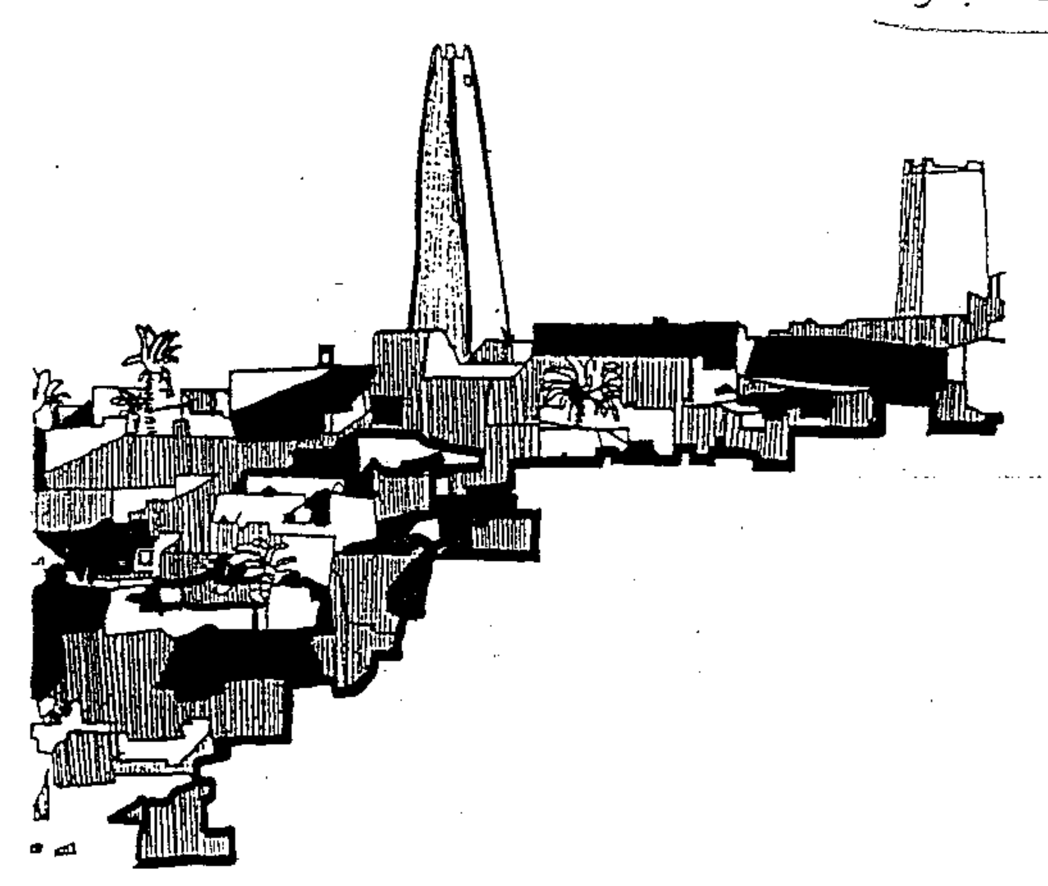
تميزت المناطق المركزية بالمدن الإسلامية بمجموعة من السمات والملامح والتى تجعلها مختلفة عن غيرها من المناطق، ويمكن تصنيف تلك السمات إلى سمات عمرانية وأخرى معمارية.

١/٢/٤/١ السمات العمرانية:

يعتبر التشكيل العمرانى لمركز المدينة من العناصر الهامة التى ميزت مركز المدينة الإسلامية فقد كانت العلاقة بين عناصر المبنى (سواء السكنى أو المبانى العامة كالوكالات والقيساريات و غيرها) والشوارع التى تحده علاقة ثانوية بوجه عام، حيث كانت هذه العناصر تفتح على الداخل حول فناء يؤمن التهوية والإضاءة الطبيعية اللازمة لها، إلى جانب إضفاء الهدوء على سكانه، تاركة بذلك الحوائط الخارجية على هذه الشوارع صماء فى معظمها إلا من بعض الفتحات الصغيرة، بهدف تحقيق الخصوصية إلى جانب الحماية من مضاعفات الأشعة الشمسية المنعكسة[٢١].

[٢١] د. محمد بدر الدين الخولى: " المؤثرات المناخية و العمارة العربية "، جامعة بيروت العربية، بيروت، ١٩٧٥. صـ ٤٦

كما قد أدى اتباع فكرة النسيج العمرانى المتضام (Compact Urban Tissue) للمدينة الإسلامية إلى تجميع المبانى المختلفة وتلاصقها على امتداد الشوارع، مما جعل مواقع هذه المبانى ذات مساحات محددة (أشكال ١-٢٠، ١-٢١). ونظرا للترابط الاجتماعى القوى بين أفراد الأسرة الواحدة، فإن سكن الآباء والأولاد والأحفاد معا كانت تحتمه طبيعة هذه العلاقة القوية بينهم، مما أدى إلى زيادة أفراد الأسرة الواحدة على مر السنين، وكان طبيعيا أن تزداد عناصر المسكن لتستوعب هذه الزيادة العددية في أفراد العائلة، وكان السبيل الوحيد للإمتداد مع تحديد مساحة المسكن، هو الامتداد الرأسي بطوابقه، أو أجزاء من هذه الطوابق، حسب الحاجة، ممانتج عنه الاختلاف في ارتفاع المباني المتجاورة والمتلاصقة، فساعد ذلك على تظليل أجزاء كبيرة من الأسقف لهذه المبانى، كما أدى إلى التقليل من تعرض الأسطح الخارجية لهذه المبانى لأشعة الشمس المحرقة وما ينتج عنها من طاقة حرارية ضاغطة خلال ساعات النهار[٢٢]؛ كما ارتبطت مناطق التجمع السكنى بمواقع العمل بصفة مباشرة[٢٣].



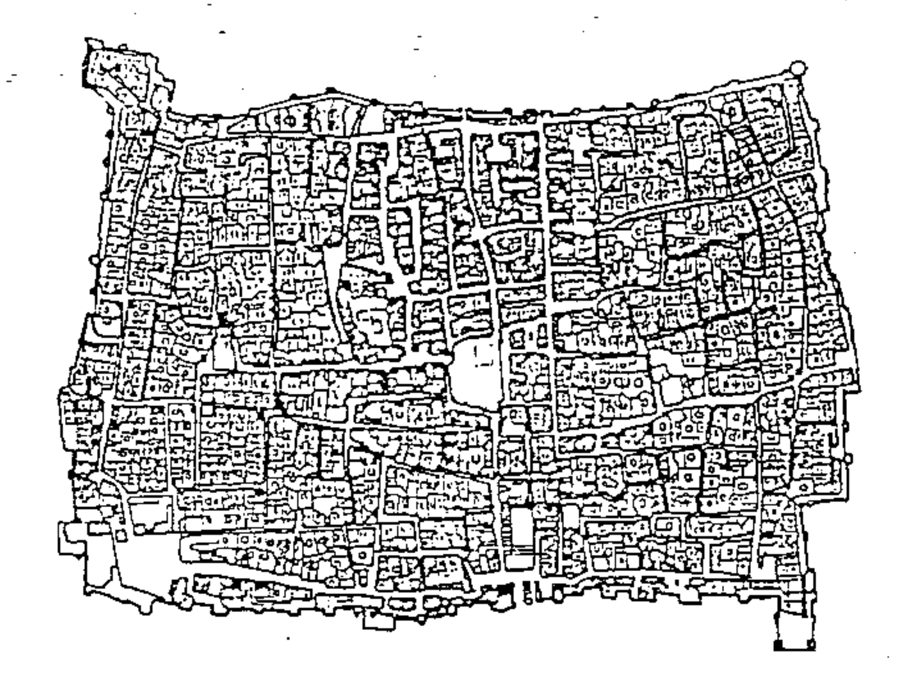
(شكل ١-٢٠) أحد أحياء مدينة الجزائر ويتضح فيها النسيج المتضام

المصدر: م./ عزة حسين رزق "الخصائص البصرية للمدينة الإسلامية فى فترة العصور الوسطى"، ١٩٧٧

---

[٢٢] د. محمد بدر الدين الخولى:" المؤثرات المناخية و العمارة العربية "، جامعة بيروت العربية، بيروت، ١٩٧٥. صـ ٤٦

[٢٣] د.م . توفيق أحمد عبد الجواد:" العمارة الإسلامية فكر و حضارة "، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٧. صـ ٩٦



(شكل ١-٢١) مسقط أفقى لمدينة صفاقس بتونس يوضح استخدام النسيج المتضام

المصدر: م./ عزة حسين رزق "الخصائص البصرية للمدينة الإسلامية فى فترة العصور الوسطى"، ١٩٧٧

ومن ضمن السمات العمرانية المميزة لمركز المدينة الإسلامية فى فترة العصور الوسطى أن الشوارع بها كانت ضيقة، علاوة على ما بها من انحناءات كثيرة، وما يطل عليها من أبراج ومشربيات تكون فى مجموعها مظلة تقى السائر على قدميه من لهيب الشمس وصقيع الشتاء على السواء، علما بأن ذلك كان يؤدى إلى زيادة الظلال على واجهات المبانى، هذا بالإضافة إلى أن وسائل الانتقال نفسها فى هذه الأوقات لم تكن تستدعى عروضا أكبر من ذلك[٢٤].

كما أن تجنب إنشاء الشوارع المستقيمة والعرضية، والتى تكون بمثابة أنفاق للرياح العاصفة المحملة بالأتربة شتاءا أو العاكسة للحرارة ولهيب الشمس صيفا، كان له فائدة كبيرة فى حماية المشاة من أشعة الشمس اللافحة أثناء تنقلهم بين الأجزاء المختلفة للمدينة نهارا وخاصة فى الشوارع والمناطق التجارية.[٢٥]

ومن ناحية أخرى فقد غلبت الوظيفة الدفاعية على معظم المدن الإسلامية -فى تلك الفترة- لذا أحيطت بالأسوار، وأقيمت عند نهايات شوارعها البوابات والقلاع، كما أقيمت البوابات التى تقفل الأحياء وتؤمنها ليلا. و قد ساعدت طبيعة الشوارع المتعرجة -بالإضافة

---

[٢٤] د. أحمد رأفت الزغبى:" إحياء التراث المعمارى و التخطيطى لقاهرة الفاطميين "، ١٩٧٣. صـ ١٠٦

[٢٥] م. عزة حسين رزق: " الخصائص البصرية للمدينة الإسلامية فى فترة العصور الوسطى "، رسالة ماجستير غير منشورة، هندسة القاهرة، القاهرة، ١٩٧٧. صـ ٨٩

لما لها من وظائف مناخية- على تأكيد دواعى الأمن ومتطلبات الدفاع لهذه المدن، كما ساهمت فى تحقيق مبدأ الأمان على مستوى كل حى من الأحياء السكنية، وعلى مستوى المدينة ككل.[٢٦]

هذا وقد تشابهت خصائص الأماكن العامة كالطرق فى مراكز المدن الإسلامية، إذ أن شوارعها كانت ضيقة ومنحنية، وكثر خروج المبانى عليها من الجانبين وبها ساباطات لأنها ما بقى من إحياء الناس للأرض. وهذا لايعنى أنها لم تكن ملائمة للسكان، فهى ضيقة بالنسبة لنا الآن لتغير متطلباتنا اليوم، بينما كانت أفضل حل لهم فى فترة العصور الوسطى[٢٧] (أشكال ١-٢٢، ١-٢٣).

(شكل ١-٢٢) مدينة تطوان بالمغرب و يظهر بها أن الشوارع بالمدن التقليدية كانت ضيقة و منحنية وكثر خروج المبانى عليها من الجانبين، وبها ساباطات.
المصدر : جميل عبد القادر أكبر " عمارة الأرض فى الإسلام "، ١٩٩٢.





(شكل ١-٢٣) موقع بالمغرب ويظهر به ضيق الشوارع واتصال المبانى من أعلا
المصدر : جميل عبد القادر أكبر " عمارة الأرض فى الإسلام "، ١٩٩٢.

٢٦م. عزة حسين رزق: " **الخصائص البصرية للمدينة الإسلامية فى فترة العصور الوسطى** "، رسالة ماجستير غير منشورة، هندسة القاهرة، القاهرة، ١٩٧٧. صـ ٨٩

٢٧ جميل عبد القادر أكبر:" عمارة الأرض فى الإسلام "، ١٩٩٢ . صـ ١٦٤

١/٤/٢/٢ السمات المعمارية:

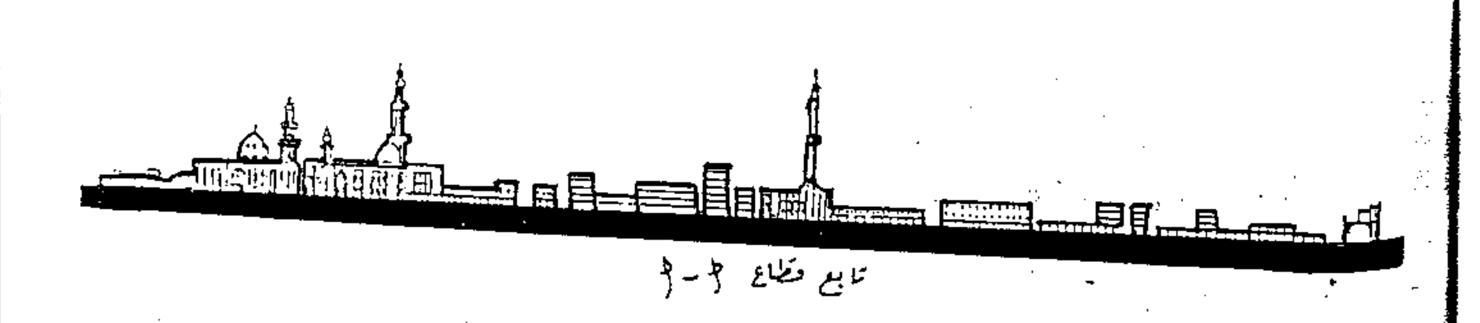
من السمات الهامة التى ميزت منطقة المركز بالمدينة الإسلامية الواجهات، حيث كان لها تشكيلا مميزا وإيقاعا خاصا؛ أهم ما يميزه هو الفرق الكبير بين نسبة السد: المفتوح حيث نجد أن نسبة السد تفوق بحد كبير نسبة المفتوح لدواعى بيئية واجتماعية كان من أهمها توفير واحترام خصوصية البيوت، وذلك وفقا لقوله تعالى: " يا أيها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون "[٢٨].

كذلك تميز خط السماء بانسيابيته و تقارب الارتفاعات به، باستثناء بعض الأجزاء به والتى كانت تتمثل فى المآذن وبعض مبانى المجمعات التى ظهرت فى أواخر العصور الوسطى والتى كانت بمثابة بعض النقاط التى تكسر الإيقاع المستمر لخط السماء وذلك لإظهار أهمية خاصة لهذه المبانى (شكل ١-٢٤).

(شكل ١-٢٤) واجهة طولية لمدينة القاهرة القديمة توضح خط السماء المميز للمدينة الإسلامية.

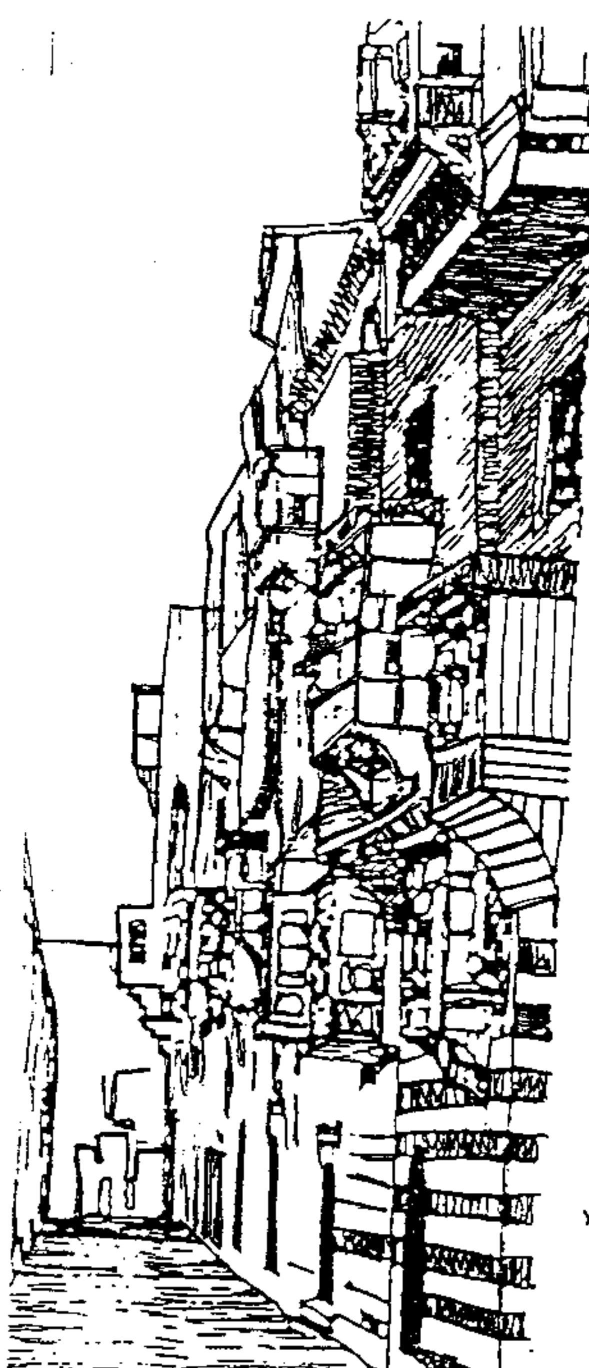
المصدر : نزار الصياد، (Streets of Islamic Cairo)، ١٩٨١.

مسقط أفقى لمدينة القاهرة يوضح مكان الواجهة (أ-أ)



٢٨ القرآن الكريم: سورة النور، آية ٢٧

وقد كان من الطبيعى استعمال الحوائط السميكة من الطوب أو الأحجار أو الطين ولقد نشأت خواص المنطقة المركزية وكذلك المناطق السكنية من النمو العضوى للمبانى.[٢٩]



وقد كان لقطاع الشارع بالمنطقة المركزية من المدينة سمات خاصة حيث كان متسعا فى مستوى الدور الأرضى ويضيق كلما اتجهنا للأدوار العليا، مما يوفر مساحات مظللة من المبانى، ومما كان له تأثير كبير على السكان من النواحى الاجتماعية، حيث يوفر ذلك التقارب والألفة بين السكان (شكل ١-٢٥).

(شكل ١-٢٥) واجهة بإحدى المدن الإسلامية توضح بروز أبراج المشربيات وصغر عرض الطريق كلما زاد الارتفاع، و أثر ذلك فى تظليل واجهات المبانى.
المصدر : م./ عزة حسين رزق: " الخصائص البصرية للمدينة الإسلامية فى فترة العصور الوسطى "، ١٩٧٧.

٢٩ د.م. توفيق أحمد عبد الجواد:" العمارة الإسلامية فكر و حضارة "، ١٩٨٧. صـ ٩٥

١/٥ خلاصة الفصل الأول:

من الدراسة التى تعرضنا لها فى هذا الفصل توصلنا إلى بعض الحقائق الهامة والتى توضح العلاقة بين العمارة والعمران فى المدن الإسلامية بصفة عامة وفى المناطق الحرفية فى فترة الدراسة بصفة خاصة وهى.

أن هناك وحدة فى ملامح التشكيل (سواء معماريا أو عمرانيا) الخاصة بالمدن الإسلامية وذلك فى فترة الدراسة (منذ بداية العصر الفاطمى وحتى نهاية العصر المملوكى). وأن هذه الوحدة أدت إلى وجود سمات كثيرة مشتركة بين هذه المدن سواء كانت تلك السمات عمرانية (مثل أسلوب التفريغ المتبع فى المبانى، أو عروض الشوارع، أو التوجيه، أو النمو الخاص بالشوارع والمدن، أو وجود عنصر الماء، أو المعالجات المعمارية، أو التركيب الخطى للمدن، أو طرق المواصلات) أو كانت غير عمرانية (مثل التأثيرات المادية، والتأثيرات الروحية، والتأثيرات المعنوية).

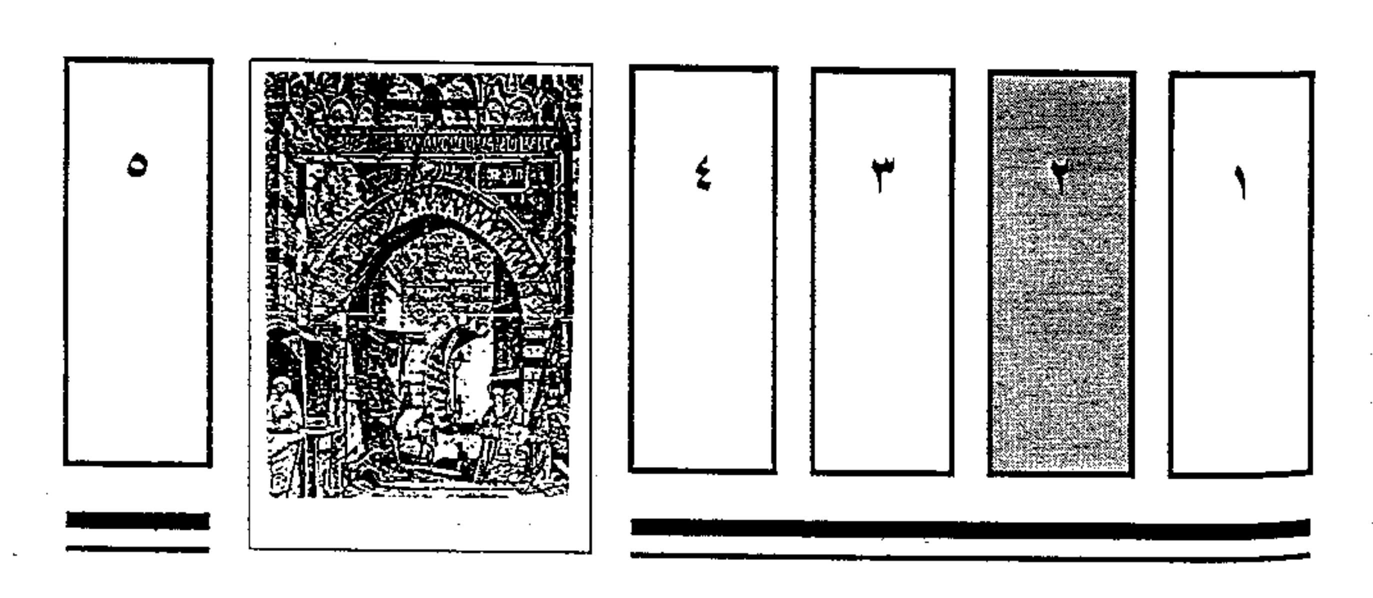
كما أن هناك سمات أخرى خاصة بتشكيل المناطق المركزية، وهى المناطق التى يتركز فيها النشاط الحرفى والتجارى بالمدينة الإسلامية، وهذه السمات أيضا وجد أنها مشتركة فى كثير من المدن الإسلامية، وكانت تلك المناطق مشتركة فى تشكيلها العمرانى وفى خط السماء وخط القطاع بالشارع ومواد البناء والارتفاعات ومعالجات المبانى ونوعية النسيج الخاص بتلك المبانى وضيق وتعرج الشوارع.

ونظرا لأن المدينة الإسلامية تعتمد فى تشكيلها على تعرج وضيق الشوارع، وعلى صورة بصرية معينة تعتمد على توظيف المبانى بوضع معين يتلاءم مع توفير إدراك تتابعى للمتجول فى شوارع وعطفات وأزقة وفراغات المدينة الإسلامية، لذا فإن دراستنا التى تمت فى هذا الفصل والخاصة بتتبع العلاقة بين العمارة والعمران فى المدينة الإسلامية كان لها دور كبير فى توضيح العلاقة الوثيقة والمباشرة بين المبانى(عمارة)، وطبيعة الشوارع والنسيج والتشكيل (عمران) الخاص بالمدينة الإسلامية.

وبذلك فإننا نكون قد تعرضنا بصورة سريعة لدراسة العمارة والعمران بالمدن الإسلامية، والصلة الوثيقة بينهما. وقد ركزنا فى هذا الفصل على دراسة المناطق المركزية بالمدن الإسلامية، وسوف نتعرض فى الفصل التالى بطريقة أكثر تفصيلا للمناطق الحرفية وظروف نشأتها وملامح تشكيلها وصورتها البصرية والذهنية.

الفصل الثانى

المناطق الحرفية فى المدن الإسلامية



١/٢ مقدمة الفصل الثانى:

يتعرض هذا الفصل بصورة أكثر تركيزا للمناطق الحرفية فى المدن الإسلامية فى الفترة من بداية عهد الفاطميين وحتى نهاية عهد المماليك، حيث ندرس فيه ملامح تشكيل تلك المناطق وظروف نشأة الطوائف الحرفية وانتشارها ونظام العمل بها فى تلك الفترة. كما نجد أن لنظام الدولة (السياسى والإدارى) تأثيرا واضحا وفعالا على الاقتصاد الذى يتم بالدولة، والمتمثل معظمه فى الأنشطة الحرفية والتجارية.

كما أننا سوف نتعرف فى هذا الفصل على بعض الوظائف والمناصب الخاصة ببعض الأفراد والمعينين من قبل الدولة، كما سيتم التعرف على مناصب أخرى لبعض الأفراد فى المجتمع الحرفى ولكنهم يخضعون لتنظيمات أهلية.

ومن الأسس الهامة فى أسلوب إدارة أو تنظيم أى مجتمع أن تكون له قوانين تحدد العلاقات والتعاملات فيه مما يقلل من حجم المشاكل الناتجة عن الاختلافات فى الآراء، كما يحد من التعديات على حقوق الغير. لذا فمن النقاط الهامة التى يتعرض لها هذا الفصل أيضا دراسة القوانين التى لها علاقة بتشكيل المناطق الحرفية والتجارية والتى تنظم الوضع بهما وتقودنا إلى استنتاج أسس نجاح هذا المجتمع الحرفي في ذلك العصر.

كما يتعرض هذا الفصل لدراسة نوعيات الأسواق والمناطق الحرفية، وتأثير هذه النوعيات على الصورة البصرية المميزة للمناطق الحرفية بالمدينة الإسلامية.

٢/٢ ملامح تشكيل المناطق الحرفية فى المدن الاسلامية:

كما أن هناك ملامح خاصة بتشكيل المدن الاسلامية والتى يظهر تأثيرها على المعطى المعمارى والطابع العمرانى للمدينة ككل؛ فان هناك أيضا ملامح خاصة بتشكيل المناطق الحرفية بالمدن الإسلامية القديمة، وذلك بصفة هذه المناطق مناطق تمركز وتجمع للنشاط التجارى، و بصفتها المركز الاقتصادى للمدينة.

وبداية يجب ذكر ظروف نشأة الطوائف الحرفية ومعرفة الغرض أو الوقت أو الظروف التى بدأت تتكون فيها مناطق تجمع للحرفيين والتى بدأت فيما بعد تكون فيما بينها مناطق تمركز لكل حرفة بمفردها.

١/٢/٢ ظروف نشأة الطوائف الحرفية و تطورها فى مصر الأسلامية:

١/١/٢/٢ معنى كلمة طوائف:

تكونت بالمجتمع فى مصر الاسلامية طوائف متعددة. وهى تجمعات خاصة بكل مجموعة متوافقة من الناس أو من أصحاب الحرف. ولذلك فقد كان هناك نوعين من الطوائف:

١/ طوائف للمتخصصين(Professional Organizations) وهى طوائف لذوى أصحاب الحرفة الواحدة أو التجار أو ذوى المهنة الواحدة، وكانوا عادة لهم حوانيت فى منطقة واحدة، تعرف باسمهم مثل (النحاسين – الصاغة – المغربلين).

٢/ كما كان هناك طوائف للمجتمع (Community Organizations) على النطاق الدينى والقومى مثل (المسيحيين – اليهود – المسلمين الأجانب)[1] وكان لكل جماعة منهم مكان خاص بإقامتهم وأحيانا يسمى باسمهم مثل (حارة النصارى – حارة اليهود). وقد ذكر كتاب وصف مصر أنه:

" فى المدن الرئيسية فى البلاد الإسلامية كمدينة القاهرة فاننا نجد تمركز كل ضرب من ضروب الصناعة فى حى خاص. وهكذا نجد شوارعا بأكملها لا يعيش فيها سوى النحاسين، وأخرى لاتصادف بها سوى الفطاطرية وباعة الحلوى الآخرين، وهناك نوع ثالث من الشوارع التى يشغلها السروجيون وصناع مهمات الخيل، و كذلك نجد أحياء خاصة بالصاغة وتجار المجوهرات ونقاشيها وتوجد بها مصانعهم، ويحرس ويقفل هذا الحى بحرص وعناية أكثر مما يحدث فى الأحياء الأخرى ".[2]

---

[1] Raymond, A., " The Great Arab Cities in the 16th - 18th Centuries ", 1984 .p.18

[2] علماء الحملة الفرنسية: "وصف مصر" (الجزء الأول)، ترجمة زهير الشايب، مكتبة الخانجي،القاهرة، ١٩٨٠. صـ ٣٣٩ – ٣٤٠

وقد كانت الطوائف المهنية عنصـرا أساسيا فـى الحياة المدنيـة؛ فقد كـانت تمثـل بالنسبة للسلطات إطارا يمكنها من الإشراف علـى قرابـة معظم الشعب العامل بالمدينـة من صناع وتجار.[٣]

وقد كانت طوائف الحرفيين عبارة عن طوائف للصناعات القديمة، وهى كانت تتكون من الصناع أو أرباب المهنة الواحدة. ويقصد بالصناع الأشخاص الذين تخصصوا فـى صناعة من الصناعات، والذين يمتلكون الأدوات التى يعملون بها وقد يمتلكون جانبا من الخامات التى تتطلبها العمليات الصناعية. فالطوائف إذن كانت إتحادا بين أرباب العمل يرمون به إلى تحديد عدد الذين ينتمون إلى المهنة والصناعة ووضع النظم التى تحول لصغار العمال (الصبيان) الارتقاء إلى مركز رب العمل، وتحديد الأسعار المنافسة وما إلى ذلك. وهى تشبه إلى حد كبير النقابات الموجودة للمهن العليا.

وكانت تسمى تلك النقابات المهنية فى أوروبا (Guilds or Corporations)، وهى تختلف عن النقابات واتحادات العمال فى العصر الحاضر من نواحى عديدة.[٤]

وكانت الطوائف عبارة عن رابطة إدارية، من تلك الروابط القليلة التى أتيح لها أن تقوم بين السلطات والرعية، وقد ظلت تلعب هذا الدور إلى أن نجحت السلطات المصرية فى نهاية القرن التاسع عشر فى إنشاء جهاز إدارى قادر على الحلول محل هذه الطوائف.

٢/١/٢/٢ نشأة الطوائف الحرفية:

هناك آراء عديدة ذكرت فى هذا الأمر نظرا لأهميته و قدمه فى نفس الوقت.و من أهم هذه الأراء نستعرض ما يلى:

يرى ماسينيون (*Massignon*) أن نشأة الطوائف فى المدن الاسلامية يرجع إلى القرن الثالث عشر الهجرى/ التاسع عشر الميلادى.[٥]

هذا وقد اعتبرت رسائل إخوان الصفا أقدم بيان ذكر عن تنظيم الطوائف، وقد كان ذلك فى القرن الرابع عشر الهجرى. وإخوان الصفا هى جمعية سرية، سياسية، دينية، شعبية

---

[٣] آندريه ريمون: " فصول من التاريخ الاجتماعى للقاهرة العثمانية "، ١٩٧٤. صـ ١٤

[٤] راشد البراوى: " حالة مصر الاقتصادية فى عهد الفاطميين "، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٤٨. صـ ١٨٥

[٥] حسين مصطفى رمضان: " طوائف الحرفيين و دورهم الاقتصادى و الاجتماعى و الثقافى فى مصر الاسلامية "، رسالة دكتوراة غير منشورة، كلية الاثار (قسم الآثار الإسلامية)، جامعة القاهرة، القاهرة، ١٩٨٧. صـ ٢٠

بدأ نشاطها في البصرة ثم انتشرت في مختلف البلدان في القرن الرابع عشر الهجري،
وكانت غايتها السعي لإسعاد النفوس و تهذيبها.[6]

أعتبر أن تنظيم هذه الطوائف قد بلغ أوج ازدهاره في الخلافة الفاطمية حيث عاشت البلاد متمتعة بالاستقلال السياسي التام على مدى قرنين من الزمان بغض النظر عن جنسية الأسرة الحاكمة أو أصلها. ولاريب أن هذا كله عجل بعملية التطور والنهوض وسار بها خطوات سريعة إلى الأمام.[7]

وقد امتاز العصر الفاطمي بحياة اجتماعية يميزها الترف والبذخ لم تشهدها البلاد من قبل وذلك بسبب التقدم التجاري. وقد أدت هذه الحياة الاجتماعية المترفة والتي أدهشت ناصر خسرو، كما أدهشت الصليبيين من بعده إلى تقدم الصناعة من حيث الكم والكيف وألقت أعباء جديدة على الإنتاج الصناعي المحلي. وإلا كيف يتسنى للإنتاج الصناعي المحدود أن يسد حاجة البلاط الفاطمي وحياة الترف التي سادت المجتمع في القاهرة والفسطاط، وكيف تستطيع صناعة قاصرة أن تمد جيش الفاطميين وأسطولهم بما يلزم من سلاح وعتاد حربي وملابس لكافة طوائف الجند ورجال الأسطول.[8]

هذا وقد بقيت تنظيمات أرباب الحرف على صورة متواضعة جدا خصوصا في الدولة العثمانية وحتى السنوات الأخيرة من القرن التاسع عشر.

ويرى برنارد لويس أن هذه الطوائف الحرفية هي متممة للطوائف البيزنطية كمصر وسوريا وذلك حتى القرن السابع الهجري. كما يذكر أنه في نهاية القرن التاسع الهجري نجد عددا لا بأس به من المصادر يشير إلى وجود شيء من نظام التكتل بين التجار وأصحاب الحرف. ولكن هذه الأصناف لم تصل بعد إلى درجة يصبح اعتبارها نموذجا للأصناف الإسلامية، وإنما هي مجرد تنظيم عام وضبط للأسواق والحرف.[9] وقد احتفظ الأمراء المسلمين بالسيطرة على الحرف كما كان البيزنطيين يفعلون. ثم حدث تطور كبير في القرن التالي.

ويرى راشد البراوي أن أصول نظام الطوائف كانت قد بنيت في مصر في العصر الروماني إن لم يكن قبل ذلك بكثير، وأنه ازداد نمو الطوائف في العصور الوسطى لأنها فترة

---

٦ حسين مصطفى رمضان: " طوائف الحرفيين و دورهم الاقتصادي و الاجتماعي و الثقافي في مصر الاسلامية "، صـ ٢٠

٧ راشد البراوي: " حالة مصر الاقتصادية في عهد الفاطميين "، ١٩٤٨. صـ ١٢٠

٨ نفس المصدر السابق: صـ ١٢٢

٩ حسين مصطفى رمضان: "طوائف الحرفيين و دورهم الاقتصادي و الاجتماعي و الثقافي في مصر الاسلامية "، ١٩٨٧. صـ ٣٢

امتازت فى كل أنحاء العالم المتمدين بروح التضامن بين أفراد الهيئات والجماعات المختلفة. ويذكر كذلك أن أصل نشأة الطوائف نتج عن طريق انضمام المشتغلين بحرفة واحدة إلى بعضهم بهدف الدفاع عن مصالحهم، ثم بمرور الزمن أصبح لهذه الطوائف دور اقتصادى واجتماعى، كما صار لها تقاليد لايجوز الخروج عنها، وقيم وأحكام يجب اتباعها.

ويرى عبد العزيز الدورى أن تنظيمات أهل الصنائع والحرف سارت ببطء وتدرج ضمن الظروف العامة المحيطة بها، فقد بدأت بالتجمع فى أسواق ومحلات خاصة لكل صنف نتيجة الشعور بالمشاركة، وجعلت تحت إشراف العامل على الأسواق، كما رجح أن يكون هذا التجمع موروثا فى المجتمع وأن أثر ذلك قد ظهر بوضوح فى تخطيط المدن الجديدة منذ النصف الثانى للقرن الأول الهجرى، وفى تعيين محلات خاصة للأسواق و انفراد كل صنف بسوقه مما يسر الإشراف الحكومى. كما يذكر أنه فى العصر العباسى حدث تطور فى المجتمع واتجاه نحو العناية بالتجارة والصناعة ونمو المدن وقد أدى ذلك إلى تركيز الإشراف لهذه الصناعات تحت يد المحتسب وأعوانه.

وتعتقد صفى على محمد أن نظام طوائف الحرف ظل قائما بمصر بعد الفتح لأن العرب أبقوا على النظم والتقاليد السائدة فى البلاد المفتوحة. وقد أشارت إلى تركز أصحاب الحرف فى المدن وإلى أن تطور الحياه الاقتصادية وتعقدها قوى الشعور المشترك بين أصحاب كل حرفة وصار لهم فى نطاقها نظام أو عرف خاص يكفل لهم الحماية من المنافسة ويرفع من مستواهم الفنى والمادى ويعمل على تدريب المبتدئين فى الصنعة.[١٠]

وقد حدث فى العصر الفاطمى تغير سياسى كبير صحبه تطور حضارى سريع أدى إلى نشاط حركة الأسواق فى المدن المصرية ورواج الصناعات مما أدى إلى ضرورة إيجاد وحدة تنظيمية لكل طائفة من الطوائف الحرفية. وقد كان المحتسب على رأس هذا التنظيم، كما كان هناك رئيسا لكل صنعة أو حرفة يسمى العريف.

٢/٢/٢ العوامل المؤثرة على تشكيل المناطق الحرفية بالمدن الإسلامية:

تميزت المناطق الحرفية بملامح معمارية وعمرانية اختلفت اختلافا واضحا عما كان فى غيرها من المناطق،.وذلك باعتبارها مناطق تمركز النشاط الاقتصادى والتجارى بالمدينة الاسلامية، وباعتبار هذا المركز واقعا فى قصبة المدينة ومارا بطرق التجارة الرئيسية

---

[١٠] صفى على محمد: " مدن مصر الصناعية فى العصر الإسلامى إلى نهاية عصر الفاطميين "،دكتوراة غير منشورة،كلية البنات، جامعة عين شمس، القاهرة، ١٩٨٥.صـ ٢٧

ومداخل ومخارج المدينة، وبالتالى اكتسب هذا المركز أهمية و تميزا عن غيره من المناطق، وكما سبق ذكره فى الباب السابق فان هذا المركز التجارى الاقتصادى قد سمى بالمدينة العامة (public city).[١١]

ويمكن تقسيم العوامل التى تؤثر على تشكيل المناطق الحرفية من حيث نوع التأثير إلى عوامل عمرانية و التى يندرج تحتها التأثيرات المختلفة: للبيئة والمناخ وطبيعة المكان وظروفه والمواد المتاحة. أما العوامل الغير عمرانية فيندرج تحتها العوامل الاجتماعية والدينية والسياسية والاقتصادية وغيرها.

١/٢/٢/٢ الجوانب العمرانية و ملامح تأثيرها:

طرق المواصلات و تأثيرها:

شهدت طرق المواصلات تطورا كبيرا على مر العصور المختلفة منذ الفتح العربى؛ فقد كان عمرو بن العاص يخصم من جملة المبالغ المتحصلة من الضرائب قبل إرسالها إلى الخليفة القدر اللازم لإدارة شئون البلاد وحاجة الجند، كما كان هناك اعتمادا خاصا يرصد لتطهير الترع وصيانة الطرق وبناء القناطر وترميمها وتهديم الجزر الصغيرة التى تتكون وسط مجرى النيل، وكانت الحكومة تستخدم فى هذا السبيل مائة وعشرين ألف رجل مجهزين بالآلات اللازمة طوال العام صيفا وشتاءا بلا انقطاع تحقيقا لذلك البرنامج المزدوج وهو ضمان الانتقال برا وبحرا عن طريق النيل والترع.[١٢]

وفيما بعد وفى ظل الحكم البيزنطى كانت مصر مخزنا للغلال اللازم لبيزنطة لذا كانت المواصلات البحرية والنهرية موضع اهتمام من قبل موظفى الامبراطورية. وكان واجب صيانة الجسور قائما على نظام السخرة غير أنه كان فى الإمكان أن يتخلص المرء من عبئها بدفعه ضريبة بدل، وقد كان الشعب ملزما بأن يضع ما يملك من قوارب تحت تصرف الشخص الذى يقوم بتحصيل الضرائب.

شهد القرن الرابع عشر تقدما كبيرا فى طرق المواصلات كان سببه الرئيسى هو التنظيم الدقيق للقوافل التجارية، والتى كانت تتلاحق فى فترات منتظمة وكان للأفراد أن

[11] Raymond, A., " **The Great Arab Cities in the 16th - 18th Centuries** ", 1984 .p. 10

[١٢] اسماعيل محمد أبو العينين: " مصر الاسلامية فى العصور الوسطى "، القاهرة ، ص ٢٢-٢٣

...التى نستنتج منها أن السفر بالبر كان ...

لحقوا بها فكانت تنقلات الموظفين كثيرة، والتى نستنتج منها أن السفر بالبر كان أمراً مألوفا.

وقد قام السلطان بيبرس الأول بانشاء بعض الطرق وتحسين البعض الآخر الموجود وذلك لاهتمامه بأن يكون السفر آمنا هينا. ويذكر أنه كان يوجد فندق فى كل منزل يسمى الخان ينزله المسافرون بدوابهم وبخارج كل خان ساقية للسبيل وحانوت يشترى منه المسافر ما يحتاجه لنفسه ودابته.[١٣]

وقد كان للسلاطين المماليك دورا هاما فى تأسيس هذه الفنادق، وكان السلاجقة أسبق إلى بناء نوعين من المبانى على جانبى الطرق بآسيا الصغرى، نوع يسمى الرباط وهو فندق للمسافرين، والثانى يسمى الخان وهو الذى ينزل فيه التجار ببضائعهم.[١٤]

وكانت طرق البريد سواء فى مصر أو سوريا مجهزة بالخانات، كما كانت المراكز الكبرى بها أبنية تسمى بحسب العصر والمكان والغرض الذى شيدت من أجله خانات أو فنادق أو وكالات. وفى مصر كان بها خان عند مدخل المدينة شمالى باب الفتوح (يسمى خان السبيل) وكان مخصصا لإيواء المسافرين بالمجان[١٥]، ثم خصص فيما بعد لإيواء المصابين بالأمراض المعدية وذلك بسبب موقعه على حدود المدينة.

الفناء و دوره فى مزاولة الحرف:

كان واضحا فى الطابع العمرانى للمدن الاسلامية القديمة ظهور الفناء فى المناطق الحرفية ودوره الهام فى انعاش حركة البيع والشراء، وفى امتداد النطاق الخاص بالمناطق الحرفية.

كما كان واضحا حرص أصحاب الحرف المختلفة والباعة المتخصصين فى مختلف أنواع السلع على الاستفادة من الأماكن العامة كالأفنية والطرق والساحات فى اظهار أكبر كم من السلع مما يساعد على تحصيل المزيد من الربح والفائدة عليهم. كما تولدت بالفناء أنواع أخرى من النشاطات والحرف التى كانت لا تحتاج الى أماكن مغلقة كالحوانيت أو الدكاكين التى تتطلبها النوعيات الأخرى من الحرف. ومن أمثلة هذه الأسواق سوق القفصيات الذى

---

١٣ إبن بطوطة: " **الرحلة** "، الجزء الأول، دار بيروت للطباعة و النشر، بيروت، ١٩٨٠. صـ ١١٢.

١٤ اسماعيل محمد أبو العينين: " **مصر الاسلامية فى العصور الوسطى** ". صـ ٤٤-٤٥

١٥ المقريزى: " الخطط المقريزية "، جـ٢ صـ ٩٣

كان بجوار القبة المنصورية، وقد وصفه المقريزى فى الجزء الثانى من كتابه الخطط المقريزية أنه:

> سوق معد لجلوس أناس على تخوت تجاه شبابيك القبة المنصورية وفوق تلك التخوت أقفاص صغار من الحديد مشبك فيها الطرائف من الخواتيم والفصوص والأساور والخلاخيل وغير ذلك.[16]

وفى بعض المدن الإسلامية نجد أن السكان فى حى معين يستفيدون من الفناء فى عرض السلع التى ينتجونها كما فى مراكش بالمغرب.(شكل ٢-١) وفى تونس أيضا نجد استخدام الفناء فى مدخل طريق غير نافذ كمحل للبيع رغم أن الطريق قد لايحتمل ذلك الاستخدام.(شكل ٢-٢)



(شكل ٢-١) بعض المبانى التى تطل على ساحة (فناء) فى وسط السوق بمراكش بالمغرب
المصدر : جميل عبد القادر أكبر "عمارة الأرض فى الاسلام"، ١٩٩٢.





(شكل ٢-٢) استخدام الفناء فى مدخل طريق غير نافذ كمحل للبيع رغم أن الطريق لايحتمل ذلك الاستخدام لذلك نرى الفناء ضيقا والشكل بمدينة تونس
المصدر : جميل عبد القادر أكبر "عمارة الأرض فى الاسلام"، ١٩٩٢.

---

[16] المقريزى: " الخطط المقريزية " جـ٢ صـ ٩٧

وقد يستفيد أصحاب الحوانيت من جزء من الفناء صغير يعتبرونه إمتدادا للمحل الذى يمتلكونه، فنجد فى مدينة بشاور أن أحد أصحاب المحلات قد قام بعمل مظلة باستخدام قطعة من القماش، والتى قد مكنته من زيادة مساحة محله وبالتالى فى عرض أكبر قدر من السلع. وهذه القرارات تنفذ دون أخذ إذن من السلطات.(شكل ٢-٣)

وفى المدينة الإسلامية التقليدية أعطت الشريعة الحق لمن أراد البيع فى الطرقات الواسعة أن يفعل ذلك دون الإضرار بالمارة[١٧]، وتعتبر هذه الخاصية إحدى ميزات المدينة التقليدية والتى جعلت هناك مرونة فى عملية البيع والشراء وعرض السلع، وذلك لعدم التقيد بمساحة معينة للعرض؛ فنجد أنه فى بعض المدن يضطر المارة للتجول بين الباعة الذين امتدت أمتعتهم وسلعهم عبر الطريق إلى أن حولوه إلى سوق مفتوح.(أشكال ٢-٤، ٢-٥)

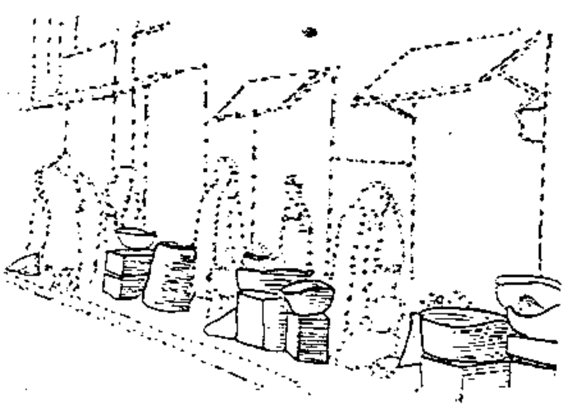


(شكل ٢-٣) صورة لمدينة بشاور الأفغانية توضح حيازة صاحب المحل لجزء من الطريق عن طريق مد مظلة وغرس بعض الأشجار و ذلك للاستفادة من الساحة التى يطل عليها المحل وعمل المظلة أيضا للتقليل من شدة حرارة الجو.
المصدر : جميل عبد القادر أكبر "عمارة الأرض فى الاسلام"، ١٩٩٢.



(شكل ٢-٤) أحد شوارع الجزائر ويتضح فيه استغلال جزء كبير من الطريق فى عرض البضائع.
المصدر : جميل عبد القادر أكبر "عمارة الأرض فى الاسلام"، ١٩٩٢.





(شكل ٢-٥) صورة بمدينة طنجة بالمغرب توضح استغلال الباعة للرصيف لمامهم في عرض بضائعهم مما يقلل من عرض الرصيف و عدم قدرة الماره على استخدامه فى السير و اضطرارهم للسير فى نهر الطريق.
المصدر : جميل عبد القادر أكبر "عمارة الأرض فى الاسلام"، ١٩٩٢.

---

١٧ جميل عبد القادر أكبر: " عمارة الارض فى الاسلام "، ١٩٩٢. صـ ٨٥

كما نجد فى بعض المدن الاسلامية أنه قد قام أصحاب بعض الحرف بعرض سلعهم فى أماكن خاصة بعيدة عن حوانيتهم؛ وذلك كما حدث فى مدينة آسفى بالمغرب حيث نرى أن بعض باعة الأوانى قد نصبوا خيامهم فى الطريق، ولم تعترض على ذلك السلطات طالما اتفق الباعة فيما بينهم.(شكل ٢-٦)



(شكل ٢-٦) صورة لمدينة أسفى فى المغرب توضح بعض الباعه للأوانى و قد نصبوا خيما لهم فى الطريق ولم تعترض على ذلك الشريعة طالما اتفق الباعه فيما بينهم
المصدر : جميل عبد القادر أكبر "عمارة الأرض فى الاسلام"، ١٩٩٢.

شبكة الطرق و دورها:

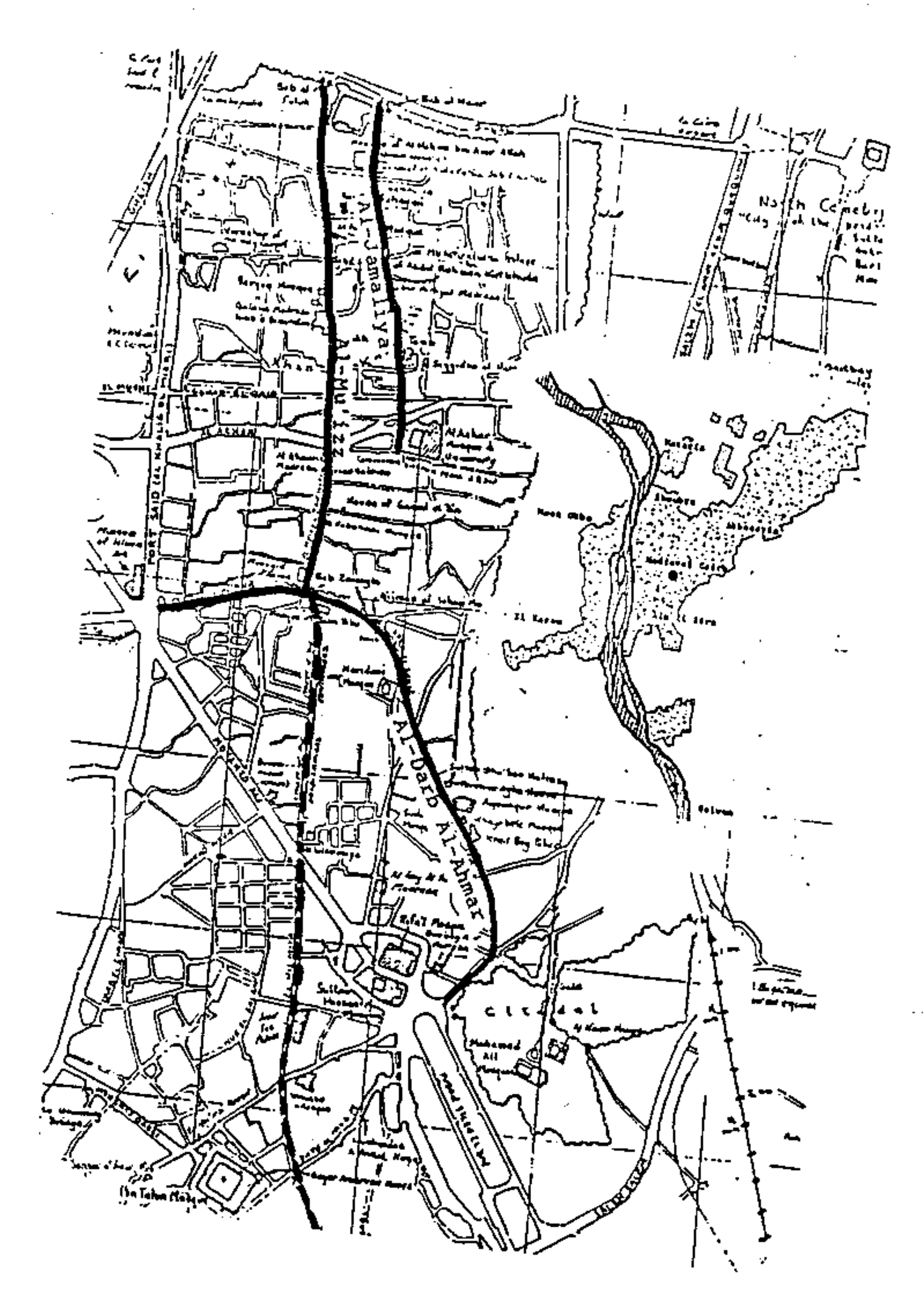
كان للمدن الاسلامية طابعا خاصا ونسيجا متميزا يمكن قراءته بسهولة من المسقط التخطيطى لأى مدينة، وكان هذا النسيج من الممكن أن نميز فيه بعض الشوارع العريضة، والتى تمثل مركز المدينة حيث تجمع الحرف والأسواق والمبانى العامة، وكذلك يكثر بها الباعة الجائلون.

وفى مصر كان هناك ثلاثة طرق عامة رئيسية (شكل ٢-٧) هى:

(أ) **شارع المعز لدين الله الفاطمى**: وهو يبدأ من باب الفتوح وينتهى عند باب زويلة وهو يمثل المحور الرئيسى أو القصبة لمدينة القاهرة الفاطمية، والتى توجد بداخل الأسوار وتسمى (Walled City).

(ب) **شارع الجمالية**: وهو يبدأ من باب النصر وينتهى فى المنطقة أمام جامع الأزهر وهو يمثل المحور التجارى الادارى السكنى.

(ج) شارع الدرب الأحمر: وهو يقع بجوار الحائط الجنوبى لمدينة القاهرة القديمة، ويمتد من باب زويلة وحتى القلعة، وهو يقع خارج أسوار القاهرة.



(شكل ٢-٧) الشوارع الرئيسية بمصر الاسلامية و هى شارع المعز , شارع الجمالية , شارع الدرب الأحمر.

المصدر : نزار الصياد (Streets of Islamic Cairo)، ١٩٨١.

التداخل و/أو التنافر الموجود بين الأنشطة المختلفة والحرف:

نشأت بين أصحاب الحرفة الواحدة فى قاهرة العصور الوسطى تجمعات فى أماكن محددة، وكانت هذه الحرف -كل على حدة- تخضع لطائفة أو نقابة يعين عليها مسئول يسمى شيخ الطائفة. وأدى هذا التجمع فى الحرفة الواحدة الى تسهيل عملية البيع والشراء، والذى أدى الى رواج التجارة فى ذلك العصر.

وقد حدثت بين الحرف المختلفة تجاورات وتداخلات، فنجد تجاور الخيامية مع شارع السروجية بالرغم من وجود أنشطة مختلفة تتم بكل منهما، فالأولى لصنع مستلزمات الخيام من أقمشة وحبال وغيرها، والأخرى لعمل كل المستلزمات الخاصة بالخيول من سروج وحدوات و .....الخ، كما أن هذه المناطق قد حدث بها تداخل للأنشطة مع الحرف، ومن هذه الأنشطة الدراسة، العبادة، السكن، وغيرها. فنجد أن جزءا من شارع المعز يشتمل على حوانيت لمزاولة حرفة معينة وكذلك يحتوى على مساجد، أسبلة، تكايا، مدارس، وغيرها. ولكن كل هذه التداخلات والتجاورات كانت مدروسة ولا تمثل مطلقا اتجاها عشوائيا فى اتخاذ القرارات، وانما نجد أن مركز المدينة كان مثالا للتجمع التجارى الحرفى السكنى.

وفى عهد الخلافة الفاطمية كانت كل حرفة أو تجارة تخضع لنقابة معينة، ويرجع ذلك إلى أصول بيزنطية ورومانية. وكانت السيطرة أو التحكم فى أمور الأسواق والحرف تتم عن طريق أو بمشورة المحتسب، الذى كان مكلفا بمراقبة الأسعار، والتأكد من جودة السلع، وجمع الضرائب.[١٨]

عنصر التسقيف و دوره:

ظهرت بالمدن الاسلامية بعض النواحى الخاصة بالمعالجات المعمارية لبعض المناطق الحرفية والأسواق، وكانت هذه المعالجات أو الأساليب تتخذ من قبل الأفراد القاطنين بهذه الأماكن لكى يعالج قصورا أو عيبا فى المناخ أو البيئة المحيطة بما يتلاءم مع ظروفهم المعيشية، وتجارتهم، وحرفهم، ومختلف الأنشطة التى يزاولونها.

فنجد أنه فى بعض المناطق قام مستخدموا هذه المنطقة بعمل تلك المعالجات، أما فى بعض المناطق الأخرى فان هذه المعالجات أو الحلول قد أتت من قبل المالك.

---

١٨ جميل عبد القادر أكبر: " عمارة الارض فى الاسلام "، ١٩٩٢ص ١٣

مثال (١): فى الصور الملحقة أمثلة مختلفة على استخدام الأشخاص لمادة الخشب فى التسقيف لجزء من الطريق أو كله، وتم ذلك بالتنسيق بين الجيران القاطنين بطرفى الطريق وبين أصحاب تلك الحوانيت التى تطل على الطريق.(شكل ٢-٨ أ، ب، جـ)


(أ)

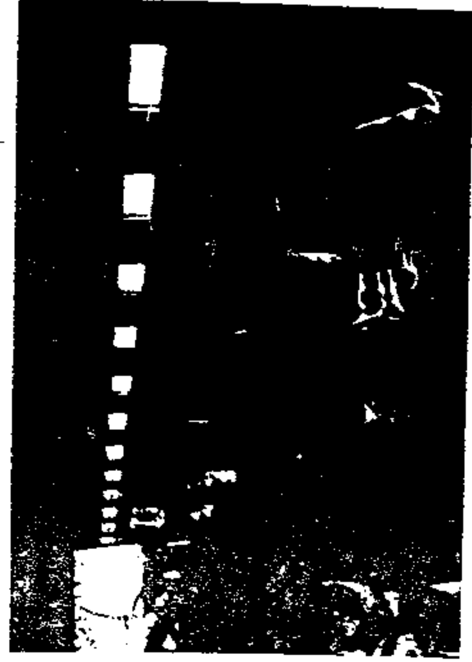

(ب)


(جـ)

(شكل ٢-٨) صور توضح استخدام مواد مختلفة للتسقيف ففى (أ) أحد شوارع مدينة مكناس بالمغرب و يظهر بها وضع كمرات خشبية بعرض الطريق حتى يتمكن كل جار من وضع عيدان قصب أو قماش لتغطية الطريق، وفى (ب) أحد شوارع مدينة تطوان بالمغرب ويظهر بها قيام الجيران ببناء شبكة خشبية تدعمها كمرات خشبية بعرض الطريق لينمو عليها شجر العنب و بالتالى تمثل مظلة تغطى الطريق وتقلل توغل أشعه الشمس للمنازل، وفى (جـ) أحد شوارع مدينة تونس، وفيها يظهر اكتفاء الجيران بتغطية الطريق بقطعه من القماش، بتثبيتها من الطرفين وحملها على حبال عرضية عبر الطريق

المصدر : جميل عبد القادر أكبر "عمارة الأرض فى الاسلام"، ١٩٩٢.

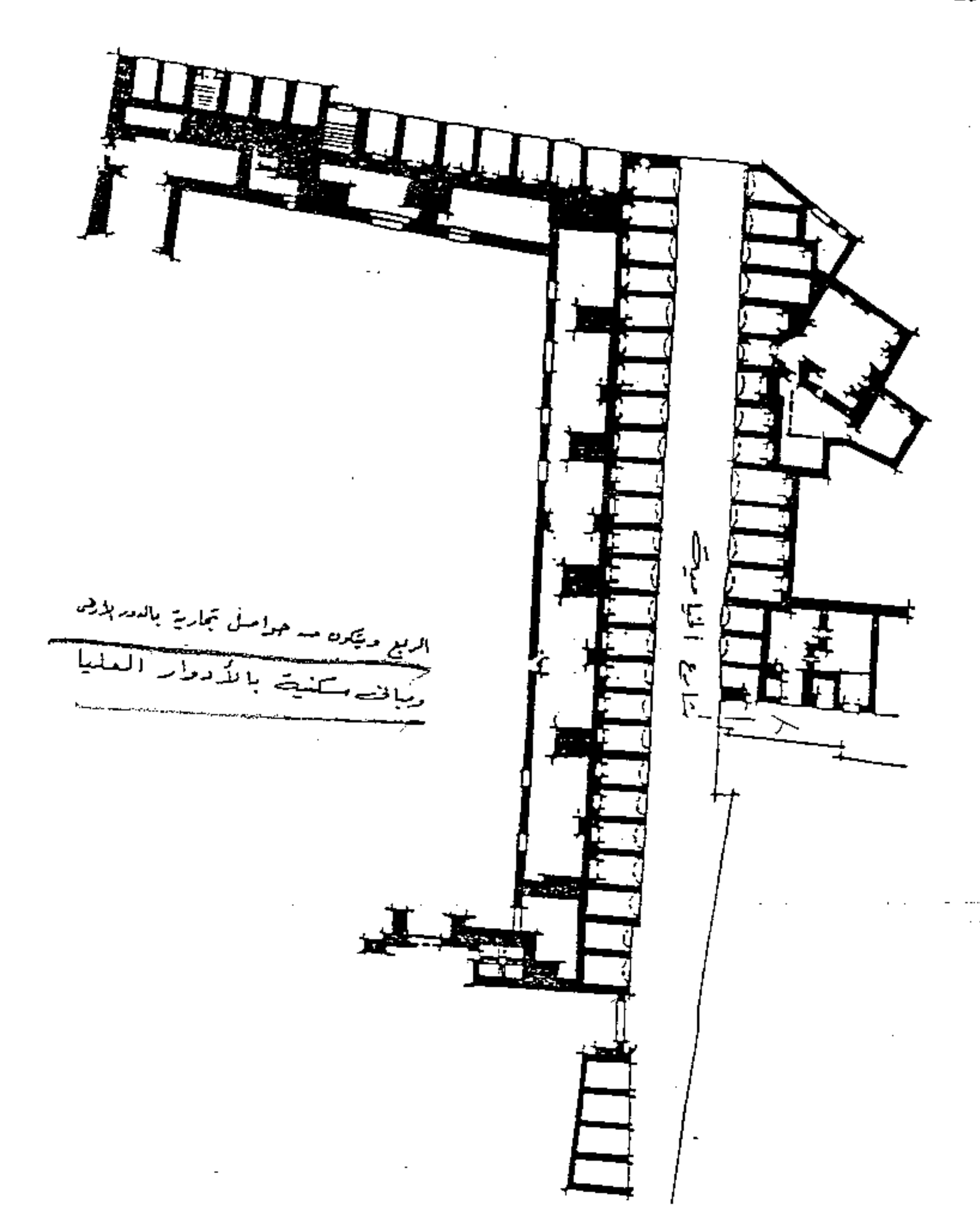
مثال (٢): فى شارع الخيامية بالقاهرة الفاطمية نجد المنطقة خلف وقف رضوان بك قد عمل لها سقف به فتحات صغيرة مربعة للإنارة وهى مثال على المعالجات المختلفة والتى قام بها المالك، ولم يكن للمستخدمين أو السكان أو أصحاب المحلات والحرف دخل بها، لذلك نرى أنها من مواد ثابتة وثقيلة ولم يستخدم الخشب أو أى مادة خفيفة فى التسقيف كما فى المثال السابق.(شكل ٢-٩)



(شكل ٢-٩) صورة بشارع الخيامية بالقاهرة توضح لستخدام سقف خشبى به فتحات صغيرة مربعة للإضاءة، وذلك على امتداد المسار

الوحدة المتكررة:

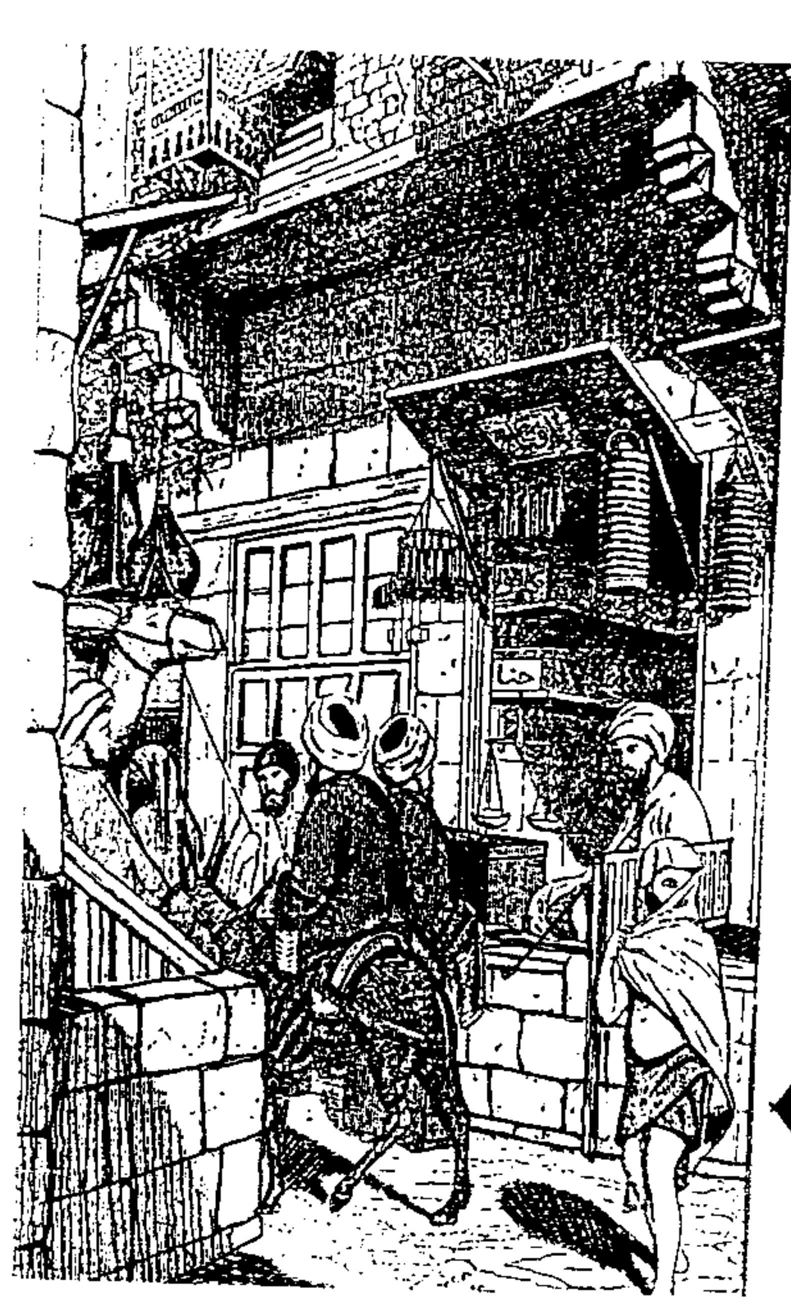
ظهرت فى الأبنية المختلفة وحدة انتفاعية إنشائية فراغية متكررة فظهر فى المساجد البواكى ذات البحر الواحد والتى تتكرر فى الاتجاهين، وكذلك فإننا نرى فى المبانى الخاصة بالأنشطة التجارية (كالوكالات والقيساريات) وحدة انشائية متكررة تقسم المبنى إلى محلات أو دكاكين ومخازن.(شكل ٢-١٠)



(شكل ٢-١٠) مسقط أفقى لربع رضوان بالقاهرة و يظهر فيه الوحدة الإنشائية المتكررة، و هى عبارة عن حانوت يتكرر بامتداد الشارع.

المصدر : م. عزة حسين رزق: " الخصائص البصرية للمدينة الإسلامية فى فترة العصور الوسطى "، ١٩٧٧.

كما ظهرت في المناطق الحرفية هذه الوحدة المتكررة وكانت عبارة عن الحانوت والذى يتكرر على امتداد طريق طويل مكونا منطقة حرف متكاملة أو سوقا لبيع سلعة معينة. هذه الوحدة كانت عبارة عن المحل (الدكان أو الحانوت) الذى تزاول فيه حرفة معينة أو تباع به سلعة ما. وقد كانت هذه الوحدة بسيطة الانشاء لذلك كانت سهلة التكرار وقليلة التكاليف مما جعلها متلائمة مع الاحتياجات والمتطلبات. وفى القاهرة كان المحل عبارة عن مربع طول ضلعه من (٣– ٤ أقدام)، ويبلغ ارتفاعه من (٥ – ٦ أقدام)، وأحيانا كان يوجد مخزن أعلى المحل، وكانت أرضية المحل تعلو مسافة من(٢–٣ أقدام) عن منسوب الطريق وكان المحل يمتد الى الشارع عن طريق ثلاث ضلف تستخدم العليا منها كمظلة تحجب أشعة الشمس نهارا، وتستخدم السفلى كمكان لعرض السلع.[19](شكل ٢–١١)



(شكل ٢–١١) أحد الحوانيت في سوق من أسواق القاهرة، و يظهر فيه استخدام الجزء العلوى الذى يغلق المحل ليلا فى عرض و تعليق البضائع، كما يظهر استخدام الجزء السفلى كجلسة ومكان للبيع
المصدر: آندريه ريمون " The Great Arab Cities "، ١٩٨٤

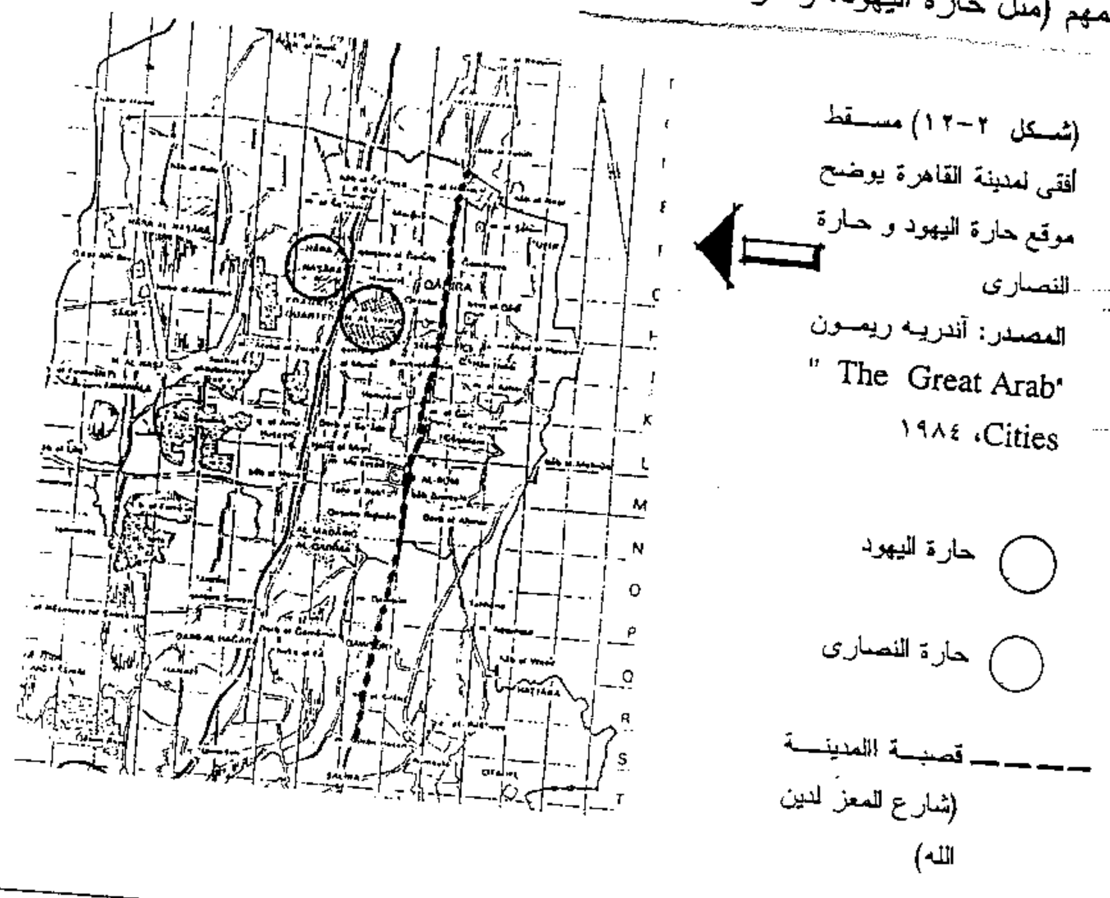
[19] Raymond, A., "**The Great Arab Cities in the 16th - 18th Centuries** ", 1984 .p.37

٢/٢/٢/٢ الجوانب الغير عمرانية و ملامح تأثيرها:

وحدة الديانة والجنسية وتأثيرها على نوع الحرفة أو التجارة التى تزاول:

كانت الخلية الأساسية للحياة المدنية فى القاهرة تتمثل فى الأحياء بأكثر مما كانت تتمثل فى الطوائف، وكان يشار الى الأحياء عادة باسم الحارات (جمع حارة). وفى العادة لم يكن ثمة دكاكين فى الحارة، وان وجدت أحيانا فانها تكون بالقرب من البوابة[20]، حيث يقول نيبور أن الأحياء كانت تستخدم عادة كمقر لسكن الصناع وغيرهم من السكان الفقراء الذين يعملون، ليس داخل بيوتهم، ولكن فى حوانيت صغيرة فى السوق أو على طول الشوارع التجارية.

وقد كانت كل من هذه الوحدات المنفصلة " الأحياء " تضم جماعة متجانسة نسبيا من الناس سواء كان هذا التجانس هو علاقة عمل واحدة أو مهن متشابهة أو أصول واحدة كأن يكون هؤلاء الناس لهم جنسية واحدة أو ديانة واحدة وأكثر دليل على ذلك ما ذكره آندريه ريمون من أن الناس ذوى الديانة الواحدة كانوا يسكنون فى حارة خاصة بهم، وكانت تسمى باسمهم (مثل حارة اليهود، وحارة النصارى) فى القاهرة الفاطمية القديمة.[21] (شكل ٢-١٢)



(شكل ٢-١٢) مسقط أفقى لمدينة القاهرة يوضح موقع حارة اليهود و حارة النصارى

المصدر: آندريه ريمون " The Great Arab Cities"، ١٩٨٤

حارة اليهود

حارة النصارى

قصبة المدينة (شارع المعز لدين الله)

---

٢٠ آندريه ريمون: " فصول من التاريخ الاجتماعى للقاهرة العثمانية "، ١٩٧٤، صـ ١٨

21 Raymond, A., " The Great Arab Cities in the 16th - 18th Centuries ", 1984 .p.

السياسة و تأثيرها فى تحديد العلاقة بين الحكام وأصحاب الحرف:

(١)الحكام والتنظيم الطائفى الناتج عن تمركز الحرف:

كان التنظيم الطائفى بتدرجه ورئاسته وتمركزه الجغرافى عنصرا هاما يساعد الحكام على ادارة المدينة، فهو الذى يمكنهم من الاشراف والسيطرة على معظم أفراد الشعب الموجودين فى المدينة من الحرفيين.[٢٢]

وهذه الحقيقة بالغة الوضوح والأهمية، فتدخل شيوخ الطوائف المهنية فى المشاجرات التى تنشأ بين أبناء طوائفهم، وعندما ينظمون المنافسة ويعاقبون المسيئين على مايرتكبون من أخطاء فانهم بذلك يسهمون فى إدارة المدينة وفى حفظ النظام.[٢٣]

(٢)الحكام وانتفاعهم بمنتجات الحرفيين:

يعتبر الحكام من أكثر الناس فى المجتمع استهلاكا و انتفاعا بالمنتجات و الخدمات التى يقدمها الحرفيون، و بالتالى يمكن اعتبار الحكام هم رعاة الفنون الحقيقيين. و يتضح ذلك من أن أغلب الآثار الباقية سواء كانت معمارية أو تطبيقية قد نفذت بناء على طلبهم أو برعايتهم و خاصة فى الأوقات التى تميزت بجودة أوضاعها الاقتصادية.[٢٤]

و فيما يلى بعض الأمثلة لأعمال معمارية نتجت بمتابعة الحكام للحرفيين و كانت مثالاً على انتفاع الحكام بمنتجات الحرفيين:

فى العصر الفاطمى نجد أن الجامع الأزهر يعتبر من أهم الأعمال المعمارية فى ذلك الوقت كما يعتبر أول أثر فاطمى فى مصر، وقد أنشأه جوهر الصقلى بأمر مولاه أمير المؤمنين المعز لدين الله، وقد أقيم هذا الجامع فى الفترة من (٣٥٩-٣٦١هـ / ٩٧٠-٩٧٢م) و كان الغرض من إقامته فى أول الأمر هو أن يكون مسجدا جامعا للقاهرة الفاطمية وليقوم مقام الجامع الطولونى فى القطائع وجامع عمرو بالفسطاط، ولكنه أصبح بعد ذلك مدرسة يتلقى فيها الطلاب أصول المذهب الشيعى " مذهب الفاطميين ".[٢٥]

---

٢٢ حسين مصطفى رمضان: "طوائف الحرفيين و دورهم الاقتصادى و الاجتماعى و الثقافى فى مصر الاسلامية"، ١٩٨٧ص ٩٦

٢٣ آندريه ريمون: " فصول من التاريخ الاجتماعى للقاهرة العثمانية "، ١٩٧٤. ص ١٤

٢٤ حسين مصطفى رمضان: "طوائف الحرفيين و دورهم الاقتصادى و الاجتماعى و الثقافى فى مصر الاسلامية"، ١٩٨٧ص ٩٧

٢٥ د. كمال الدين سامح: " العمارة الإسلامية فى مصر "،الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩١. ص ٤٢-٤٩

أما بالنسبة للعصر الأيوبى فإن قبة الإمام الشافعى تعتبر من القباب الكبيرة الحافلة بشتى الفنون، وقد أنشأها السلطان الملك الكامل سنة (٦٠٨هـ - ١٢١١م) لما دفن أمه هناك قبل أن يلى السلطنة وأثبت تاريخ هذا البناء فى نص تاريخى نقش على عتب خشبى أعلى الشباك البحرى نصه:

بسم الله الرحمن الرحيم أمر بإنشاء هذه القبة المباركة مولانا السلطان الملك الكامل محمد بن مولانا السلطان الملك العادل أبى بكر بن أيوب خليل أمير المؤمنين خلد الله ملكه وذلك فى يوم الأحد لسبع خلون من جمادى الأولى من سنة ثمان وستمائه.

وفى العصر المملوكى نجد أن جامع الظاهر بيبرس يعد من الأمثلة الهامة التى يجب ذكرها، وهو يقع بميدان الظاهر المعروف قديما بميدان قراقوش ويعرف أيضا بجامع العافية. وقد أنشأه الملك الظاهر بيبرس البندقدارى وعهد إلى الأمير فارس الدين أقطاى المستعرب والصاحب فخر الدين محمد بن الصاحب بهاء الدين على بن حنا بالاشتراك مع المهندسون فى اختيار مكان صالح لبناء الجامع. ففى يوم الخميس الثامن من ربيع الآخر سنة (٦٦٥هـ) يناير سنة (١٢٦٧م) انتقل السلطان ومعه المهندسون والأمراء إلى ميدان قراقوش الذى وقع الاختيار عليه للإطلاع على رسم الجامع على الطبيعة، فأقره وأشار بأن يكون بابه مثل باب المدرسة الظاهرية وأن تقام على محرابه قبة بقدر قبة الإمام الشافعى وكتب إلى البلدان بإحضار العمد الرخامية و الأخشاب و الحديد،و شرع فى العمارة فى منتصف جمادى الآخر سنة (٦٦٥هـ) مارس سنة (١٢٦٧م).[٢٦]

---

[٢٦] د.م. توفيق أحمد عبد الجواد:" العمارة الإسلامية فكر و حضارة "، ١٩٨٧ صـ ٢٠٢.

٢/٣ النظام الإدارى و السياسى فى الدولة:

نظرا لعدم وجود معلومات محددة عن النظام الإدارى والسياسى فى العهد الفاطمى والأيوبى فإننا سنعمم النظام الذى كان سائدا فى العهد المملوكى والذى يذكر عنه أندريه ريمون[٢٧] أن القاهرة خلاله كانت خالية تماما من أية تنظيمات لشئون البلديات، وحتى نهاية العصور الوسطى لم تكن مسئولية الشئون العامة تدخل فى اختصاص أية إدارة حكومية أو أية تنظيمات أهلية، وهكذا، فإن أمراء المماليك الحاكمين حين كانوا يتصدون لأمور من هذا القبيل، إنما كانوا يفعلون ذلك لمجرد اهتمامهم الخاص، أو الشعور منهم بالواجب، أو رغبة فى اكتساب مسحة من الشرعية فى عيون العلماء والأهالى.

وقد كانت الطوائف عبارة عن رابطة ادارية بين السلطات والرعية، وظلت تلعب هذا الدور الهام إلى أن نجحت السلطات المصرية فى نهاية القرن التاسع عشر فى إنشاء جهازا إداريا قادرا على الحلول محل هذه الطوائف.

وقد كان الحكام بسبب قدرتهم المالية العالية جدا رعاة حقيقيين للفنون، ويظهر ذلك بوضوح من كثرة الآثار المعمارية والتطبيقية التى شيدت بناء على طلبهم أو برعايتهم.

كذلك كان للحكام السلطة المطلقة فى اصدار الأوامر للحرفيين حيث ذكر المقريزى أن الأوامر كانت توجه للحرفيين بتزيين الأسواق والدكاكين فى بعض المناسبات، أو بعملهم فى بعض المهام الخاصة بالطوارئ كالسقايين، والقربيين والفعلة.[٢٨]

٢/٣/١ التعرف على بعض الوظائف الإدارية التابعة للدولة :

قامت الدولة والمتمثلة فى الحاكم والوزير بتعيين بعض المشرفين لمراقبة الأسواق، وفض النزاعات التى قد تنشأ بين أبناء الحرفة الواحدة، ويقوم هؤلاء المشرفين بعمل حلقة الربط بين الحكومة والرعية.

وتتدرج مناصب هؤلاء المشرفين ووظيفتهم وفقا لمدى اتصالهم بالجماهير، وأهمية هذا المنصب كما يلى:

---

[٢٧] أندريه ريمون: " فصول من التاريخ الاجتماعى للقاهرة العثمانية ".صـ ١٣

[٢٨] المقريزى: " الخطط المقريزية" جـ ١ صـ ٤٦٣

٢/٣/١/١ المحتسب:

ارتبط اسم المحتسب بالأسواق، حيث يقوم بالاشراف الفعلى على الأسواق، وكانت وظيفة الحسبة من الوظائف الجليلة فى ذلك العصر، فقد كانت تأتى فى المرتبة الخامسة بين الوظائف الدينية. و لم يكن يتولاها فى أوائل عصر المماليك إلا وجوه الناس وأعيانهم من المتعممين، وذلك لأنها خدمات دينية.[٢٩]

ويذكر المقريزى أنه كان هناك ثلاثة مناصب للحسبة فى مصر فى عهد المماليك هى حسبة القاهرة، حسبة الفسطاط وحسبة الاسكندرية. وكان محتسب القاهرة هو أعلى الثلاثة قدراً، إذ كان يحضر المراكب السلطانية ويجلس مع السلطان فى دار العدل، كما كان نفوذه يشمل القاهرة والوجه البحرى. أما محتسب الفسطاط فكان يشرف على الوجه القبلى، بينما اقتصر نفوذ محتسب الاسكندرية على مدينته، وفى بعض الأحيان ولا سيما فى أواخر عصر المماليك، كان من الممكن أن يجمع شخص واحد بين حسبة القاهرة وحسبة الفسطاط.[٣٠]

ويذكر آندريه ريمون أن وظيفة المحتسب كانت تتصل بالبلديات والمرافق كما كانت تخضع له عدد من الطوائف الحرفية المتصلة بالغذاء. وكان المحتسب يراقب الأسواق الرئيسية حيث تباع المواد الغذائية، وكان يقوم بجولاته فى المدينة فى شكل موكب مهيب، وكان يصحبه فى موكبه الكثيرون من بينهم حاملوا الموازين. وكان المحتسب يوقع العقوبات الجسدية على المخالفين ومع ذلك فان مكانة المحتسب فى السلم الادارى كانت بالغة التواضع، وكذا الدخل الذى يحصل عليه من تلك الوظيفة.[٣١]

وقد كانت الامتيازات أو الأوضاع الخاصة التىحصلت عليها بعض طوائف الشعب تعد –على نحو ما– كسبا للسلطات الحاكمة التى تخلصت بهذه الطريقة من بعض المهام الإدارية التى كان عليها أن تقوم بها. فلقد كان " الذميون " يخضعون لاشراف رؤسائهم الدينيين، كما كانت الجاليات الأجنبية (كالمغاربة، والأتراك والسوريين على سبيل المثال يخضعون بالفعل لمشايخ اختيروا من بينهم، وقد كان الزعماء الدينيون وشيوخ الجاليات هؤلاء يلعبون –بين السلطة وتلك الأقليات– نفس الدور الذى كان يلعبه شيوخ الطوائف الحرفية و شيوخ الحارات، أى دور ضباط الاتصال بين السلطة والتنظيمات الحرفية والجغرافية القائمة.[٣٢]

---

٢٩ القلقشندى: "صبح الأعشى فى صناعة الإنشاء "، المطبعة الأميرية، القاهرة. ١٣٣١هـ جـ ٥ صـ ٤٥١ –٤٥٢ جـ١١ صـ ٦٨ –٦٩

٣٠ المقريزى: " الخطط المقريزية " جـ ٢ صـ ٢٠٧

٣١ آندريه ريمون: " فصول من التاريخ الاجتماعى للقاهرة العثمانية ". صـ ٣٦

٣٢ آندريه ريمون: " فصول من التاريخ الاجتماعى للقاهرة العثمانية ". صـ ٣٧.

وقد صار من الممكن فى نهاية عصر المماليك أن يتولى الحسبة أحد المماليك، وأيضا يمكن أن يجمع شخص بين الحسبة وغيرها من الوظائف، كما صارت وظيفة الحسبة تشترى بالرشوة. وقد كانت أهمية وظيفة الحسبة واضحة حيث أنه فى سنة (٨١٨ هـ) تولى السلطان " المؤيد شيخ " أمور الحسبة بنفسه وذلك لمواجهة ارتفاع الأسعار.

ومن جهة أخرى فان دور المحتسب لم يكن متبلورا فى العصور الأولى كمراقب للأسواق. فكان مهدى بن عبد الرحمن أول من حمل لقب محتسب فى واسط سنة (١٠٣ هـ) تقريبا. ولكن سرعان ما تبلور دور المحتسب فى الأسواق وكتبت كتب الحسبة التى اهتمت بمراقبة الصناع والتجار وتنظيم أسواقهم.[٣٣]

ويذكر أنه بالاضافة إلى دور المحتسب فى مشارفة الأسواق ومراقبة أهل السوق فى مبيعاتهم كمراقبة المكاييل والموازين ومنعهم من الغش والتدليس[٣٤] فيها وفى أثمانها، فإنه كان له دور كبير فى منع الناس من الازدحام فى الطرقات، ومراقبة الأفراح والمآتم وملابس الناس وسلوكهم كحثهم على الصلاة. وكان الدور الخاص بالمحتسب والأكثر أهمية من مراقبة الأسواق هو تحصيل الزكاة وما إلى ذلك من رسوم مالية للدولة.

ومن مسئوليات المحتسب التى أثرت على الطريق وقام بها مقام السكان هو منع الناس من الاساءة الى الطريق أو السوق، كبناء ما يضيق الطريق، أو كرمى قشور البطيخ أو إكثار رش الماء فى الفناء وما شابه من تصرفات.[٣٥]

وبالنسبة للمجتمع كان المحتسب يحتل مكانة هامة و يعد مسئولا فى نظر الناس عن حالة الأسواق. فإذا ما كانت الأسعار معقولة والأسواق مستقرة كان المحتسب يلقى رضاء الناس عنه؛ أما اذا كان المحتسب دون مستوى المسئولية فإنه يتعرض لكافة ضروب المهانة، وقد يلزم بيته فترة طويلة خوفا من غضب الناس الذين ينسبون إليه سوء الأحوال و غلاء الأسعار.[٣٦]

---

[٣٣] جميل عبد القادر أكبر: "عمارة الأرض فى الاسلام "،دار القبلة للثقافة الإسلامية، المملكة العربية السعودية، ١٩٩٢.صـ ٨٩-٩٠.

[٣٤] " التدليس فى البيع ": كتمان عيب السلعة عن المشترى.

[٣٥] جميل عبد القادر أكبر: " عمارة الأرض فى الاسلام "، ١٩٩٢. صـ ٢٧٥

[٣٦] د. قاسم عبده: " دراسات فى تاريخ مصر الاجتماعى فى عصر سلاطين المماليك ". صـ ٤٠.

٢/٣/١/٢ العريف:
كانت هناك وظيفة أخرى تخضع لرقابة وإشراف المحتسب وهى وظيفة العريف؛ حيث كان لكل طائفة من أرباب الأسواق عريف، ويمثل هذا العريف الواسطة بين الدولة من ناحية وأرباب البضائع من ناحية أخرى. وكذلك كانت الدولة تتقاضى ضريبة معينة من عرفاء الأسواق.

٢/٣/١/٣ نظر دار الضيافة والأسواق:
صاحب هذه الوظيفة لم تكن له سلطة الإشراف على جميع الأسواق، وإنما كان مسئولا عن الأسواق التى تتبع الديوان السلطانى. أى أن الضرائب المجباة منها تكون من حق الديوان السلطانى، كما كان هذا الموظف يشرف على وجوه انفاق ايرادات هذه الأسواق.[٣٧] أما الأسواق التى لم تكن تابعة للدولة فكانت تدخل ضمن اقطاعات الأمراء أو ضمن أوقاف المدارس والجوامع والمارستان.[٣٨]

٢/٣/٢ التعرف على بعض الوظائف الإدارية التابعة للتنظيمات الأهلية:

٢/٣/٢/١ شيخ الطائفة:
هو أحد أبناء الطائفة الحرفية ولكنه يتميز عنهم بفضله و علمه.
وفى العصر المملوكى كان السلطان يقوم بتعيين شيخ الطائفة؛ ويرى أن ذلك من أسباب تدهور التقاليد الطائفية، إلا أن أعضاء الطائفة كان يمكنهم التصدى لتعيين شيخ لا يريدونه.[٣٩]

وفى العصر المملوكى كان يصدر توقيع من ديوان الإنشاء بتولى رئاسة حرفة أو مشيختها. بينما تغير ذلك فيما بعد فى العصر العثمانى وأصبح اختيار الشيخ يتم بناء على إجماع أعضاء الطائفة على شخص واحد ليكون شيخا لهم.

وقد كان من الممكن أن يكون للطائفة الواحدة شيخان فى وقت واحد. وقد ذكر المقريزى أنه فى العصر المملوكى اشترك اثنان معا فى رئاسة الأطباء.[٤٠]

---

٣٧ د. قاسم عبده: " دراسات فى تاريخ مصر الاجتماعى فى عصر سلاطين المماليك ".صـ ٣٨.

٣٨ د. قاسم عبده: " دراسات فى تاريخ مصر الاجتماعى فى عصر سلاطين المماليك ".صـ ٣٨.

٣٩ حسين مصطفى رمضان: " طوائف الحرفيين و دورهم الاقتصادى و الاجتماعى و الثقافى فى مصر الاسلامية "، دكتوراه غير منشورة، كلية الآثار (قسم الآثار الإسلامية)، جامعة القاهرة، القاهرة، ١٩٨٧. صـ ٧٦

٤٠ المقريزى: " السلوك لمعرفة دول الملوك "، مركز تحقيق التراث بدار الكتب والوثائق القومية،القاهرة. ١٩٧١ جـ٣ صـ ٣٩١.

وكما كان يحدث توارث مهنى بحيث تصبح العائلة الواحدة لها حرفة واحدة معروفة بها، فقد كان هناك توارث فى المشيخة أيضا؛ فنجد أن بعض العائلات قد احتكرت المشيخة فى مهنهم (مثل شيوخ العقادين فى القرن الثانى عشر الميلادى، وشيوخ القصابين وشيوخ النحاسين بمصر) ويذكر أن شيوخ الطوائف المهنية كانوا يتوسطون فى المشاجرات التى تنشب بين أبناء طوائفهم، وكانوا ينظمون المنافسة و يعاقبون المسيئين على ما يرتكبون من أخطاء، وبذلك فانهم يسهمون فى إدارة المدينة وحفظ النظام.[٤١]

٢/٢/٣/٢ النقيب و مساعدوا الشيخ:

يعتبر النقيب -أو كما كان يلقب بالنقيب الكبير- من أهم مساعدى شيخ الطائفة. ومؤخرا فى العصر العثمانى كان من الممكن أن يكون النقيب بديلا للشيخ وذلك فى الأماكن أو المدن البعيدة عن المركز الرئيسى للطائفة؛ فعلى سبيل المثال تركزت طائفة العطارين فى مصر فى الفحامين، وكان يوجد نقيب للعطارين بخط باب الشعرية. ويبين ذلك مدى سلطة النقيب وأهميته فى التنظيم الحرفى.

٣/٢/٣/٢ المعلم أو الأسطى:

ويكون هذا المعلم متمكنا من حرفته، وصاحب ورشة مستقلة ويعمل عنده صبى أو مجموعة من الصبيان يقوم بتعليمهم وتدريبهم على فن الحرفة التى يقوم بها، واذا أتقن أحدهم هذه الحرفة وأراد العمل فيها بمفرده فإنه لا يستطيع ذلك الا بموافقة هذا المعلم الذى يصحبه الى شيخ الطائفة لاعطائه درجة الأسطوية فى الحرفة التى يزاولها.

٤/٢/٣/٢ الصبى:

ويأتى بعد المعلم دور الصبى، ويطلق لفظ الصبى هذا على أى شخص ينوى ممارسة مهنة حرفية معينة؛ حيث كان يدخل هذا الشخص أولا كصبى يتعلم لدى أحد المعلمين "الأسطوات"، وبمجرد أن يصبح ذا خبرة فى المهنة وينتوى مزاولتها لحسابه الخاص ويفتح ورشة مستقلة؛ فان معلمه يصحبه إلى شيخ الطائفة الذى يرسمه كمعلم.

وتعتبر وظيفة الصبى هذه ذات دور أو فترة مؤقتة حيث يزاولها الشخص فى فترة قصيرة من عمره وهى فترة التدريب والتجربة لاكتساب الخبرة والثقة والمقدرة على مزاولة مهنة حرفية وفتح ورشة مستقلة.

---

٤١ آندريه ريمون: " فصول من التاريخ الاجتماعى للقاهرة العثمانية ". صـ ١٤

٢/٣/٣ القوانين الخاصة بالمناطق التجارية والحرفية والأسواق :

فى البيئة التقليدية[٤٢] بالمدن الاسلامية القديمة ظهرت بعض القواعد التى تحدد العلاقة -وفقا للشريعة- بين المالك والمسيطر والمستخدم لمكان معين فى السوق أو المناطق التجارية الحرفية. ومن ضمن هذه القوانين ما يلى:

٢/٣/٣/١ مقاعد الأسواق وحق الاختصاص:

هناك عرف فى البيئة التقليدية وهو أن يقوم الباعة بحيازة مكان ما لوقت معلوم فى الأسواق أو الساحات العامة للبيع. فهؤلاء الباعة يسيطرون على المكان ويستخدمونه بإحضار قطع من الأثاث لوضع السلع عليها أو فقط بتعليمه بحوائجهم، ولكنهم لايملكون المكان.[٤٣] فالشافعى رحمه الله يقول " فمن قعد فى موضع منها لبيع كان أحق به بقدر ما يصلح له، ومتى قام عنه لم يكن له أن يمنعه من غيره والمقاعد بالسوق ليست باحياء موات".

ويعرف هذا المبدأ عند جمهور الفقهاء بحق الاختصاص أو تمليك الانتفاع.

وقد أعطت الشريعة الحق لمن أراد البيع فى الطرقات الواسعة أن يفعل ذلك دون الاضرار بالمارة وهذا هو حق الاختصاص والذى يعتبر احدى ميزات المدينة التقليدية وكان هذا الحق يشمل الباعة الذين ليس لهم حوانيت ولهم بضاعة فقط يضعونها فى الطرقات للبيع، كما يشمل الباعة أصحاب الحوانيت والذين يحتاجون الى الخروج بمظلة أو فاترينة عرض لتسهيل عرض منتجاتهم وازدياد حركة البيع والشراء. كذلك كان يشمل الباعة الذين ينصبون خيما لهم فى الطريق ولم تعترض الشريعة على ذلك طالما اتفق الباعة فيما بينهم.(شكل ٢-١٣)

(شكل ٢-١٣) أحد الأسواق بمدينة طنجة بالمغرب، وهو يعد مثالا لتوضيح حق الأختصاص أو تمليك المنفعة.
المصدر : جميل عبد القادر أكبر " عمارة الأرض فى الإسلام "، ١٩٩٢.

---

٤٢ " البيئة التقليدية ": هى البيئة المنشأة بالرجوع الى الشريعة و الأعراف المحلية للمنطقة التى تقع فيها البيئة المقصودة.

٤٣ جميل عبد القادر أكبر: " عمارة الأرض فى الاسلام "١٩٩٢. ص ٨٤

٢/٣/٣/٢ النموذج الاذعانى الحيازى[٤٤]:

وتعتبر المناطق الحرفية والتجارية ومناطق الأسواق تابعة للنموذج الاذعانى الحيازى وذلك وفقا لما ذكره جميل أكبر فى كتابه "عمارة الأرض فى الاسلام" [٤٥]، وعليه فان هذه المناطق يخضع أصحابها لبعض القوانين منها:

- يحق لمستخدم المكان أن يظلل المكان لنفسه باستخدام الأشرعة طالما أنه لم يضر بالآخرين.
- لايحق للمستخدم أن يبنى أى منشأ من شأنه أن يضيق الطريق كالدكة مثلا.
- يجوز الارتفاق بالقعود فى الواسع من ذلك للبيع والشراء على وجه لايضيق على أحد، ولا يضر بالمارة لاتفاق أهل الأمصار فى جميع الأعصار على اقرار الناس على ذلك من غير انكار. ولأنه ارتفاق مباح من غير اضرار فلم يمنع منه كالاجتياز[٤٦]؛ وهذا مرجعه مبدأ لاضرر ولا ضرار.

- ومما يذكر أنه فى المدينة الاسلامية كان اذا عرفت حدود الطرق وبنيت المبانى فلا يجوز احياء هذه الطرق ولا الجلوس فيها باحضار أمتعة ثقيلة لأنها ملك يشترك فيه المسلمون وتتعلق به مصلحتهم ولكن يجوز للناس القعود فيها لوقت قصير.

٣/٣/٣/٢ مبدأ الأسبقية:

تعريفات حق الاختصاص تدل على أن من سبق غيره كان أحق فى استخدام المكان، وهذا هو المقصود بالأسبقية. ويقول البلاذرى فى حديثه عن عبد الرحمن بن عبيد عن أبيه أنه قال:

" كنا نغدو الى السوق فى زمن المغيرة بن شعبة، فمن قعد فى موضع كان أحق به الى الليل".[٤٧]

---

٤٤ " **الاذعانى الحيازى** ": هو وضع يوضح حالة العين عندما تكون المسئولية فيه موزعة بين فريقين و على الفريق المتمتع بحق السيطرة و الإستخدام التعامل مع الفريق المالك، و سمى الحيازى لأن الفريق المستخدم قد حاز على حق السيطرة من الفريق المالك كالأراضى الأميرية التى تمكها الدولة و يسكن بها المزارعون المتمتعون بحق التصرف أو كالمكان فى السوق الذى حازه البائع لوقت معلوم ويسيطر عليه.

٤٥ جميل عبد القادر أكبر: " **عمارة الأرض فى الإسلام** "١٩٩٢.صـ ٨٥.

٤٦ جميل عبد القادر أكبر: " **عمارة الأرض فى الإسلام** "١٩٩٢.صـ ٨٦.

٤٧ البلاذرى: "فتوح البلدان"، مطبعة الموسوعات. ١٩١٠

ومعنى هذا أنه يحدث تنافس بين الناس على حيازة مكان واحد، وقد يحدث خلاف فى الاتفاق على الحدود التى بينهم. ومن الواضح أن هذه الخلافات ليست بين الفرق التى تشترك فى عين[٤٨] واحدة، ولكنها بين فرق الأماكن المتجاورة.

وقد كان تدخل السلطة فى مسألة النزاع هذه فى حدود ضيقة معقولة ومشروطة من قبل الفقهاء تشعر بأنها أمور تنظيمية.[٤٩]

٢/٣/٤ تأثير قوانين الأسواق و المناطق الحرفية على المجتمع الإسلامى:

اعتمدت مناطق الأسواق والمناطق الحرفية والتجارية -كما سبق الاشارة اليه- على قوانين ونظم عديدة كانت تضمن لكل من المالك والمسيطر والمستخدم حقه، وكانت هذه القوانين من الأهمية بحيث توفر لكل الأشخاص امكانية مزاولة عملهم أو وظائفهم المختلفة دون التعدى على الآخرين وبدون احداث أى ضرر تحقيقا للمبدأ المأخوذ من الشريعة وهو مبدأ "لا ضرر ولا ضرار". وقد كانت هذه القوانين ذات تأثيرات متعددة على السكان والحرفيين والتجار ورواد السوق كما يلى:

٢/٣/٤/١ التأثيرات الاقتصادية:

حرصت الدولة على توفير كل الأموال التى تنشئ بها مبانى جديدة أو مرافق اضافية؛ ولذلك كان هناك اتجاه للتوفير فى بعض المرافق الخاصة بالمناطق الحرفية، لذا تم تجميع الصناعات المتشابهة فى حيز مكانى واحد حيث يتحقق بذلك خفض تكلفة نقل المواد الخام والمنتجات النهائية، أو توزيعها فى أماكن مختلفة، وكذلك خفض تكاليف انشاء المرافق لنوع واحد من الصناعة.

ويؤدى أيضا تجميع الحرف والصناعات المتشابهة فى حارة أو سوق واحد الى سهولة عرض هذه المنتجات، وكذلك زيادة حركة البيع و الشراء، وبالتالى رواج التجارة، وانتعاش الحركة التجارية بالمدينة.

---

٤٨ " العين ": هو كل عنصر يشغل حيزا و يمكننا لمسه كالكتاب و المقعد و السجاد و الشجرة و السقف و الحوائط وواجهات المبانى و الرصيف وما شابه ذلك من أعيان.

٤٩ جميل عبد القادر أكبر: " عمارة الأرض فى الإسلام "١٩٩٢.صـ ٨٩.

٢/٣/٤/٢ التأثيرات الاجتماعية:

كانت معظم الأهداف التى وضعت من أجلها تلك القوانين المنظمة للتعامل فى الأسواق والمناطق الحرفية التجارية نابعة من مبادىء الشريعة الاسلامية و بالتالى فان توجهاتها وتأثيراتها كانت أيضا مستوحاه من أهداف الشريعة كما يلى:

حق الاختصاص والذى كان من القواعد الهامة التى تنفذ فى مناطق الأسواق كان هدفه الأساسى أن يكون لكل بائع مكان خاص به حصل عليه بحيازته فترة من الوقت، وبالتالى فإن أى شخص يملك هذا الحق وذلك حتى يترك هذا المكان وبذلك فقد تحقق مبدأ المساواة بين الناس والذى هو أساسا من المبادىء التى تنص عليها الشريعة الاسلامية.

كما كانت قوانين الأسواق تكفل الحرية للمواطنين فى تنفيذ كل ما يمثل الراحة لهم خلال ساعات النهار وتؤمنهم ليلا، وذلك عن طريق السماح لهم بعمل مظلات تقيهم حر الشمس فى ساعات النهار وكذلك الحرية فى وضع بضاعتهم فى الشارع والطرقات طالما لن تضر أحدا أو تعوق مسارأى من المارة. كما كانت هناك حرية مطلقة لكل شخص فى الدكان الخاص به حيث يسمح للشخص بوضع فاترينة عرض وعمل دكة خارج المحل على ألا تقلل من عرض الطريق أو تعوق المارة.

وقد سمحت الشريعة للباعة الجائلين بوضع أمتعتهم وسلعهم فى الطرقات الواسعة والأفنية طوال ساعات النهار وفقا لمبدأ حيازة الطريق معظم ساعات النهار وحتى الليل؛ حيث يعتبر الطريق مكانا عاما.

٢/٣/٤/٣ التأثيرات البيئية:

كان من الضرورى الحفاظ على سلامة السكان، وذلك بتوفير الجو النقى الملائم للحياة حتى فى المناطق العامة والأفنية ومناطق الأسواق والمناطق الحرفية لذا كان من الضرورى منع التلوث عن الكتلة السكنية سواء كان تلوثا جويا عن طريق الدخان والرائحة أو تلوثا صوتيا عن طريق الضوضاء، حيث وضعت الحرف التى ينتج عنها أضرار (مثل المدابغ وأفران الجير والفخار) على أطراف المدينة وذلك بعد دراسة اتجاهات الرياح وتغيراتها الموسمية، كذلك نقل سوق البارودية الى خارج المدينة لما كان يسببه من أخطار على حياة الجماهير.

وبالاضافة إلى ذلك كان المخطط العمرانى للمدينة يحتوى على أماكن خاصة بتجميع النفايات الصناعية والتخلص منها بعيدا عن الكتلة السكنية، وبعيدا أيضا عن مصادر المياه الطبيعية.

٢/٣/٥ التوارث المهنى:

يعتبر أصحاب المهن والحرف أن عملية التوارث هذه هامة جدا، وتأتى بالنفع عليهم وعلى أبنائهم من بعدهم. فعملية التوارث المهنى هذه لها عدة مميزات من أهمها:

أن ممارسة الابن حرفة أبيه تبدأ منذ الصغر وذلك بحكم المعاشرة؛ حيث يذهب الابن الى حانوت أبيه كثيرا أو يتواجد فيه دائما مما يوفر له التمكن من الحرفة واتقانها، وبالتالى يتكون جيل جديد ملم بكل تفاصيل الحرفة ومتطلباتها.

كذلك فإن رغبة الآباء فى المحافظة على أموالهم كان لها دورا واضحا حيث أن الأبناء يكونون أكثر حرصا على أموال آبائهم من الغرباء. كما تعتبر رغبة الآباء فى أن تستمر حوانيتهم أو ورشهم تحمل أسماءهم من بعدهم من العوامل الهامة جدا.

وتذكر د./ اعتماد علام

"أن شبكة العلاقات السائدة فى نظام الطوائف الحرفية متداخلة فيما بينها بحيث يتعذر الفصل بين العلاقات الرسمية والعلاقات الاجتماعية غير الرسمية فى مكان العمل. ويرجع السبب فى ذلك إلى عدد من العوامل فى مقدمتها صلة القربى بين أفراد الطائفة وتأثير التوارث المهنى بينهم. أيضا قد يرجع السبب إلى العلاقات المباشرة بين الحرفيين فى موقع العمل، فلا توجد حواجز أو قيود تنظيمية داخل تنظيم الطائفة".[٥٠]

ومن المعروف أنه فى بعض الأحيان لم يكن الأب حرفيا يتبع طائفة معينة، ولذلك فقد كان عليه أن يدفع مبلغا من المال نظير تعليم ولده فنون الحرفة عند أحد الأسطوات.

ومن الأمثلة التى كانت موجودة وتعد أكبر مثال على أهمية التوارث المهنى:

أ / اشتراك أفراد من عائلة واحدة هم بنو عبد المؤمن فى تجارة القماش فى القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى).

---

٥٠ د./ اعتماد علام: "الحرف والصناعات التقليدية بين الثبات والتغير"، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٩١. صـ ١١٣

ب / من صناع السيوف ورد اسم المعلم محمد المصرى الذى يعتقد أنه كان عميدا للعائلة التى تخصصت فى صناعة السيوف فى النصف الثانى من القرن التاسع الهجرى (الخامس عشر الميلادى)؛ ومن هذه العائلة اشتهرت أيضا أسماء الصناع " عبد الرحمن بن محمد المصرى، وعلى بن محمد المصرى، وابراهيم المصرى ".[51]

ج / وقد حدث أحيانا أن انتقل فرد من حرفة الى أخرى دون أن يذكر موقف التنظيم الطائفى من ذلك الانتقال. ومن أمثلة هذا الانتقال تحول أبو الجود من حرفة التجارة الى صناعة الحلوى.[52]

٤/٢ الصورة البصرية المميزة للمناطق الحرفية بالمدن الاسلامية:

نظرا لوجود نسبة كبيرة من سكان المدن الاسلامية فى الفترة منذ عهد الفاطميين وحتى عهد المماليك تعمل بالتجارة ، ونظرا لإزدياد النشاط التجارى العابر ولإزدهار الحياة الإقتصادية بصفة عامة فى العصور الوسطى ، فقد اقيمت الاسواق فى مناطق خاصة من المدينة وهىالقصبة الرئيسية للمدينة والتى تمثل عادة منطقة مركزية يتجمع فيها معظم الانشطة الهامة بالمدينة (كما ذكر فى الفصل الاول)، كما إمتد النشاط التجارى ليشغل جزءا من بعض الشوارع الفرعية فى مناطق اخرى .

وتعد المناطق الحرفية والمناطق التجارية والاسواق من اهم عناصر التشكيل البصرى والفراغى للمدينة الإسلامية ، ويجدر بنا الإشارة إلي إختلاف نوعية هذه الأسواق وفقا لظروف تواجد كل منها وفترة إقامتها والمكان المخصص لها ، على هذا الاساس يتم تقسيم الاسواق والمناطق الحرفية والتجارية الى ثلاثة انواع رئيسية.

١/٤/٢ تقسيم الاسواق وفقا لظروف تواجدها وفترة إقامتها والمكان المخصص لها:

يعد النوع الاول اسواقا نوعية وموسمية وهى تلك الاسواق التى كانت تقام فى بعض المساحات -داخل المدينة او خارجها- عند ملتقى طرق المواصلات، كما تعمل بصورة يومية او موسمية تبعا لوفرة الانواع المختلفة من السلع التجارية. وهى بهذا

٥١ حسن عليوة: " دراسة لبعض الصناع "، القاهرة، ١٩٦٢صـ ١٠٦ - ١٠٧.

٥٢ ابن إياس: " بدائع الزهور فى وقائع الدهور "، جـ٤ ، مطبعة بولاق، القاهرة، ١٨٩٤.صـ ٤٥.

الوضع تعتبر اسواقا للجملة تمد الاسواق المحلية الممتدة على طول الشوارع التجارية داخل المدينة بانواع السلع المختلفة.[٥٣]

أما النوع الثاني وهو الذى نتعرض له في هذا البحث بالتفصيل فهو عبارة عن المناطق التجارية والاسواق الممتدة والتى كانت تخدم وسط المدينة. وتتكون من دور واحد من مجموعة من المحلات التجارية النوعية، تعلوها مساكن اصحابها وتفتح هذه المحلات مباشرة على الشوارع التجارية المغطاه او شبه المغطاه او المفتوحة. وتعتبر هذه الشوارع التجارية والاسواق الممتدة من اهم المظاهر العمرانية للمدينة، حيث يزداد معدل تردد السكان على المراكز التجارية فيها . نظرا للمؤثرات الإجتماعية والبيئية التى يعيش فيها السكان.[٥٤]

وبالنسبة للنوع الثالث فهو عبارة عن تلك المنشآت التى كانت مخصصة باكملها لمزاولة النشاط التجاري كالخانات والوكالات وهى تعد اسواقا إقليمية، ياتيها التجار من اماكن بعيدة وتشغل تجارتهم الدور الارضى من تلك المبانى بينما يقيم هؤلاء التجار فى الغرف الواقعة فى الادوار العليا والتى تسمى بالربوع. والخانات والوكالات بهذه الصورة تعتبر اسواقا مقفلة. وبصفة عامة فإن الصورة البصرية للمناطق الحرفية والمناطق التجارية والاسواق تعد من اهم عناصر التشكيل البصرى والفراغى للمدينة الإسلامية، وتتكون هذه الصورة من عدة عناصر تمثل النواحى الإنتفاعية والإنشائية ، والفراغية والتى تشكل فيما بينها مجموعة من العلاقات والتى لها مرجع ثقافى ، إجتماعى ، إقتصادى يؤثر بدرجة كبيرة على تشكيل المدينة.

ولذا كان من الضرورى استعراض عناصر تحليل الصورة البصرية فى المناهج الحديثة والتى من اشهرها منهج (Kevin Lynch) ودراسة امكانية تطبيقه على المدينة التقليدية الإسلامية.

٢/٤/٢ منهج (Kevin Lynch) لتحليل عناصر الصورة البصرية :

يعد هذا المنهج من أهم المناهج الحديثة التى وضعت لدراسة وتحليل وتقييم الصورة البصرية لمدينة قائمة تعتمد على اشتراطات وأسس تخطيطية صارمة، لذا فسوف نتعرض باختصار لدراسة هذا المنهج والذى حلل (Kevin Lynch) على أساسه عناصر الصورة البصرية

---

٥٣ م./ عزة حسين رزق: "الخصائص البصرية للمدينة الإسلامية فى فترة العصور الوسطى"، ماجستير غير منشور، هندسة القاهرة، القاهرة، ١٩٧٧. صـ ٦٨-٦٩

٥٤ يحيى محمد عثمان شديد: "مستقبل المسكن فى المدينة"، ماجستير غير منشور، القاهرة. صـ ٧٧

لمدينة قائمة أو منطقة ذات وضع راهن. فنجد أن الصورة البصرية عنده أشتملت على عدة عناصر أساسية هى:

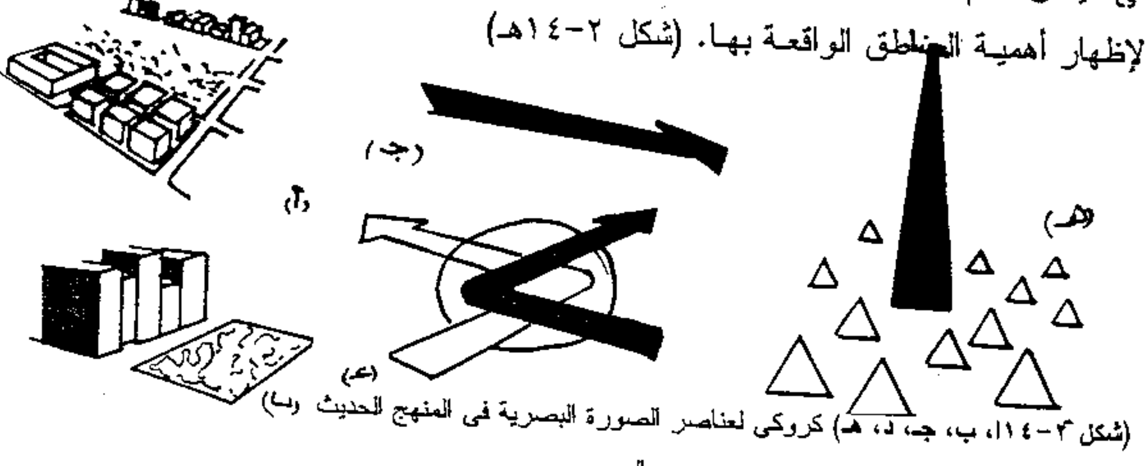
(١) الحى: وهو ما أعتبره عنصر ثنائى الابعاد ، والذى قد نلجأ اليه بغرض التعرف على المناطق التى ندرسها. وهو عبارة عن منطقة لها حدود إدارية محددة ومعروفة وذات نطاق معلوم الملامح. (شكل ٢-٤١أ)

(٢) الحواف: هى تلك العناصر الشريطية والتى لا تؤخذ فى إعتبار أو فى نظر السائر خلال رحلته كمسار واضح ، وهى تلك الحدود الفاصلة بين نقطتين ، والتى قد تكون عبارة عن شاطىء أو حائط ، أو خط سكة حديد.وبالرغم من أن هذه لاتمثل عنصرا سائدا كالمسارات إلا أنها تعد من الصور البصرية الهامة والاساسية.[55] (شكل ٢-٤١ب)

(٣) المسار: وهو يعد عنصرا شريطيا يمثل الطريق الرئيسى بمنطقة الدراسة، وبالنسبة للمدن التى طبق عليها (Lynch) منهجه فإن المسار كان عبارة عن شريان رئيسى (Main Artery)، والذى تصب فيه كل الطرق الفرعية. (شكل ٢-٤١جـ)

(٤) نقاط التجمع: وهى عبارة عن عناصر ثنائية الابعاد تمثل مناطق فسيحة ناتجة من تقاطعات عدة طرق أو مكونة ميادين واسعة أمام بعض المبانى أو أمام مبنى ذو أهمية خاصة وفى حاجة الى فراغ فسيح أمامه. (شكل ٢-٤١د)

(٥) العلامات المميزة: وهى عبارة عن مبنى هام أو تمثال فى مكان ما او عنصرا مميزا فى ميدان عام ، وكلها عناصر توضع بغرض جذب نظر المتجول فى شوارع المدينة لإظهار أهمية المناطق الواقعة بها. (شكل ٢-٤١هـ)



(شكل ٢-٤١أ، ب، جـ، د، هـ) كروكى لعناصر الصورة البصرية فى المنهج الحديث

المصدر : كيفن لينش "The Image of the City"، ١٩٦٠

[55] Lynch, K., " The Image of the City", M.I.T. press, Cambridge, Massachusetts & London, England, 1960. p. 47

٣/٤/٢ المنهج المقترح لتحليل الصورة البصرية للمدينة الاسلامية نجد أن التشكيل البصرى الاسلامية :

عند دراسة ملامح الصورة البصرية للمدينة الاسلامية نجد أن التشكيل البصرى والفراغى لمناطق مزاولة الحرف والمناطق التجارية والأسواق يعتمد على وجود بعض العناصر والعلاقات المميزة له كما نجد أن هذه الصورة قد نشأت من تراكمات عصور عديدة أثرت وتأثرت بكل ما هو موجد فيها وبسلوك الأشخاص نفسهم فالمدينة التقليدية تعد مدينة تراكمية بحيث يختلف تشكيلها العمرانى وصورتها البصرية فى عصر ما من العصور الوسطى عنه فى العصر الذى يليه أو الذى يسبقه كما أن الصورة الذهنية والبصرية للمدينة التقليدية تشتمل على جوانب اجتماعية ، وبيئية ودينية ومجموعة من العلاقات المتداخلة بالاضافة الى الجانب العمرانى الذى تحتويه.

وبصفه عامة فانه بتجولنا فى المناطق الحرفية والتجارية بالمدينة التقليدية نجد أنه يمكن حصر مكوناتها فى مجموعة العناصر والعلاقات التالية:

أولا القصبة الرئيسية للمدينة :

تميزت الصورة البصرية للمدينة التقليدية بوجود ملامح عديدة للتشكيل البصرى والوظيفى للمسار بها فهناك المسار الرئيسى (قصبة المدينة) والتى تمثل محور رئيسى بالمدينة وتمتاز باتساع عرضها نظرا لكثافة الأنشطة عليها ولموقعها المتميز الذى كان يتم اختياره بعناية شديدة لكى يمثل طريق التجارة الرئيسى والذى تمر به طرق المواصلات الرئيسية المارة بالمدينة كما تميزت الأنشطة الواقعة فى هذه القصبة بأنها تمثل فيما بينها مجموعة من القطاعات المتجانسة حيث يحتوى كل قطاع منها على مجموعة من السمات المشتركة.

وقد اشتملت هذه القصبة على العديد من المبانى الهامة والتى كان لكل منها دورا مؤثرا فى الحياه الدينية والاجتماعية ، سيتم ذكرها فيما بعد كما اشتملت أيضا على العديد من مناطق التجمع المفتوحة لمزاولة الأنشطة والتى سيتم ذكرها أيضا فى الجزء الخاص بمناطق التجمع.

هذا ويعد المسار سواء مسار رئيسى (قصبة) أو فرعى، أو مسار ذو نهاية مسدودة له نفس الخواص العمرانية حيث نجد تشابها شديدا فى مسارات المدن التقليدية حيث تتميز بكثرة تعرجاتها وانحناءاتها نجد أن الطريقة المثلى للتفريق بين مسار وأخر فى مدينتين

مختلفتين أو فى نفس المدينة هو دراسة نوعية النشاط أو الحرفة وطريقة تأديتها ومتطلباتها وكيفية تحقيق ذلك فى المسار وعلاقة كل هذه العوامل بشكل المسار ، وبسلوك الناس وسماتهم الشخصية (كالجنسية أو العقيدة).

ثانيا : القطاع المتجانس (ثقافيا واجتماعيا):

عند التجول فى المدينة التقليدية نجد أنها كلها تشتمل على سمات عمرانية ومعمارية مشتركة، أما بالنسبة لوجود نطاقات ذات ملامح وخواص محددة بداخلها فان ذلك يعتمد على مبادىء اجتماعية ثقافية (Socio-Cultural) ، وهى التى تتحكم فى نوعية السكان أو المجتمع المتآلف داخل المدينة الاسلامية.

فلقد ذكر أندريه ريمون أن طوائف المجتمع (Community Organizations) بالمدينة الاسلامية تنقسم الى نوعين أولها الطوائف الأهلية ، وهي التى تتكون من تواجد مجموعة من الأشخاص بينهم سمات مشتركة كالجنسية أو العقيدة أو الميول يعيشون فى منطقة واحدة تمثل حي أو (قطاع متجانس) يعتبر هو وحدة تكوين المجتمع (مثل حارة اليهود وحارة النصارى بمصر) حيث تعتبر كل منها عبارة عن شارع أو منطقة يسكن فيها أشخاص يدينون بالدين اليهودى أو المسيحى وبالتالى تكون لهم نفس الطقوس والعادات وثانيها الطوائف المهنية، وهى ما يخصنا بالذكر فى هذا البحث حيث نجد أن كل مجموعة من الناس كانت تعمل فى مهنة أو حرفة أو تجارة واحدة كانت تشغل حيزا معينا من المدينة والذى كان غالبا يطلق عليه اسم نوعية هذه الحرفة أو التجارة.

ومن الجدير بالذكر أن هذا القطاع المتجانس قد يكون جزءا من القصبة الرئيسية للمدينة أو مسار فرعى أومسار ذو نهاية مسدودة والذى يتحكم فى ذلك هو مدى ترابط العلاقات (سواء اجتماعية أو مهنية) بين الناس فى منطقة معينة.

ثالثا الحيز الخارجى المضاف إلى نهر الطريق :

احتوت مسارات المدينة التقليدية على العديد من الانتفاخات والفراغات التى تتكون من كثرة التعرجات الموجودة بالمسار والتى تكونت على مر العصور المختلفة وكان لها أسباب بيئية حيث أن كثرة التعرجات على ضيق المسار تسبب فى الاحتفاظ بالهواء والمساعدة على ترطيب الجو فى شوارع المدينة الاسلامية ، كما أن هذه التعرجات كانت قد نتجت من تغيير اتجاه المسار فى مناطق وجود مبانى معينة ذات أهمية تاريخية أو وظيفية أو اجتماعية.

لذا فقد تكونت مجموعة فراغات على امتداد كل مسار يختلف مسطحها باختلاف مكانها وظروف تواجدها. فمنها الفراغات الملحقة بالبوابات والتى تشكل صورة بصرية مرتبطة بتواجد البوبات سواء كانت هذه البوابات رئيسية وخاصة بالمدينة وموجودة بأسوار المدينة أو كانت بوابات للخطط السكنية أو حتى بوابات تفصل منطقة عن أخرى بينهما تنافر وظيفى ومنها فراغات ملحقة ببعض المبانى الهامة وهى اما فراغات خارجية كتلك الملحقة بالمساجد والتى تحوى بعض الأنشطة التى تلائم تواجدها بجوار هذه المبانى الدينية ، واما فراغات داخلية كتلك الموجودة فى المبانى التجارية كالوكالات وهى عادة ما تحتوى على مصدر مياه وهو فراغ تطل عليه جميع الأنشطة التى تشتهر بها الوكالة، ويتم فيه بعض التعاملات التجارية كما أن هناك بعض الفراغات الداخلية فى مبانى أخرى كالفنادق وهى تلك الفراغات التى يتم توجيه غرف الفندق أو الخان عليها ،وبذلك يتم فيها بعض الأنشطة الاجتماعية. ومنها فراغات نتجت لانكسار المسار فى منطقة معينة لذا فقد تم استغلاله فى مزاولة الأنشطة.

وقد اشتملت الفراغات على العديد من الأنشطة التى كان معظمها أنشطه تجارية حيث استحوذ الباعة (الذين لاتتطلب سلعهم وجود مكان ثابت لمزاولة حرفتهم) على بعض المناطق فى تلك الفراغات لفترة مؤقته وفقا لمبدأ الأسبقية (كما ذكرنا فى الفصل الثانى) كما استغل بعض التجار الذين تطل حوانيتهم على منطقة انتفاخ (فراغ) هذا الحيز فى عرض بضائعهم حيث يتركون معظم مساحة المحل للتصنيع أما العرض والبيع فيكون فى المنطقة أمام المحل.

رابعا : عناصر الجذب العامة

احتوت قصبة المدينة على مجموعة من عناصر الجذب العامة والمتمثلة فى العديد من المبانى (سواء دينية أو تعليمية أو خدمية) حيث تميزت تلك المبانى بغناها التاريخى واحتوائها على العديد من القيم المعمارية وأساليب الانشاء التى لا يجب انكار دورها وتأثيرها. وقد مثلت تلك المبانى عنصر جذب بصرى هام جدا كانت له صلة مباشرة بتكوين الصورة البصرية للمدينة التقليدية.

كما احتوت المدينة التقليدية على العديد من عناصر الجذب الوظيفى والتى ارتبطت بتلك الفراغات والانتفاخات حيث تواجدت بعض الأنشطة التى اجتذبت اليها الجمهور وبالتالى نشأت منطقة تجمع مزدحمة ويتم فيها أنشطة حرفية وتجارية كما كونت الفراغات الملحقة بالمبانى الدينية كالمساجد مناطق تجمع حيث ألحقت بتلك المبانى بعض الأنشطة

التجارية فكانت بذلك تمثل عنصر جذب وظيفى نتيجة تجمهر الناس فى الساحات أمام المساجد.

خامسا البوبات وملحقاتها:

ارتبطت الصورة البصرية للمدينة التقليدية بوجود العديد من البوابات سواء تلك الواقعة بأسوار المدينة والتى تعد مداخل المدينة من الطرق الرئيسية للمواصلات أو التى تقع بداخل المدينة والتى تفصل المناطق أو القطاعات المتجانسة عن بعضها والتى أيضا تفصل الخطط السكنية عن المناطق العامة ومناطق الأنشطة التجارية.

وقد كان هناك نموذجا ذهنيا ارتبط بشكل وتشكيل البوابة حيث احتوى هذا النموذج على مجموعة من العناصر والعلاقات فهو يحتوى على العناصر الانشائية الخاصة بتكوين برجى البوابة كما يحتوى على العنصر الفراغي والخاص بوجود محور للمسار (سواء قصبة رئيسية أو مسار فرعي) يمر بالبوابة، وغالبا ما يكون محور منكسر عند اختراقه للبوابة مارا بالفراغ الواقع أمامها والملحق دائما بها وهو فراغ يحتوى غالبا على بعض الأنشطة التجارية حيث يكون ممتلئا بالباعة الجائلين أو الذين يستغلونه مؤقتا لبعض الوقت من النهار. كما أنه أحيانا تطل على هذا الفراغ بعض الحوانيت التى تزيد من احساسنا بأن هذا الفراغ مخصص للأنشطة التجارية أو قد تطل عليه بعض المبانى الهامة كمسجد مثلا وبالتالى يكون وجود هذه الساحة ضرورية حيث تتم بها أنشطة تجارية أيضا ملحقة بذلك المبنى مما يجعلها عنصر جذب هام هى والمسجد الملاصق لها.

هذا ويمكن تقسيم العناصر الذى يحتوى عليها نموذج البوابة فى المدينة التقليدية الى مجموعة العناصر والعلاقات الموضحة بالجدول التالى:

العنصر	الوظيفة التى يقوم بها
١ الناحية انشائية	الهيكل أو الشكل العام للبوابة والذى يتكون عادة من برجين رئيسيين
٢ الناحية الانتفاعية	الانتفاخ أو الساحة الموجودة عادة أمام البوابة والتى تبدأ منها القصبة أو امتدادها.
٣ الناحية الوظيفية	حيث كانت تعد نقطة حراسة (وذلك فى الفترة التى انشئت فيها سواء (فاطمى – أيوبى – مملوكى) الا أن هذا الدور لم يعد يزاول فى الزمن الحالى.

٤ الناحية (التجارية والحرفية)	حيث كانت تلك المنطقة تمتاز بكثافة عالية سواء فى الزحام الذى كان دائما موجود فى الساحة الواقعة أمام البوابة نتيجة للأنشطة التجارية والباعة الجائلين أو فى الطريق الواقع خارج المدينة والموازى للبوابة.
د الناحية الاجتماعية	حيث كانت هناك أنشطة عادة تتم فى المنطقة التى تطل عليها البوابة، وكانت دائما تتواجد حوانيت ملاصقة للبوابة.
٦ الناحية الحركية	تتمثل فى وجود شريان رئيسى مزدحم وهو يعد اضافة تواجدت فى فترة تلت الفترة التى انشئت فيها البوابات الا أنها تعد ناحية أساسية فى الصورة البصرية الحالية للبوابة.

وتعتبر هذه هى الصورة البصرية ومجموعة العلاقات المتواجدة بالمدينة الاسلامية والملازمة للبوابات الرئيسية للمدينة. أما البوابات الصغيرة والتى تقع عند مداخل الأحياء فانها كانت تحتوى على بعض هذه العناصر والعلاقات وليس جميعها.

٢/٤/٤ مقارنة منهج (Lynch) بالمنهج المقترح:

من دراستنا للنقطة السابقة نجد أن الصورة البصرية للمناطق الحرفية والمناطق التجارية والأسواق تعد من أهم عناصر التشكيل البصرى والفراغى للمدينة التقليدية وذلك لاشتمال تلك المناطق على الأنشطة التجارية والحرفية التى تمثل المصدر الاقتصادى بالمدينة، كما أنها تمثل أكثر المناطق عرضه لتجمهر الناس وتجمعاتهم بأعداد كبيرة، وتمثل أكثر المناطق ازدحاما بتداخلات عديدة فى الأنشطة.

وبدراسة العناصر والعلاقات التى تحتوى عليها تلك الصورة البصرية من قصبة رئيسية، وقطاعات متجانسة، وفراغات خارجية وأنشطة، وعناصر جذب، وبوابات نجد أن هناك سمات أساسية تميز كل عنصر من هذه العناصر وهى سمات عمرانية وغير عمرانية حيث أنها يظهر فيها بصورة واضحة تأثير النواحى الانتفاعية والانشائية والفراغية والبيئية والدينية والاجتماعية على الصورة البصرية والذهنية للمدينة.

ونجد أن كل عنصر من عناصر الصورة البصرية يتميز بأنه غير محدد عمرانيا فمثلا القطاع المتجانس يمثل منطقة ذات ملامح (غير عمرانية) واحدة بينما نجد أن المفهوم

(Kevin- Lynch) والذى نأخذ له على سبيل المثال هنا منهج
المقابل له فى المنهج الحديث ولها سمات مشتركة تختلفا عن غيرها من
هو عبارة عن الحى وهو منطقة محددة عمرانيا ولها سمات مشتركة تختلفا عن غيرها من
المناطق فمثلا يمكن بمجرد النظر الى خريطة القاهرة تمييز منطقة (وسط البلد) من منطقة
المناطق فمثلا يمكن بمجرد النظر الى خريطة القاهرة تمييز منطقة مختلفة عن الأخرى.
جاردن سيتى) حيث لكل منهما نسيج خاص وملامح عمرانية مختلفة عن الأخرى.

كما نجد أن البوابة فى المدينة التقليدية تمثل عنصر حراسة وأمن بالاضافة الى
مجموعة من العلاقات والانشطة التى تنتج بحكم الموقع والاحتياجات الاجتماعية والانتفاعية.

ونجد أيضا أنه فى منهج (Lynch) قد تم تقسيم المسار من حيث وظائفه الى مسار
سيارات أو مشاه أو خط سكة حديد ، حيث نجد أن لكل نوع من هذه المسارات خصائصه
التشكيلية والبصرية ، سواء كانت تخص عرض المسار أو ارتفاع المبانى التى تطل عليه أو
معالجاته. أما فى المدينة التقليدية فان المسار هو عبارة عن مجموعة من القطاعات
المتجانسة وهو اما قصبة رئيسية متسعة نوعا أو مسارات فرعية متعرجة وضيقة.

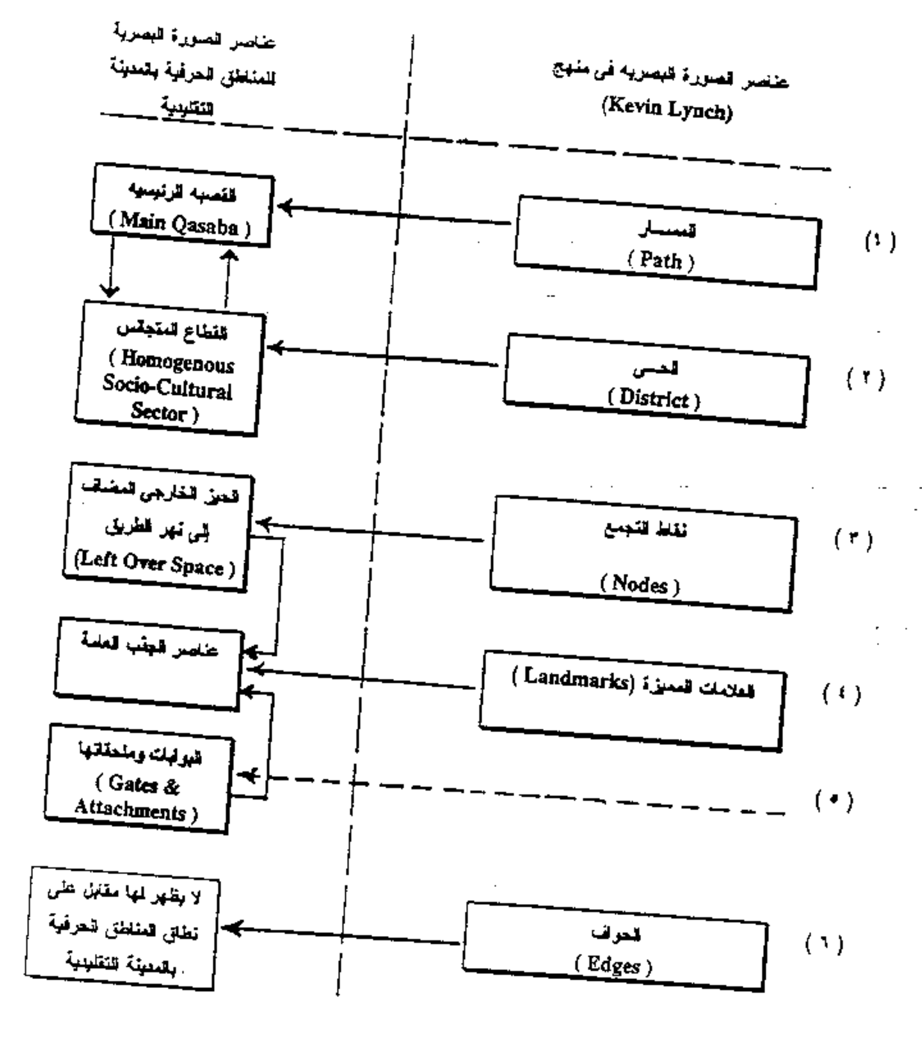
وقد احتوت المدينة التقليدية على عناصر جذب عامة سواء كانت مبانى أو فراغات
أو أنشطة معينة تسبب تجمهر الناس حولها أو عنصر انتفاعى (كنافورة المياه) أو (كشباك
يجلس عنده المقرىء فى المبانى المحتوية على أضرحة) يجذب الناس اليه بوظيفته والدور
الذى يؤديه . أما المنهج الحديث فى تحليل الصورة البصرية فهو يعتمد على التخطيط متقن
للمدينة يضمن وقوع بعض المبانى أو العناصر على محور السير أو الطريق وهى تمثل
علامات مميزة، أو بعض المبانى ذات العناصر المعمارية المميزة أو المعالجات الخاصة
والتى تجذب نظر المتجول فى المدينة.

وكذلك فاننا نجد أن التعريف الحديث لمناطق التجمع يشمل الجانب العمرانى فقط
والمرتبط بنسيج المبانى بالمدينة أو المنطقة محل الدراسة ، حيث أن نقاط التجمع هذه تنشأ
من تقاطعات عدة طرق فتكون فيما بينها فراغا واسعا، أو أن يكون هناك ترحيل لمحور
الطريق عند مبنى معين فينشأ نتيجة لذلك فراغا متسعا نوعا. أما بالنسبة للمدينة التقليدية فان
فراغاتها والتى كما ذكرنا فى الجزئية الخاصة (بالحيز الخارجى المضاف إلى نهر الطريق)
فانها اما أن تكون ناتجة عن كثرة التعرجات بالمسار أو أن تكون ملحقة ببعض المبانى سواء
كانت تلك الفراغات خارجية أم داخلية أوأن تكون تلك الفراغات واقعة على أطراف المدينة
(فتكون ملحقة بالبوابات) أو أن تكون ملحقة ببعض البوابات الواقعة بداخل المدينة والتى قد
تفصل القطاع المتجانس عن غيره من القطاعات.

هذا ويحتوى المنهج الحديث على بعض العناصر الشريطية التى يكون لها دور كبير فى فصل منطقة عن أخرى تختلف عنها فى السمات وهى (الحواف) هذه العناصر لاتحتوى عليها المدينة التقليدية حيث يعتمد هذا الفصل على العناصر الاجتماعية والثقافية التى من دورها القيام بعمل وحدة أو فصل بين الناس سواء فى سكنهم أو أماكن عملهم.

مما سبق يمكن القول بأن المنهج الحديث لـ (Kevin Lynch) يحتاج إلى بعض التحويرلكى يمكن تطبيق عناصر تحليله على المدينة التقليدية نظرا لأنها مدينة تراكمية وقد ساهم فى مراحل تشكيلها وتكوينها عدة عوامل عمرانية وغير عمرانية (ثقافية – اجتماعية – انتفاعية – فراغية – بصرية) ، وكذلك لأن المنهج الحديث يعتمد فى تحليله على تقييم مدينة قائمة لها تخطيط محدد لأفكار معلومة ومدروسة وليست مدينة يعتمد تشكيلها على فكر وعقائد أشخاص فى عصور قديمة متعاقبة .

ويمكن إيضاح الفرق بين منهج (Lynch) ومنهج تحليل عناصر الصورة البصرية للمناطق الحرفية بالمدينة الاسلامية فى الكروكى التالى:



جدول مقارنة عناصر الصورة البصرية فى منهج (Lynch) بعناصر الصورة البصرية للمناطق الحرفية بالمدن الإسلامية

٢/٥ خلاصة الفصل الثانى:

من الدراسة التى تعرضنا لها فى هذا الفصل أمكن الوصول إلى بعض الحقائق الهامة والتى توضح أسلوب إدارة وتنظيم المجتمع الحرفى وأثر ذلك على المجتمع وهى:

أن المناطق الحرفية تعد جزءا هاما ورئيسيا فى المناطق المركزية فى المدينة الإسلامية، ونظرا لأن الدراسة أساسا تدور حول هذه المناطق الحرفية والتجارية، فقد كان من الضرورى دراسة ظروف نشأة الطوائف الحرفية حيث وضحت الدراسة كيف كان الوضع فى المجتمع الحرفى والتدرج الوظيفى الذى كان به، وكيف أن هناك شيخ لكل طائفة، كما كان هناك شخص مختص بمراقبة الأسواق يطلق عليه المحتسب، وقد كان له دور كبير وفعال فى ضبط وتحديد الأسعار وجمع الضرائب ومراقبة أحوال الحرفيين والتجار.

كما أنه كانت هناك عناصر مشتركة حددت صفات المناطق الحرفية فى المدينة الإسلامية فمثلا نجد أن وجود طرق مواصلات رئيسية تخترق المدينة كونت قصبة المدينة وجعلتها منطقة مجمعة لنشاط حرفى وتجارى، كما نجد أن وجود الفناء كان بمثابة عامل هام لتتم به بعض الأنشطة التجارية سواء كان هذا الفناء ساحة خارجية أو فناء داخلى فى مبنى (كوكالة أو خان)، كما نجد أن التوافق بين الناس فى نوعية الديانة أو الجنسية كان عاملا على جعل هؤلاء الناس يسكنون فى مكان واحد أو تجمعهم نقابة مهنية واحدة فنجد مثلا أن اليهود فى مصر قد تخصصوا فى صناعة وبيع المشغولات الذهبية. وقد كان لهذا النظام فوائد عديدة أهمها سهولة التحكم فى تجارة كل سلعة من السلع وسهولة تجميع الضرائب، وكذلك إمكانية حل الخلافات التى قد تنشأ بين التجار نفسهم أو بين التجار و المشترين، كذلك فإنه لم يكن من السهل على أى تاجر رفع الأسعار إلا بالرجوع إلى النقابة أو المحتسب نفسه.

أن الدولة كانت تقوم بتعيين مندوب لها يلقب (بالمحتسب) حيث كان يقوم بمراقبة الأسواق وجمع الضرائب ومراقبة السلع وضبط الأسعار وتوحيدها فى السوق كله كما كانت الدولة تعين كذلك (عريف وناظر للأسواق). هذا بالإضافة إلى أن النقابات الحرفية كانت تنتخب من بينها رؤساء لها يقومون بحل مشاكلهم وتوصيل طلباتهم وتظلماتهم إلى الدولة وهؤلاء تتدرج وظائفهم من (شيخ للطائفة ثم النقيب ثم مساعدوا الشيخ ثم المعلم ثم الأسطى وأخيرا الصبى).

وقد كان للمجتمع الحرفى ومنطقة الأسواق بعض القوانين التــى تحـدد العلاقـة بيـن المستعملين وكان هدفها تحقيق أكبر قدر من المرونة فى التعامل بينهم تشمل. وقد كانت تلـك القوانين بمثابة الأعراف التــى لا يمكن لأى فـرد أن يحيد عنهـا فـى تصرفاته وخاصـة فـى حيازته لمكان. لذا فقد كان لها تأثير كبـير علـى المجتمـع الإسـلامى ككل حيث أنهـا قوانيـن ونظم نابعة من مبادئ الشريعة الإسلامية حيث تكفل تحقيق الفـائدة العظمـى لكل مـن الدولـة والأفراد، وبما يضمن عدم تعدى أى فرد من الأفراد على الآخر.

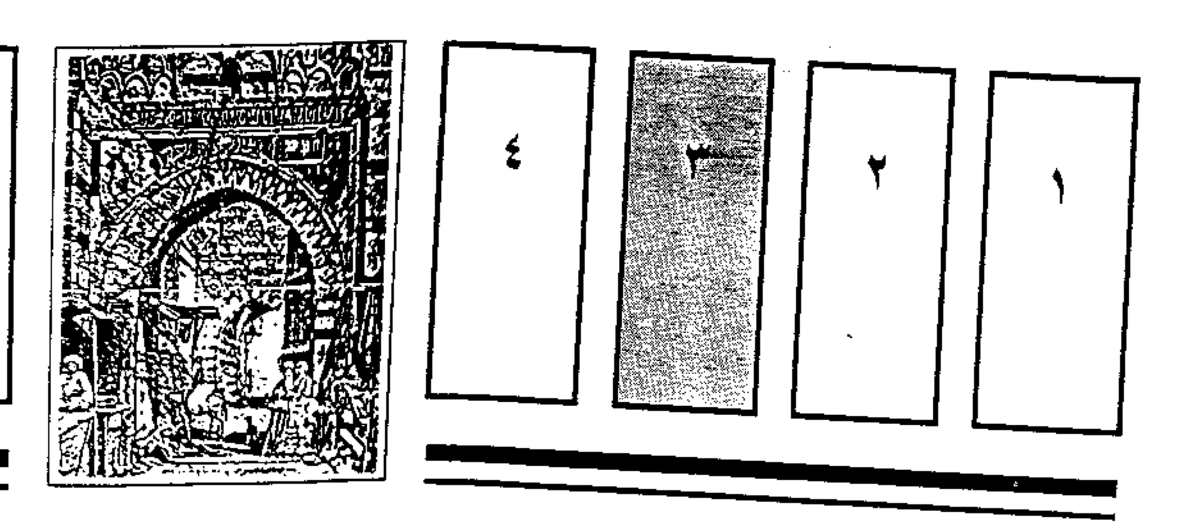
وقد كان لهذه القوانين -بالإضافة إلـى عوامـل أخـرى- دورا كبيرا فـى تحديد وتتبـع الصورة البصرية للمناطق الحرفية بالمدن الإسلامية وخاصة لمدينة القاهرة فى فترة البحـث، حيث الشوارع المتعرجة المتسـعة نوعـا (فـى المنـاطق المركزيـة)، والضيقـة وذات النهايـات المسدودة (فى المناطق السكنية)، وحيث توجد نقاط تجميعية هى عبارة عن بعض الأفنية التى تتجمع فيها بعض الأنشطة، كما نجد المسار بشكله التقليدى حيث نـرى بـه تجمعـات لأنشـطة وحرف متجاورة، وأحيانا متداخلة (يكون كل منها قطاعا متجانسا)، وأحيانا أخرى متباعدة.

ونظرا لأن فكرة التوارث المهنى تأتى بـالنفع علـى أصحـاب المهـن والحـرف ونظـرا لأنها كانت عملية متبعة فى المجتمع الإسلامى قديما فقد كان لها مميزات وفوائد عديدة تعـود بالنفع على أصحاب الحرفة نفسهم، وعلى الدولة، وعلى النظام الإدارى ككل، وعلى انتعـاش التجارة.

ومن الجدير بالذكر أننا سوف نتعـرف علـى المنـاطق الحرفيـة بمنطقـة محـددة وسـيتم دراسة ما بها من أنشطة وعلاقات؛ وهذا ما يتعرض له الفصل التالى حيث نـدرس فيـه حالـة مدينة القاهرة القديمة بصفة عامة وما كان يتم فيها من حرف وأنشطة تجارية وتأثير العوامل العمرانية والغير عمرانية علـى تلك الحرف والأنشـطة التجاريـة، وسوف يقودنـا ذلك إلـى الدراسة بتعمق أكثر للمناطق الحرفية بمصر الإسلامية، وهذا ما سـوف نعرضـه فـى الفصـل الرابع.

الفصل الثالث

المناطق الحرفية في مصر



١/٣ مقدمة الفصل الثالث:

يتعرض هذا الفصل بصورة مباشرة وتفصيلية لدراسة الحرف التى كانت موجودة فى مدينة القاهرة الإسلامية فى فترة البحث حيث تميزت هذه الفترة بالرخاء والازدهار فى مختلف المجالات، وخاصة النواحى المعمارية، والتجارية، والحرفية حيث نالت الحرف اهتمام كبير جدا من المسئولين بالدولة، فظهرت نوعيات شتى من الحرف والتى تعتمد على الصناعات الصغيرة، وبعض الآلات البسيطة. وتتعرض الدراسة فى هذا الفصل للعوامل التى أدت إلى ظهور تلك النوعيات من الحرف بالإضافة إلى دراسة أنماط التشكيل الخاصة بكل منطقة حرفية أو بكل مجتمع حرفى.

كما يتعرض هذا الفصل لنوعية العلاقات (إيجابية كانت أو سلبية) التى تنشأ بين المجتمع الحرفى بكل خصائصه ومميزاته وعيوبه وبين المحيط الواقع فى نطاقه. وكذلك لدراسة العلاقة التى قد توجد بين مكان سكن الحرفى ومكان عمله، والمكان الذى يبيع فيه منتجاته، وهى علاقة غاية فى الأهمية؛ وقد تواجدت بصورة واضحة فى فترة العصور الوسطى فى القاهرة الإسلامية.

٢/٣ دراسة للحرف المتواجدة فى مصر:

تميزت عواصم مصر منذ الفتح العربى بتواجد أنشطة اقتصادية متمركزة فى قلبها وكان هذا التمركز نابعا من التجمع الإسلامى للسكان فى العواصم المصرية على مر الزمان. إلا أن هذا التكدس أو التجمع شهد أبهى عصوره فى ظل الحكم المملوكى حيث كان للنمو السكانى الذى حدث متطلباته المختلفة التى كانت تتزايد يوما بعد يوم على منتجات مختلف الحرف والصناعات.

وقد كانت مراكزالصناعة والحرف فى مصر الإسلامية هى الأساس الذى قامت عليه ونمت من حوله التجمعات الحضرية المصرية حيث أن المراكز الصناعية كانت ولا زالت عامل جذب كبير لأعرض قطاع من السكان فى أى مجتمع، يهوى إليها الصناع والعمال والحرفيون من كل مكان[١]. ويرد عليها كثيرون غيرهم ممن يتاجرون فى المواد الخام التى تحتاجها حرف وصناعات هذا المركز أو ذاك أو ممن يعملون فى تسويق منتجات هذه المراكز[٢].

وتميزت القاهرة عن غيرها من العواصم التى سبقتها بوجود مركز عمراني كبير بها؛ وقد اشتمل هذا المركز على أنشطة حرفية وتجارية مختلفة تلبى إحتياجات ومتطلبات كافة طوائف المجتمع.

١/٢/٣ نوعيات الحرف المتواجدة فى مصر:

زخرت القاهرة بالعديد من الأسواق التى حوت مختلف أصناف البضائع، وتشابهت هذه الأسواق فى كافة المدن المصرية من حيث نظامها؛ وقد انفرد **كل** سوق بنوع معين من البضائع وربما أطلق على السوق إسم السلعة التى تباع فيه (مثل سوق الحريريين، وسوق الدجاجين) أو إسم التجارة التى تزاول فيه. كما انفردت كل منطقة **أو** كل سوق ببيع صنف واحد من البضائع.

وقد كان لهذا النظام محاسنه حيث لم يستطيع أى تاجر أن يشذ عن جيرانه فى نوع السلعة المباعة أو أن يرفع أسعار السلعة التى يبيعها لأن منافسيه على مقربة منه، كما أن

---

[١] د./ عاصم عبد الرحمن: " **مراكز الصناعات الإسلامية من الفتح العربى و حتى مجئ الحملة الفرنسية** " صـ ١٤ .

[٢] م. عبد الله محمد لطفى: " **دراسة تحليلية لخصائص المجتمعات الحرفية التجارية فى العواصم المصرية** "،ماجستير غير منشور، كلية التخطيط العمرانى، جامعة القاهرة، القاهرة:١٩٩٤. صـ ٣٢ -٣٣

المشترى بهذه الطريقة سيكون أمامه خيارات كثيرة للسلعة الواحدة فعليه أن يشترى الأفضل بالنسبة له من الناحية الإقتصادية ومن ناحية الجودة.

أما عيوب هذا النظام فأهمها أن الفرد إذا أراد شراء عدة أصناف متباينة من البضائع فعليه أن يقطع المدينة كلها طولا وعرضا عدة مرات حتى يقضى حاجاته، لأنه لن يجد فى السوق الواحد سوى نوع واحد من البضائع[3].

وفيما يلى عرض لنوعيات الحرف التى كانت تزاول فى القاهرة:

٣/٢/١/١ الأسواق الخاصة بالمآكل و المشارب:

انتشرت بالقاهرة هذه النوعية من الأسواق وخاصة فى عصر المماليك (شكل ٣-١ أ، ب، جـ، د)، وكانت الأطعمة فيها من الكثرة بحيث لا يمكن إحصاؤها فضلا عمن بها من الأشخاص. ويذكر د./ سعيد عاشور نقلا عن برنارد دى بريدنباخ:

" أن عدد المطاعم والمطابخ بالقاهرة كان يزيد عن إثنى عشر ألف مطعم، هذا عدا باعة الطعام الذين يقطعون الشوارع جيئة وذهابا ومعهم الطعام المطهى وتحته المواقد مشتعلة ليبيعوه ساخنا للمشترين ".[4]

ووضع هؤلاء الباعة تحت رقابة شديدة من جانب الدولة حرصا على صحة الأهالى، فنجد أن السبكى يذكر أن المحتسب كان يفحص الأطعمة والمشروبات التى تباع بالطرقات للتأكد من جودتها وسلامتها، فإذا وجد بعضها فاسدا أخذ البائع بالشدة.[5]

ومن الأسواق الخاصة ببيع أنواع اللحم كان سوق باب الفتوح الذى قال عنه المقريزى أنه:

" سوق معمور الجانبين بحوانيت اللحامين والخضريين والشرايحية وغيرهم، وهو من أجل أسواق القاهرة وأعمرها يقصده الناس من أقطار البلاد لشراء أنواع اللحمان الضأن والبقر المعز ولشراء أصناف الخضروات، وهو ليس من الأسواق القديمة وإنما حدث بعد زوال الدولة الفاطمية عندما سكن قراقوش فى موضعه المعروف بحارة بهاء الدين ".[6]

---

[3] Lane Poole, S., " **Social Life in Egypt: A Description of the Country & its People** ".J.S. virtue & Co., London, N. D. p.4

[4] د. سعيد عاشور: " **المجتمع المصرى فى عصر سلاطين المماليك** "، القاهرة، ١٩٦٢، صـ ٨٧

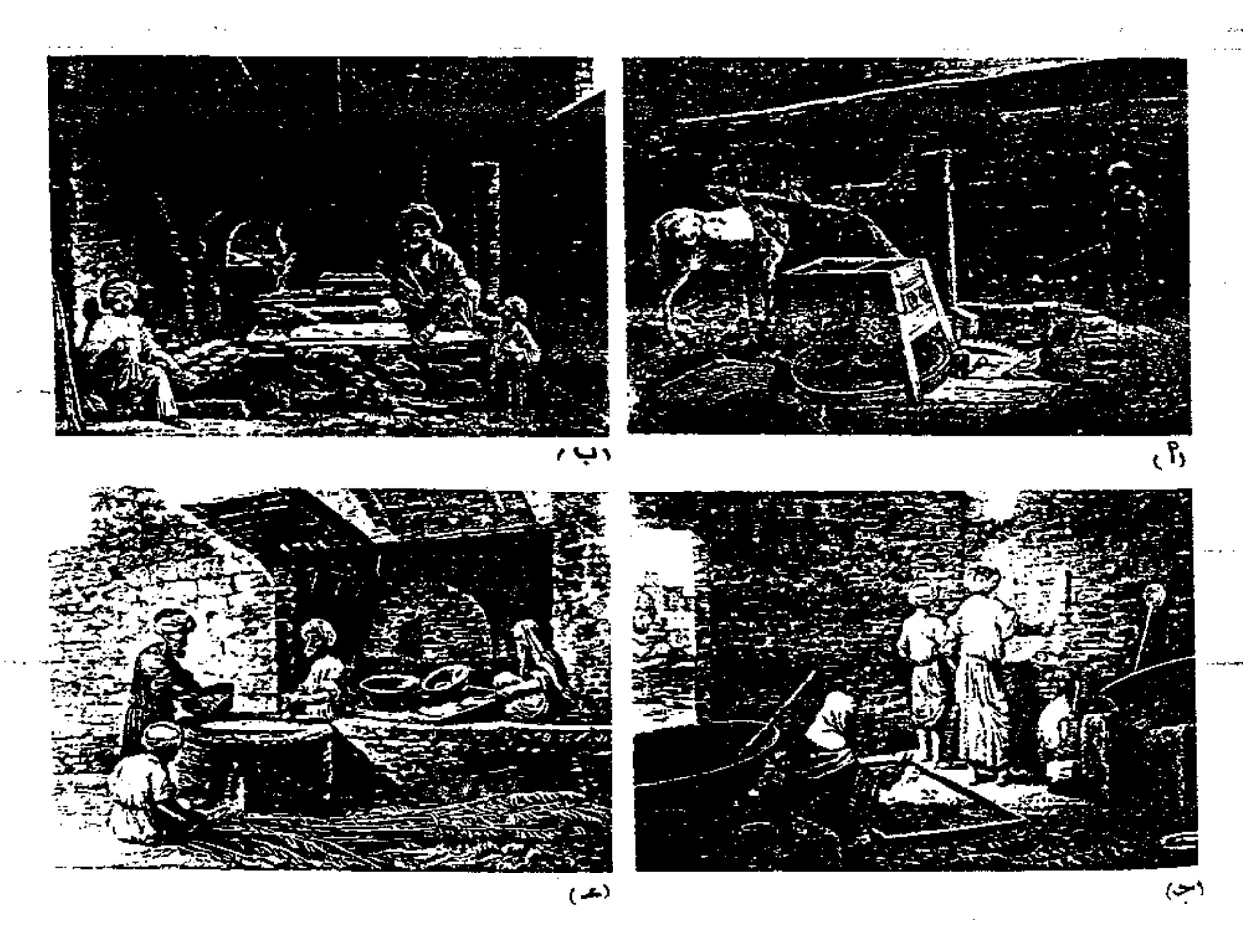
[5] السبكى: " **معيد النعم ومبيد النقم** "، القاهرة، مطبعة الخانجى، ١٩٤٨، صـ ٩٢

[6] المقريزى: " **الخطط المقريزية** "، الجزء الثانى، دار صادر، بيروت، صـ ٩٤

وتعتبر أسواق بيع الطيور أيضاً من الأسواق التى كان يعتمد عليها كمصدر رئيسى للغذاء ومن أمثلة تلك الأسواق سوق يعرف بسوق الدجاجين، وهو كان يباع فيه أعداد كبيرة من الأوز والدجاج، كما احتوى هذا السوق على حانوت لبيع العصافير للصبية[٧].

وكان يوجد أيضا سوق خاص ببيع مختلف أنواع الشواء يسمى بسوق الشوايين وقد قال عنه المقريزى أن:

"هذا السوق هو أول سوق وضع بالقاهرة و كان يعرف بسوق الشرايحيين، وهو من باب حارة الروم إلى سوق الحلاويين وما زال يعرف بسوق الشرايحيين إلى أن سكن فيه عدة من بياعى الشواء في حدود السبعمائة من سنى الهجرة فزالت عنه النسبة إلى الشرايحيين وعرف بالشوايين".[٨]



(أ) (ب) (جـ) (د)

(شكل ٣-١) صور لنماذج من أسواق المآكل والمشارب توضح (أ) الطحان، (ب) الخباز، (جـ) الحلوانى أو القطاطرى، (د) الكنفانى

المصدر :" وصف مصر "، ترجمة زهير الشايب، ١٩٨٠.

---

[٧] المقريزى: " الخطط المقريزية "، الجزء الثاني، دار صادر، بيروت. صـ ٩٦

[٨] المقريزى. " الخطط المقريزية "، الجزء الثاني، بيروت. صـ ١٠٠

٣/١/٢/٣ الأسواق الخاصة بالمصنوعات الجلدية:

كان للأسواق الخاصة بالمصنوعات الجلدية –وبخاصة السروج– شأن كبير فى عصر المماليك، وخاصة عندما تفنن العمال المصريون فى تحليتها بالذهب والفضة. ويقول المقريزى[١٣] أن السروج كانت تصنع على ألوان مختلفة وأثمنها ما كان يصنع من الجلد البلغارى. وقد كانت تباع هذه المصنوعات بسوق يعرف باسم سوق اللجميين وفيه تباع آلات اللجم ونحوها من المنتجات الجلدية.

٣/١/٢/٤ الأسواق الخاصة بصناعة المعادن:

لم تكن عناية المصريين فى عصر المماليك بصناعة المعادن أقل من اهتمامهم بصناعة المنسوجات والجلود؛ و تشهد الكراسى والأوانى والثريات وغيرها من التحف التى تكتظ بها دور الآثار على مدى تقدم المصريين عندئذ فى هذه الصناعة.

وانتشرت فى مصر المملوكية صناعة تكفيت (تطعيم) البرونز والنحاس بالذهب والفضة، واشتهر بهذه الصناعة سوق الكفتيين بالقاهرة. ويذكر المقريزى أن المعاصرين كانت لهم فى النحاس المكفت رغبة عظيمة فلا تكاد دار تخلو بالقاهرة ومصر من عدة قطع نحاس مكفت.[١٤]

أما بالنسبة للحديد فلم تكن مصر من البلاد التى تنتج معدن الحديد، ولكنها كانت تستورد مقادير صغيرة منه من أوربا وصقلية وشمالى أفريقيا. وكان استعمال الحديد قاصرا على أشياء قليلة كآلات بسيطة أولية وما يلزم فى البناء. وقد كانت القاهرة مركزا لتصنيع المقصات والسكاكين والأسلحة وتقوم بتصديرها إلى الشام وغيرها[١٥].ويذكر د./ سعيد عاشور أن:

" مصر لم تكن مركزا مهما لصناعة الحديد فى ذلك العصر، ولذا استوردت كميات كبيرة من الأدوات الحديدية من أوربا، ومع هذا أجاد الصناع المصريون صناعة بعض أنواع الأسلحة والدروع والشبابيك والأقفال والمفاتيح ".[١٦]

---

[١٣] المقريزى: " **الخطط المقريزية** "، الجزء الثانى، بيروت :صـ ٩٨

[١٤] المقريزى: " **الخطط المقريزية** "، الجزء الثانى، بيروت. صـ ١٠٥

[١٥] راشد البراوى: " **حالة مصر الإقتصادية فى عهد الفاطميين** "، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٤٨ . صـ ١٧٢

[١٦] د./ سعيد عاشور: " **مصر فى عصر دولة المماليك البحرية** "، القاهرة. صـ ٢٠٥

كذلك عنى المصريون بصياغة الذهب والفضة، فأكثروا من صنع الأوانى والحلى الذهبية والفضية وزينوها بكثير من النقوش والكتابات[١٧]. وقد استخدم الذهب والفضة فى سك النقود الذهبية والفضية وعمل الكثير من أدوات الترف والحلى والمصوغات كالأساور والأقراط والخواتم.(شكل ٣-٣ أ، ب)



(أ)



(ب)

(شكل ٣-٣) صور لنماذج من أسواق صناعة المعادن توضح (أ) النحاس، (ب) الحداد

المصدر :" وصف مصر "، ترجمة زهير الشايب، ١٩٨٠.

٣/٢/١/٥ الأسواق الخاصة بصناعة الزجاج والخزف والأخشاب:

ازدهرت صناعة الزجاج فى مصر المملوكية وخاصة صناعة الزجاج الملون المستخدم فى الشبابيك وكذلك بعض أنواع البللور الصخرى المحبب[١٨].

أما الخزف فكانت مصر من المراكز الأساسية لصناعته فى العالم الإسلامى، ومنها انتشر الكثير من نماذجه إلى البلاد الخرى.

وبالنسبة للصناعات الخشبية فقد بلغت درجة كبيرة من التقدم فى عصر المماليك واتبع المصريون فى زخرفة المصنوعات الخشبية عدة طرق منها الحشوات والخرط والتطعيم -حيث كان التطعيم عادة بالعاج والأبنوس- لاسيما فى الكراسى والمناضد والأبواب وحوامل المصاحف[١٩].(شكل ٣-٤ أ، ب، جـ، د)

---

[١٧] د./ سعيد عاشور: " مصر فى عصر دولة المماليك البحرية "، القاهرة. :صـ٢٠٥

[١٨] نفس المصدر السابق: صـ٢٠٥

[١٩] نفس المصدر السابق: صـ ٢٠٧



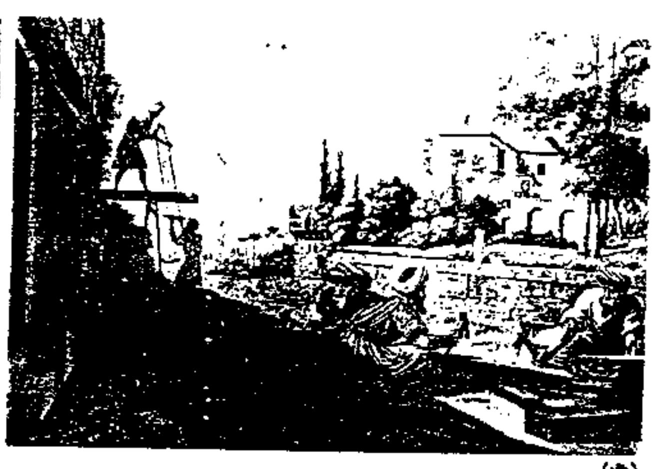
(ب)



(أ)



(د)



(جـ)

(شكل ٣-٤) صور لنماذج من أسواق صناعة الزجاج والخزف والأخشاب توضح (أ) صانع القوارير الزجاجية، (ب) صانع الأوانى الفخارية، (جـ) قاطع الأخشاب، (د) النجار

المصدر :" وصف مصر "، ترجمة زهير الشايب، ١٩٨٠.

٣/٢/١/ ٦ المنشآت المجمعة والتى تزاول فيها التجارة وأنشطة أخرى:

كان بمصر تنوعات كبيرة من المنشآت المقفولة والتى تؤدى غرض الوظائف التجارية، وبغض النظر عن أبعادها أو تصميمها المعمارى والذى يختلف طبقا للفترة التى أنشئت فيها أو الإقليم الواقعة فيه فإن هذه المبانى كانت مخصصة لبيع الأشياء الباهظة الثمن أو لكل أنواع التجارة، ولكنها كانت أيضا لسكن التجار؛ وعرفت هذه المنشآت بالوكالات.وقد كانت كل وكالة مخصصة عادة للتجارة فى منتج واحد، وكان التجار بها من أصل واحد كما حدث فى وكالة الصابون التى كانت مخصصة لبيع الصابون، وكان تجارها من الفلسطينيين حيث احتكروا وسيطروا على تجارة الصابون. وقد أدى ذلك إلى سهولة الإدارة والتحكم فى هذه التجارة وتوزيعها[٢٠].

[20] Raymond, A., " The Great Arab Cities in the 16th - 18th Centuries ", New York University press, New York & London, 1984, p.44

وقد ظلت الوكالات نموذجا لمبانى استمرت على مدى عصور مختلفة وظل نشاطها قائما. وتوضح هذه الإستمرارية فى استخدام الوكالة السبب فى أنه بالرغم من وجود بعض التحولات المختلفة ظل الإنشاء المعمارى كما هو، وأصبح عنصر الإختلاف الوحيد هو الأبعاد والتى كانت تجارى أو تساير النشاط التجارى لكل مركز[21].

وقد كان تصميم الوكالة عبارة عن مجموعة من الغرف متمركزة حول فناء أوسط، وكان الدور الأرضى يحتوى على غرف فى لتخزين البضائع، ويحتوى الدور الأول على وحدات سكنية لسكن التجار.

وتعتبر الوكالة أفضل مثال على تجميع الوظائف المختلفة فى مبنى واحد متكامل تتم فيه عملية البيع والشراء وهى من الأدلة الهامة على مزاولة نشاط تجارى سكني وإدارى فى مكان واحد بدون حدوث أى خلل فى أى منهم بل كان هناك توافق فى تأدية كل وظيفة وتكامل بينها وبين الوظائف الأخرى. ويوجد أمثلة متعددة من الوكالات المملوكية بمصر أهمها:

وكالة قوصون بباب النصر، وقد أنشئت قبل عام (٧٤٢ هـ / ١٣٤١ م)، وهى من آثار عصر المماليك البحرية[22].

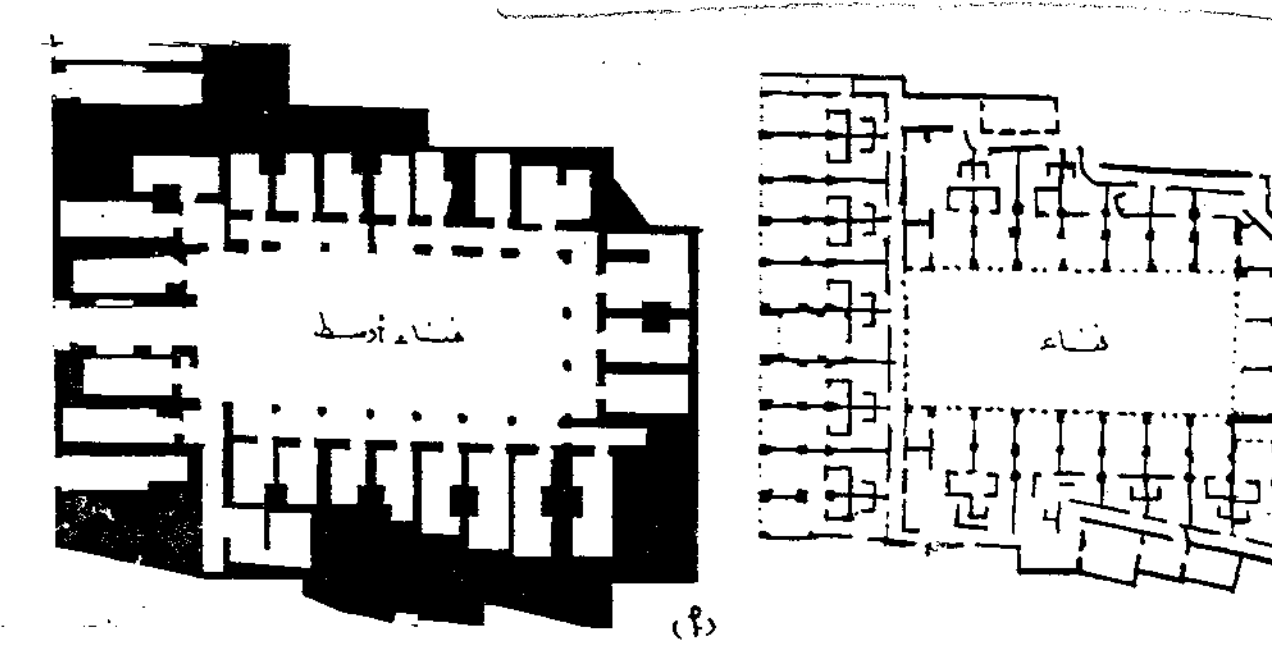
ويوجد أيضا وكالة قانصوة الغورى بشارع التبليطة، وقد أنشئت عام(٩٠٩-٩١٠ هـ / ١٥٠٤ - ١٥٠٥ م)[23]، وهى من آثار عصر المماليك الجراكسة. وهى واحدة من عمائر الغورى الهامة. شيدت لأغراض تجارية وسكنية، وتعتبر الوكالة من الناحية المعمارية ظاهرة جديدة من حيث الهندسة والإرتفاع. وهى عبارة عن مبنى ضخم يتألف من خمس طوابق من الوحدات المسقوفة، تحيط بفناء واسع، يدخل إليه من بوابة تتوسط الواجهة الرئيسية المطلة على الشارع. يحيط بالفناء رواق على قناطر وعضائد، يضم الطابق الأرضى مخازن تجارية مفتوحة على الرواق دون أن تكون لها فتحات على الواجهة، بينما زود الطابق الأول بنوافذ مفتوحة فى الواجهة بالإضافة إلى الأبواب المفتوحة على

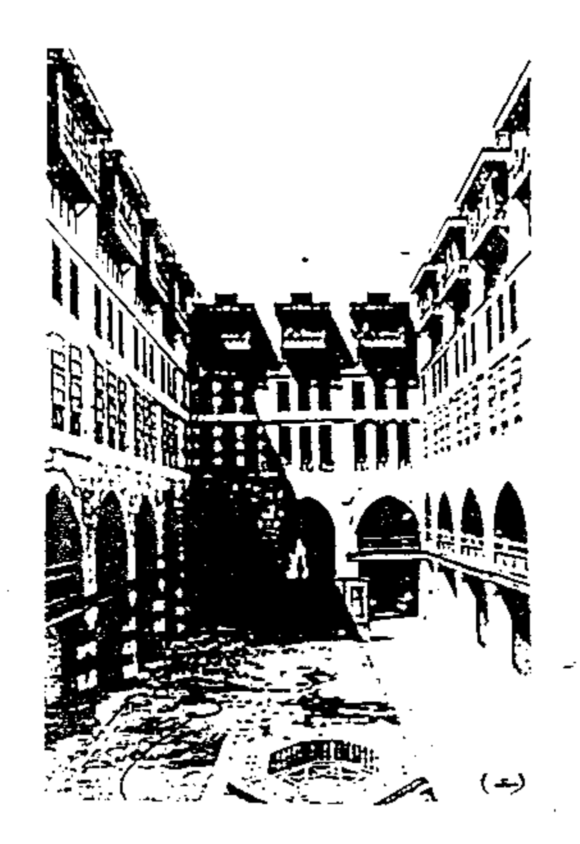
21 Raymond, A., " **The Great Arab Cities in the 16th - 18th Centuries** ", New York University press, New York & London, 1984. p 44

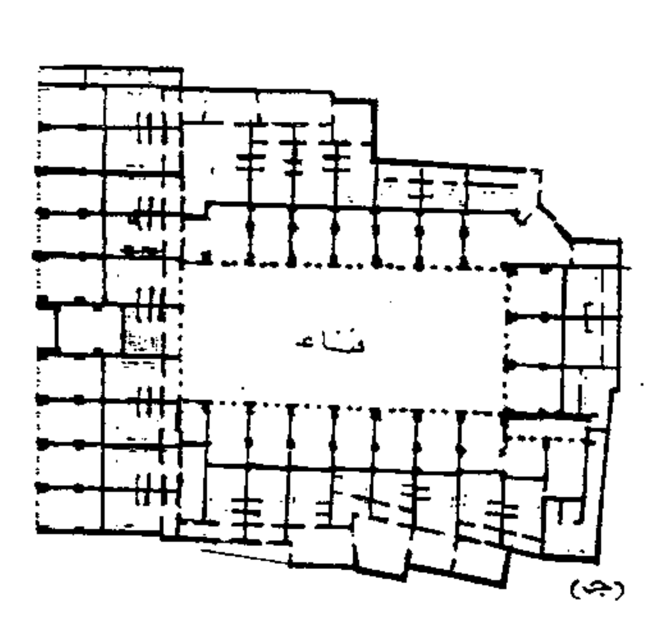
٢٢ د./ إبراهيم أحمد العدوى: " مصر الإسلامية درع العروبة و رباط الإسلام "، هيئة الآثار المصرية، القاهرة، ١٩٩٢. صـ ١٦٦

٢٣ نفس المصدر السابق: صـ ١٨٣

الرواق[٢٤].أما الطوابق الثلاثة الأخرى فتتكون من شقق سكنية، يدخل إليها من الجهة الخلفيـة، وتطل على الفناء وعلى الشارع.(شكل ٣-٥ أ، ب، جـ، د)







(شكل ٣-٥) كروكى لوكالة الغورى يوضح (أ) مسقط أفقى للدور الأرضى، (ب) مسقط أفقى للدور الأول، (جـ) مسقط أفقى للدور الثانى، (د) الفناء الداخلى الذى تطل عليه جميع الأنشطة

المصدر : د./ عبد القادر الريحاوى "العمارة فى الحضارة الإسلامية"، ١٩٩٠

[٢٤] د./ عبد القادر الريحاوى: " **العمارة فى الحضارة الإسلامية** "، مركز النشر العلمى، جامعة الملك عبد العزيز، جدة، ١٩٩٠ صـ٣٢٠، ٣٢٣

٢/٢/٣ العلاقات التى تربط الحرف المختلفة وبعضها البعض:

اختلفت العلاقات بين الحرف باختلاف نوعيتها ونوع السلعة والمكان المخصص لمزاولة الحرفة ومتطلبات هذا المكان، والمساحة المخصصة للبيع والشراء والعرض. ونتيجة لكل هذه العناصر نجد أن بعض الحرف كان بينها تشابه فى كثير أو معظم هذه العناصر ولذلك حدث بينها تداخلات فى المناطق المخصصة لكل منها بحيث لا نستطيع التمييز بين مكان مخصص لحرفة وأخرى.

كما حدث أيضا أن يتشابه بعض من هذه العناصر، ونتيجة لذلك يحدث تجاور بين بعض الحرف وحرف أخرى.

وعلى العكس تماما مما سبق فنجد أن بعض الحرف تطلبت أماكن خاصة وبعيدة عن حرف أخرى نظرا للعوامل التى تقوم عليها هذه الحرف، فنجد علاقات التباعد بين دكاكين العطارين وبين دكاكين صناعة الخبز والحدادة، كما تم بناءا على هذا المبدأ إبعاد بعض الحرف والأنشطة إلى خارج المدينة وهى الحرف ذات التأثيرات السلبية والضارة على البيئة، حيث وضعت المنشآت الصناعية التى ينتج عنها أضرار -مثل المدابغ وأفران الجير والفخار- على أطراف المدينة وذلك بعد دراسة اتجاهات الرياح وتغيراتها الموسمية، هذا بالإضافة إلى احتواء المخطط العمرانى للمدينة على أماكن خاصة بتجميع النفايات الصناعية والتخلص منها بعيدا عن الكتلة السكنية، وبعيدا أيضا عن مصادر المياه الطبيعية[٢٥].

وبصفة عامة فإننا نجد أنه نتيجة لتجاور الحوانيت المخصصة لسلعة واحدة فقد نشأت علاقات اجتماعية قوية بين أصحاب هذه الحوانيت والتى ترجع أسبابها إلى وحدة النشاط الإقتصادى، وربما إلى الوحدة فى مكان السكن[٢٦]، حيث نجد أن هناك حارات سميت وفقا لديانة قاطنيها (مثل حارة اليهود وحارة النصارى). ونجد أنه كانت هناك وحدة فى النشاط الإقتصادى لسكان الحارة الواحدة حيث نجد أن اليهود عملوا بالدباغة، وكذلك تجاورت حوانيتهم بالصاغة. وبالتالى نشأ بينهم تضامن وروابط قوية فى العمل والسكن، ولذلك كانوا ينتمون لنقابة مهنية واحدة ترعى أمورهم وتحل مشاكلهم وتكون حلقة الربط بينهم وبين الحكومة.

---

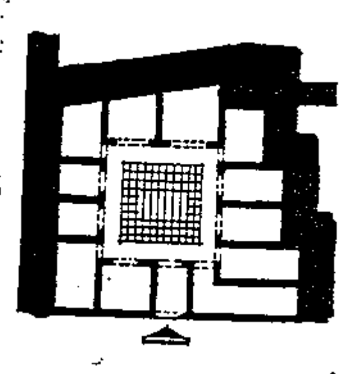
٢٥ محمد حبشى: " الصناعة و دورها فى تشكيل المدينة الإسلامية "، مجلة البناء، العدد ٦٧، يوليو-أغسطس ١٩٩٢. ص ٣١

26 Lapidus, I.M., " **Muslem Cities in the Later Middle Ages** ", Cambridge University press, Cambridge, n.d. p. 101

٣/٢/٣ النشاط الحرفي وانعكاسه على التشكيل المعماري للمنشآت:

تميزت المناطق الحرفية والصناعية والتجارية بظهور أنماط كثيرة لتشكيلاتها المعمارية كان لكل منها طريقة خاصة في البناء وفي الأداء الوظيفي، وبصفة عامة كان هناك أربعة نماذج تصميمية لتجميع المنشآت الصناعية وذلك وفقا لتصنيف م./ محمد حبشي في مقالته بمجلة البناء، وهذه النماذج هي:

أول نموذج كان يسمى بنموذج الفناء المفتوح. وينتج هذا النموذج من توزيع الحوانيت حول ساحة وسطية مكشوفة بحيث تكون أبواب الحوانيت على الداخل وواجهتها الخلفية على الخارج، وكانت تعلوها الوحدات السكنية التي كانت تؤجر لمن يرغب في السكن من التجار أو الصناع. وأكبر مثال على هذا النموذج هي الوكالات[٢٧].ومن إيجابيات هذا النمط إمكانية استغلال الفراغ الأوسط في الأنشطة المختلفة سواء أنشطة إجتماعية (عن طريق التعامل بين أصحاب الحوانيت، أو بين المترددين على المكان)، أو أنشطة إقتصادية (عن طريق الكسب المادي الناتج من حركة البيع والشراء)، كما يوفر هذا النموذج الخصوصية الكاملة لأصحاب الحوانيت حيث أن أبواب الحوانيت صممت على أن تفتح على فراغ أوسط محدود، يعرف فيه الناس بعضهم بعضا، وليس على طريق عام.(شكل ٣-٦أ، ب)



(أ)



(ب)

(شكل ٣-٦) النموذج الأول (التجميع حول فناء) يوضح (أ) مسقط أفقي، (ب) منظر داخلي لوكالة ذو الفقار

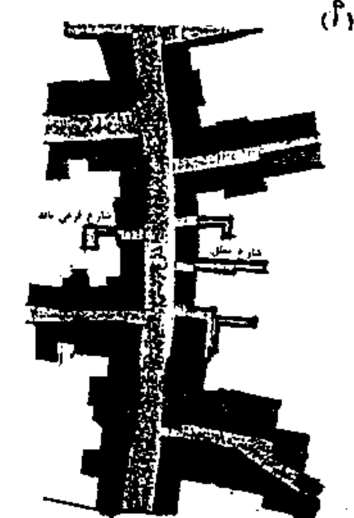
المصدر : م. محمد حبشي " الصناعة ودورها في تشكيل المدينة الأسلامية "، ١٩٩٢.

٢٧ محمد حبشي: " الصناعة و دورها في تشكيل المدينة الإسلامية "، مجلة البناء، العدد ٦٧، يوليو-أغسطس ١٩٩٢، صـ ٣٢

أما النموذج الثانى فيسمى بنموذج التوزيع الخطى وهو يمثل نمط المنشآت الصناعية المتراصة على جانبى الشوارع الرئيسية والشوارع الفرعية المتسعة، ويرتبط وجود هذا النموذج فى التجميع بالشوارع النافذة الغير مغلقة؛ ويتسم هذا النموذج باحترامه للتدرج الهرمى لشبكة الطرق بالمدينة وتسهيل عملية الشراء والبيع للمنتجات الصناعية، وسهولة توزيع محلات الأنشطة الصناعية[٢٨].وتعد الحوانيت المتراصة على جانبى شارع المعز لدين الله (قصبة القاهرة) أكبر مثال على هذا النموذج.(شكل ٣-٧ أ، ب)



(ب)

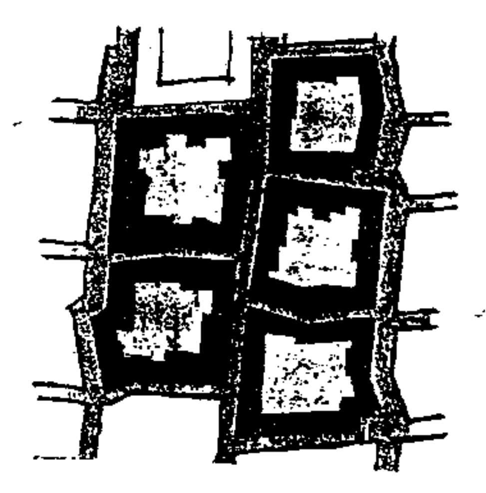


(شكل ٣-٧) النموذج الثانى (التوزيع الخطى) يوضح (أ) مسقط أفقى، (ب) منظر لأحد شوارع مدينة دمشق

المصدر : د. قتيبة الشهابى " أسواق دمشق القديمة ومشيداتها التاريخية "، ١٩٩٠.

(أ)

وبالنسبة للنموذج الثالث فقد كان يطلق عليه نموذج المربعات، حيث يتخذ تكوينه هيئة كتلة معمارية تضم مجموعة من الحوانيت الصناعية والتجارية تطل ظهورها على الداخل بينما تطل واجهاتها على الشوارع الرئيسية والفرعية النافذة والتى تحيط بها من الجوانب الأربعة. وقد عرف هذا النموذج من خلال وصف لهذه المربعات فى بعض الوثائق المملوكية. (شكل ٣-٨)



(شكل ٣-٨) مسقط أفقى يوضح لنموذج الثالث " نموذج المربعات ".

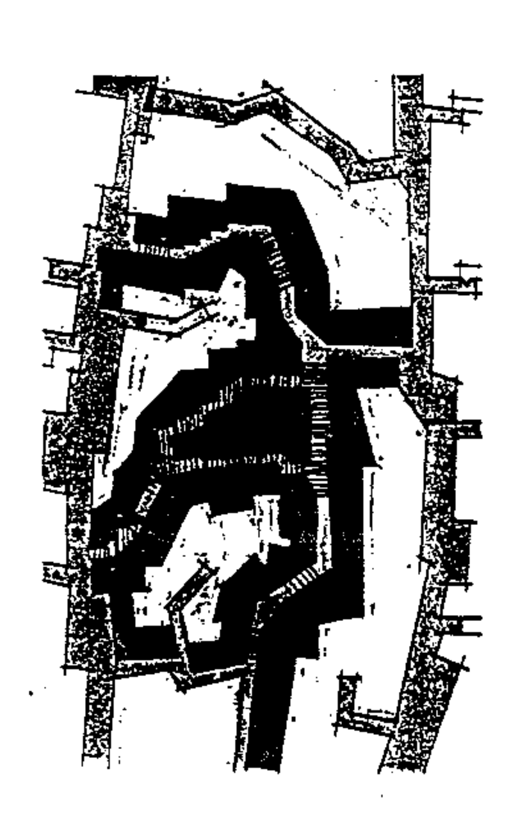
المصدر : م. محمد حبشى " الصناعة ودورها فى تشكيل المدينة الأسلامية "، ١٩٩٢.

---

٢٨ محمد حبشى: " الصناعة و دورها فى تشكيل المدينة الإسلامية "، مجلة البناء، العدد ٦٧، يوليو-أغسطس ١٩٩٢ صـ ٣٢

ويلاحظ أن هذا النموذج يجمع ما بين النموذجين الأول والثانى مع بعض التعديلات الملائمة لنمو المدينة وازدياد حاجتها إلى توسيع منشآتها الصناعية والتجارية[٢٩].

أما النموذج الرابع فيعرف بنموذج السقائف وهو يشمل القيساريات، ويتكون هذا النمط التجميعى من تراص الحوانيت والورش على جانبى شبكة من الطرقات الضيقة المتصلة والمسقوفة مثل سقيفة رضوان بالقاهرة، وقد اختلفت نوعية التسقيف ومواده البنائية مما أثر على كل من التعبير المعمارى والعمرانى لتلك المجمعات الصناعية.(شكل ٣-٩)



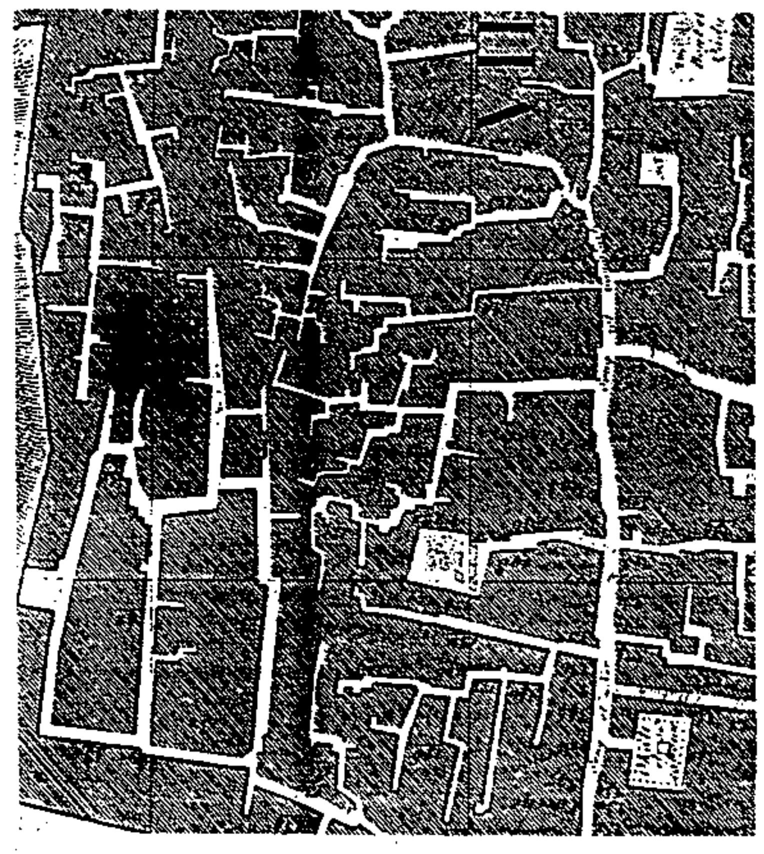
(شكل ٣-٩) مسقط أفقى يوضح النموذج الرابع (نموذج السقائف)
المصدر : م. محمد حبشى " الصناعة ودورها فى تشكيل المدينة الأسلامية "، ١٩٩٢.

٢٩ محمد حبشى: " الصناعة و دورها فى تشكيل المدينة الإسلامية "، مجلة البناء، العدد ٦٧، يوليو-أغسطس ١٩٩٢ ص ٣٣

٣/٣ العلاقات الإيجابية والسلبية التى تربط مكان الحرفة بالمحيط:

نظرا لتنوع الحرف والأسواق بمصر فقد نشأت علاقات مختلفة بين هذه الحرف والمجتمع ككل، وأيضاً بينها وبين النطاق الواقعة به. فنجد أن المناطق المخصصة للحرف تكون واقعة بمركز المدينة، حيث يكون من السهل عليها تحديدها بالنظر إلى المسقط الأفقى لمدينة القاهرة، وذلك لأن الحارات (وهى الشوارع الضيقة) والتى يكون معظمها ذو نهايات مسدودة هى مقر لسكن الحرفيين، وذلك وفقا لما ذكره آندريه ريمون حيث قال نقلا عن نيبور:

"أن الحارة كانت مخصصة للسكنى، والدليل على صحة هذه الملاحظة أن عدد الحارات فى المناطق التى يتركز فيها النشاط التجارى الكبير (كالقصبة بين باب الفتوح وباب زويلة وامتدادها حتى طولون، وكذا منطقة خان الخليلى فى باب الشعرية) كان قليلا، كما أن خريطة الأسواق حيث كانت تتركز الطوائف المهنية أساسا تبدو وكأنها الصورة السلبية لخريطة الحارات، كما أن معظم الحارات التى أمكن تحديدها على الخريطة كانت تقع عند تخوم المدينة، فى تلك المناطق التى استقرت فيها الأحياء الشعبية، بينما يندر أن نجد فى مقابل ذلك حارة واحدة بالقرب من (الأحياء الراقية للمدينة)."[٣٠] (شكل ٣-١٠)



(شكل٣-١٠) مسقط أفقى لمنطقة الجمالية بالقاهرة يوضح الحارات ذات النهايات المغلقة

المصدر: آندريه ريمون "The Great Arab Cities"، ١٩٨٤

[٣٠] آندريه ريمون: "فصول من التاريخ الاجتماعى للقاهرة العثمانية"، ١٩٧٤، ص ٢١-٢٢

ولذلك فإن العناصر الفقيرة من الشعب من صغار الحرفيين وتجار التجزئة كانوا يسكنون فى الأحياء الشعبية والتى تقع فى غالب الأحيانبجوار الأسواق وحول الأزهر. ونتيجة لذلك فقد كانت مناطق الأسواق والمناطق الحرفية تعد من أشد المناطق زحاما فى المدينة، ونشأت نتيجة لذلك علاقات بين كل حرفة من الحرف ، أو بين تجارة وكلا من المجتمع والنطاق الذى تقع فيه، فنجد أن أسواق المآ كل والمشارب، والتى من أهمها سوق باب الفتوح كانت منتشرة على أمتداد القصبه، هذا بخلاف باعة الطعام الذين يقطعون الشوارع جيئة وذهابا ومعهم الطعام المطهى وتحته المواقد مشتعلة ليبيعوه للمشترين. (شكل ٣-١١)



(شكل ٣-١١) منطقة خان الخليلى بالقاهرة ويظهر بها انتشار الباعة الجائلين والسقايين والزحام الشديد حول الحوانيت وأمام المحلات

المصدر: آندريه ريمون، "The Great Arab Cities" ١٩٨٤

ونظرا للاحتياج اليومى الدائم لمثل هذه الأسواق فإن موقعها –كما ذكرت من قبل – كان على إمتداد القصبة الرئيسية بحيث يسهل على الناس الوصول إليها لقضاء إحتياجاتهم اليومية، وذلك لأن هذه النوعية من الأسواق لاتمثل مصدر تلوث أو ضوضاء. وقد كانت حوانيت هذه الأسواق كغيرها من الأسواق عبارة عن وحدة تتكرر على امتداد السوق كله.

وكذلك فإننا نجد أن أسواق صناعة المنسوجات لاتؤثر سلبيا على البيئة أو على النطاق الواقعة فيه، وأكبر مثال على ذلك ورش صناعة الخيام بشارع الخيامية، الذى يعد جزءا من الامتداد الحادث فى القصبة الرئيسية للمدنية خارج أسوار القاهرة من ناحية الجنوب. وهو سوق يأتى إليه المشترون من كافة أنحاء البلاد لشراء الخيام، والأقمشة المشغولة والتى يتم صنعها فى الحوانيت على دكه خاصة يجلس عليها الحرفى؛ حيث يقوم بشغل كل منتجاته يدويا باستخدام الأبرة والخيوط، ويعلق منتجاته على باب الحانوت لكى يراها المارة فيأتوا للشراء.

ومن الصناعات التى لاتؤثر على المحيط تأثيرا سلبيا أيضا أسواق صناعة المشغولات المعدنية مثل سوق خان الخليلى، والذى تتم فيه عملية التصنيع، وهى عملية لاتمثل مصدر إزعاج حيث يتم فيها استخدام أدوات يدوية بسيطة. وترتبط بصناعة المعادن عملية التكفيت، فقد عرف عن المصريين فى العصر الفاطمى حذقهم للتكفيت. وكان عدد من الحوانيت تعمل بالتكفيت بنوعيه البارز والمحفور فى مكان يعرف بسوق المكفتين بالقاهرة، ويقصد بالتكفيت عملية تطعيم الأوانى النحاسية بالذهب والفضة.[٣١]

كما أننا نجد أن ورش صناعة المشغولات المعدنية، وخاصة فى منطقة خان الخليلى كانت عبارة عن منطقة مترابطة عن طريق بعض المسارات، والتى تتصل بالقصبة الرئيسية. وأنها لاتشكل جزء من القصبة الرئيسية للمدينة (والتى بها زحام شديد)، ربما كان ذلك للاحتياج إلى تركيز شديد من الحرفى، والرغبة فى أن يكون المنتج على قدر كبير من الدقة والاتقان.

وبالنسبة لأسواق صناعة المنتجات الجلدية فإننا نذكر على سبيل المثال صناعة الأحذية، والتى تعد نشاط يندرج ضمن باقى الأنشطة التى تعمل فى مجال خياطة وتفصيل

---

[٣١] حسن ابراهيم حسن: "تاريخ الدولة الفاطمية فى المغرب ومصر وسوريا وبلاد العرب"، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٨٠. صـ ٥٩٣

الجلود سواء المستخلصة من الحيوانات، أو من الجلود الصناعية.[٣٢] وقد انتظم المشتغلون بصناعة الأحذية فى طائفة حرفية تقوم على مصالحهم وبيع منتجاتهم. وكانت الطائفة تعرف بطائفة الجزمجية فى مصر.

وتتجمع ورش صناعة الأحذية فى مبنى واحد، بل وفى طابق واحد بمنطقة المغربلين. ونظراً لأن هذه الصناعة تعتمد على وجود ماكينة حياكة للجلد وهى بسيطة وصغيرة، فإن هذه الحرفة ليس لها تأثير سئ بيئياً سوى الإزعاج الذى قد يحدث نتيجة لصوت هذه الماكينة، والذىيضيع فى الضوضاء الشديدة والزحام الحادث من تجمهر الناس فى القصبة الرئيسية للمدينة والتى تطل عليها هذه المحلات.

أما عن ورش صناعة الزجاج والخزف والخشب، فإنها لا يصدر عنها أى تلوث بيئى، وإنما نجدها تنتشر فى المدينة (سواء مباشرة فى القصبة أو مسارات جانبية تصب فى القصبة الرئيسية)، والأثر السئ الوحيد الذى تحدثه هو تلك الضوضاء التى تنتج خاصة من ورش صناعة الخشب.

كما نجد أنه على طول القصبة الرئيسية للمدينة وامتدادها تنتشر الوكالات (شكل ٣-١٢) والتى تمثل منشآت مجمعة يستخدم فيها الدور الأرضى كحواصل لتخزين البضائع، بينما يشتغل الدور الأول والأدوار التى تعلوه كربوعاً سكنية للتجار وعائلاتهم. وتتم حركة البيع والشراء والأنشطة الاجتماعية الأخرى فى الفناء الأوسط للوكالة حول النافورة الموجودة فى مركزه.

(شكل ٣-١٢) مسقط أفقى لمدينة القاهرة يوضح مواقع الوكالات وانتشارها على امتداد قصبة المدينة

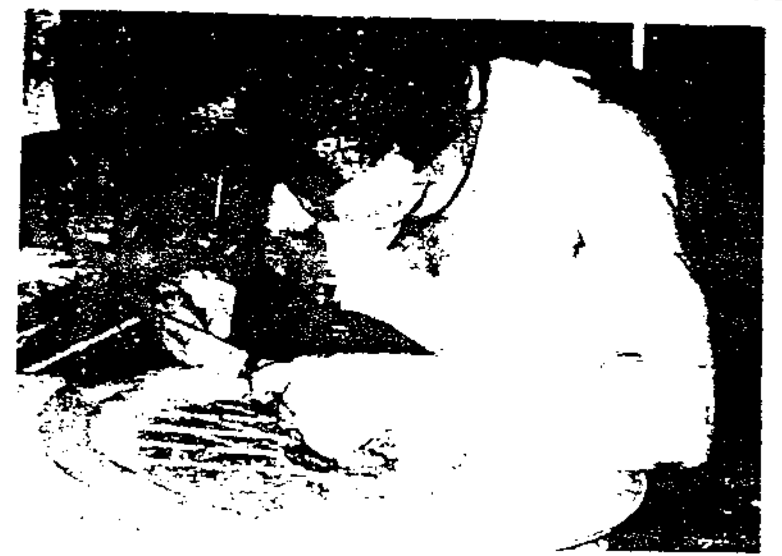
المصدر: آندريه ريمون، "The Great Arab Cities"، ١٩٨٤

٣٢ د./ اعتماد علام: "الحرف والصناعات التقليدية بين الثبات والتغير"، صـ ٢٦٧

٤/٣ العلاقة بين مكان التصنيع (الورشة)، ومكان العرض، وسكن الحرفي:

ارتبط الحرفي بمكان عمله حيث يعد هو المصدر الرئيسي لكسب رزقه، وذلك نظراً لقضائة معظم وقته في مكان عمله (ورشته) وارتباطه بأفراد الطائفة التي ينتمي لها مجتمعة الحرفي. وقد كان تواجد السكن وعلاقته بالورشة، ومكان البيع ذو أهمية بالغة في فترة الدراسة (والتي تمتد منذ بداية عهد الفاطميين وحتى نهاية عهد المماليك)، حيث لم يكن الحال كما هو موجود في المدن الحرفية في عصرنا هذا، بل اعتمدت بعض الورش الحرفية وكفاءة العمل والانتاج بها على شكل عمراني ومعماري معين لهذه الورش والوحدات السكنية التي يقطنها الحرفي. فنجد أن الحاجة قد قضت في بعض الصناعات إلي أن تتواجد الوحدات السكنية أعلى منطقة التصنيع (الورشة)، وذلك كما كان موجوداً على سبيل المثال في منطقة خان الخليلي، حيث نجد أن الدور الأرضي يحتوي على وحدة متكررة هي الحانوت الذي يتم فيه التصنيع والتي تبلغ مساحته حوالي خمسة أقدام مربعة، وهو المكان الذي يقوم فيه الحرفي بتصنيع منتجاته من أطباق وأواني مشغولة سواء بالحفر أو الشغل البارز كما يقوم أحيانا بطلاء بعض هذه المشغولات النحاسية بالفضة أو الذهب (شكل ٣-١٣). وتحتوي واجهة المحل على جزء صغير للعرض حيث يتم تعليق هذه المنتجات على باب المحل (في الجزء العلوي منه) لكي يراها الزبائن. أما الجزء السفلي من واجهة المحل فهو عباة عن مصطبة يجلس عليها صاحب الورشة مع أصدقائة أو بعض الزبائن لتناقل الأخبار، وهذا ما يؤكده د./ سعيد عاشور حين ذكر:

"أن الحوانيت في ذلك العصر لم تتخذ محلاً للبيع والشراء فحسب بل تردد فيها على التاجر معارفه وأصدقاؤه ليتناقلوا مختلف الحكايات والنوادر. وذلك يجعلنا نقدر أهمية الحوانيت في ذلك العصر بوصفها مراكز إخبارية وإجتماعية".[٣٣]



(شكل ٣-١٣) حرفي يقوم بالنقش بالحفر على صينية كبيرة الحجم من النحاس الأحمر
المصدر: اعتماد علام، "الحرف والصناعات التقليدية بين الثبات والتغير"، ١٩٩١

---

٣٣ د./ سعيد عاشور: "المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك"، ١٩٦٢، صـ ٨٧

وقد كان يطلق على هذه الوحدات السكنية التى تعلو الورش اسم الربوع السكنية حيث كان الاتصال فيها عن طريق سلم فى الدور الأرضى يصل إلى الدور الأول حيث الربع، وهو عبارة عن وحدات سكنية منفردة، أحياناً تكون عبارة عن دور واحد، أو بها سلم داخلى بحيث تكون الوحدة على مستويين (الدور الأول، والثانى).

كما نجد أن الوكالات ينطبق عليها هذا التصميم وهذه العلاقة بين مكان السكن ومكان العمل، وكذلك علاقة الربع بالدور الأرضى، والتصميم الداخلى للربع حيث يشغل أحياناً دوراً واحداً، وفى الأحيان الأخرى يكون الربع عبارة عن وحدة سكنية على مستويين بينهما سلم داخلى صغير فى وكالة قوصون، ووكالة الغورى اللتان سبق الحديث عنهما فى هذا الفصل عن ذكرنا لأنواع الحرف المتواجدة فى مصر.

أما بالنسبة لبعض الأنواع من التجارة والتى لم يكن فيها عمل حرفى يدوى يتطلب التواجد فى معظم الوقت (كمختلف أنواع التجارة التى لايتم فيها عملية تصنيع) فكانت أماكن البيع بها (وهى عبارة عن حوانيت متراصة على امتداد المنطقة التجارية) لاتشكل سوى منطقة يتم بها البيع والشراء عن طريق التعاملات بين التجار أصحاب الحوانيت، والمشترين (أفراد الشعب أو تجار آخرين)، حيث يكون الحانوت فى هذه الحالة مستغل كمخزن لوضع البضاعة، وعرضها وبيعها، وأحياناً أخرى يستغل الفراغ خارج المحل - بالإضافة إلى اشتمالة على وجود مصطبة يتم فيها نشاط اجتماعى - فى عرض السلع وذلك لأن هذه الطريقة تجتذب المشترين إلى المحل حيث يروا المنتجات فى ذهابهم وإيابهم. وأكبر مثال لنا على هذا النوع من الحرف التى لاترتبط حوانيتها بمكان سكن عمالها هو المناطق التجارية المنتشرة فى قصبة مصر (شارع العز لدين الله) مثل الفحامين، والبصالين وغيرها من المناطق التجارية المشابهة.

وبصفة عامة فإننا نجد أختلاف طريق ومكان عرض المنتجات عن بعضها الآخر، فمثلاً بالنسبة للمنتجات المعدنية (كالمشغولات المعدنية من الأطباق والأوانى وغيرها) فإنها تعرض على واجهة المحل إما بالتعليق أو بأن توضع خارج المحل (على الرصيف الذى يطل عليه المحل) (شكل ٣-١٤).

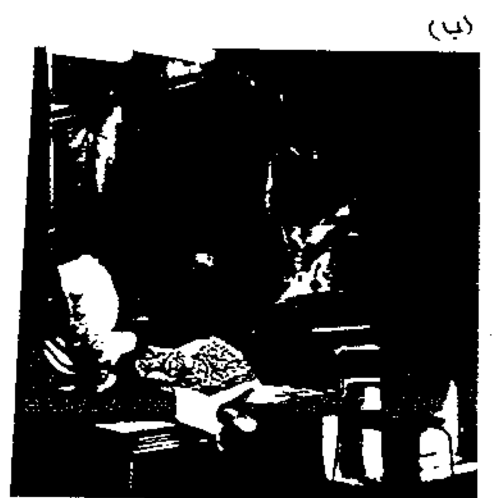
(شكل ٣-١٤) طريقة وضع المعروضات الخاصة بمحلات صناعة المشغولات المعدنية

أمـا بالنسبة لمنتجـات أسـواق المنسـوجات والتـى مـن أهمهـا سـوق الخياميـة فـإن المعروضات تعلق على باب المحل (شكل ٣-١٥أ، ب)، وفى كافة أرجاء المحل مـن الداخـل لأنه عبارة عن فراغ صغير (٢ قدم × ٣ قدم تقريبا) مفتوح بالكامل على الشارع ولا يفصلـه عنه سوى (الدكة) التى يجلس عليها الحرفى - بطريقة خاصة لمزاولـة مهنتـه - والتـى يقـوم عليها بشغل كل منتجاته من الخيام وأقمشة السرادقات والأقمشـة المطـرزة سـواء برسـومات فرعونية أو إسلامية.

(أ)



(ب)



(شكل ٣-١٥أ، ب) طريقة وضع المعروضات الخاصة بمحلات صناعة الخيام. حيث نرى فى (أ) المعروضـات علـى الحوائط فى كافة أرجاء المحل، وفى (ب) نجدها على باب المحل من الخارج

المصدر: اعتماد علام، "الحرف والصناعات التقليدية بين الثبات والتغير"، ١٩٩١

فـى حين أن السـلع التجاريـة (كمختلـف أنـواع الأطعمـة وأدوات الاسـتعمال اليومـى المنزلى) تعرض خارج المحل، ويكـون عليهـا رقابـة شـديدة وخاصـة المأكولات حيـث كـان المحتسب يقوم أثناء جولته فى الأسواق بتشديد الرقابة علـى باعـة الأطعمـة لضمـان جودتهـا ونظافتها وخلوها مما قد يشوبها أو يؤذى صحـة المشترين.

٥/٣ خلاصة الفصل الثالث:

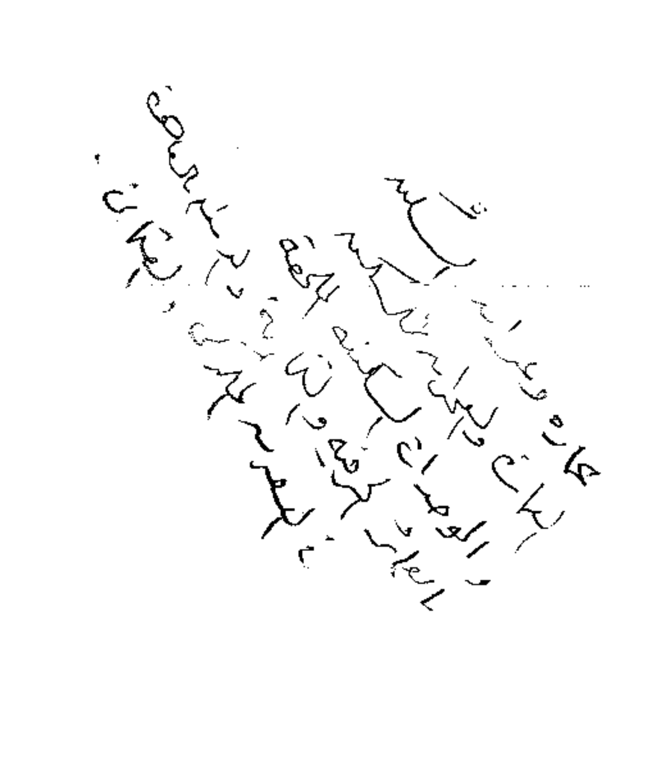
من واقع دراستنا التى تعرضنا لها فى هذا الفصل توصلنا إلـى بعض الحقائق الهامـة والتى تتبع كلها من دراسة للحرف المتواجدة فى مصر الإسلامية فـى الفترة منذ بداية عهد الفاطميين وحتى نهاية عهد المماليك، ومن أهم هذه الحقائق ما يلى:

أن هناك أنماطا مختلفة من الحرف كانت منتشـرة فـى فترة الدراسـة، وقد كـانت كل حرفة من تلك الحرف تمثل قطاعا متجانسا، وأحيانا كانت تلك القطاعـات تتجاور أو تتداخل (حيث تكون فيما بينها منطقة متعددة الأنشطة)، أو تتباعد (وذلك عندما تكون الأنشطة ذات تأثير سيء على بعضها أو على المجتمع و الأفراد).

هذا وقد انعكست نوعية النشاط وأسلوب أدائه وإدارته على التشكيل المعمـارى للمنشآت، ولذا ظهرت أنماطا مختلفة من المبانى تمثل كل منها نموذجا مختلفا لنشاط معين أو تجارة ما.

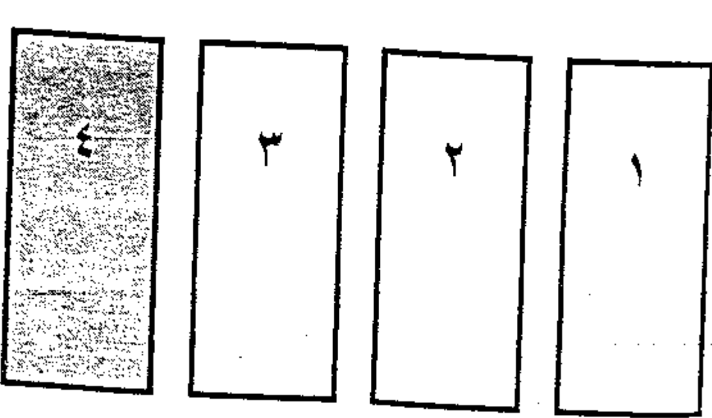
ومن الجدير بالذكر أن الحرفى ارتبط بمكان عمله، فنجد أنه فى بعض الأحيان كـانت هناك علاقة وثيقة بين مكان سكنه ومقر عمله الذى يمثل الطائفة المهنية التى ينتمى لها، كما نجد أن الحرفى أو التاجر ينتمى فى مكان سكنه لطائفة أو لمجتمع متجانس من حيث الديانة أو الجنسية أو المذهب.

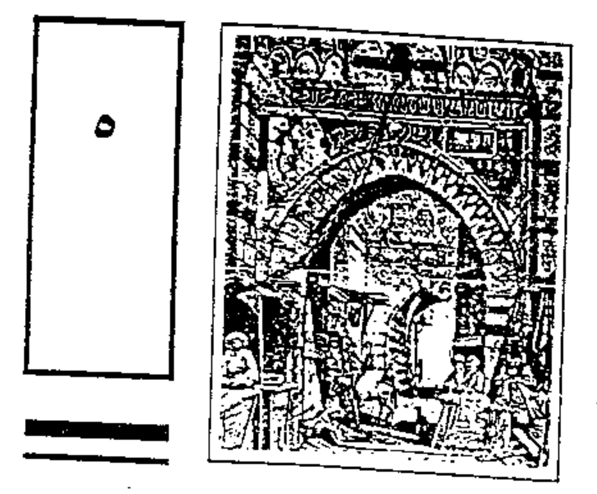
مما سبق فإننا نكون قد تعرضنـا بصـورة عامـة لدراسـة المنـاطق الحرفيـة والتجاريـة بمصر الإسلامية فى فترة البحث، ولكى نصل إلى نتائج دقيقة للبحث فسوف يتم عمل دراسـة تطبيقية مكثفة لعدد محدود من المناطق الحرفية بمصر الإسلامية، وهذا ما سوف نتعرض لـه فى الفصل التالى.



الفصل الرابع

الدراسة الميدانية





٤/١ مقدمة الفصل الرابع:

بعد الدراسة التى تعرضنا لها فى الفصل السابق للمناطق الحرفية بمصر الإسلامية فى الفترة منذ بداية عهد الفاطميين وحتى نهاية عهد المماليك فسوف نركز فى هذا الفصل على بعض العينات المختارة من تلك المناطق لدراستها باستفاضة لكى نخرج من هذا البحث بنتيجة مجدية ويمكن تطبيقها فى وقتنا هذا.

ولإمكانية تحديد تلك العينات من مناطق الدراسة فسوف ندرس أولا وبصفة عامة المحيط العام للمناطق الحرفية بمصر وتاريخ التطور العمرانى له، ثم نقوم بعمل منهجية لاختيار تلك العينات والتى على أساسها نختار ثلاث مناطق لعمل الدراسات التحليلية لهم.

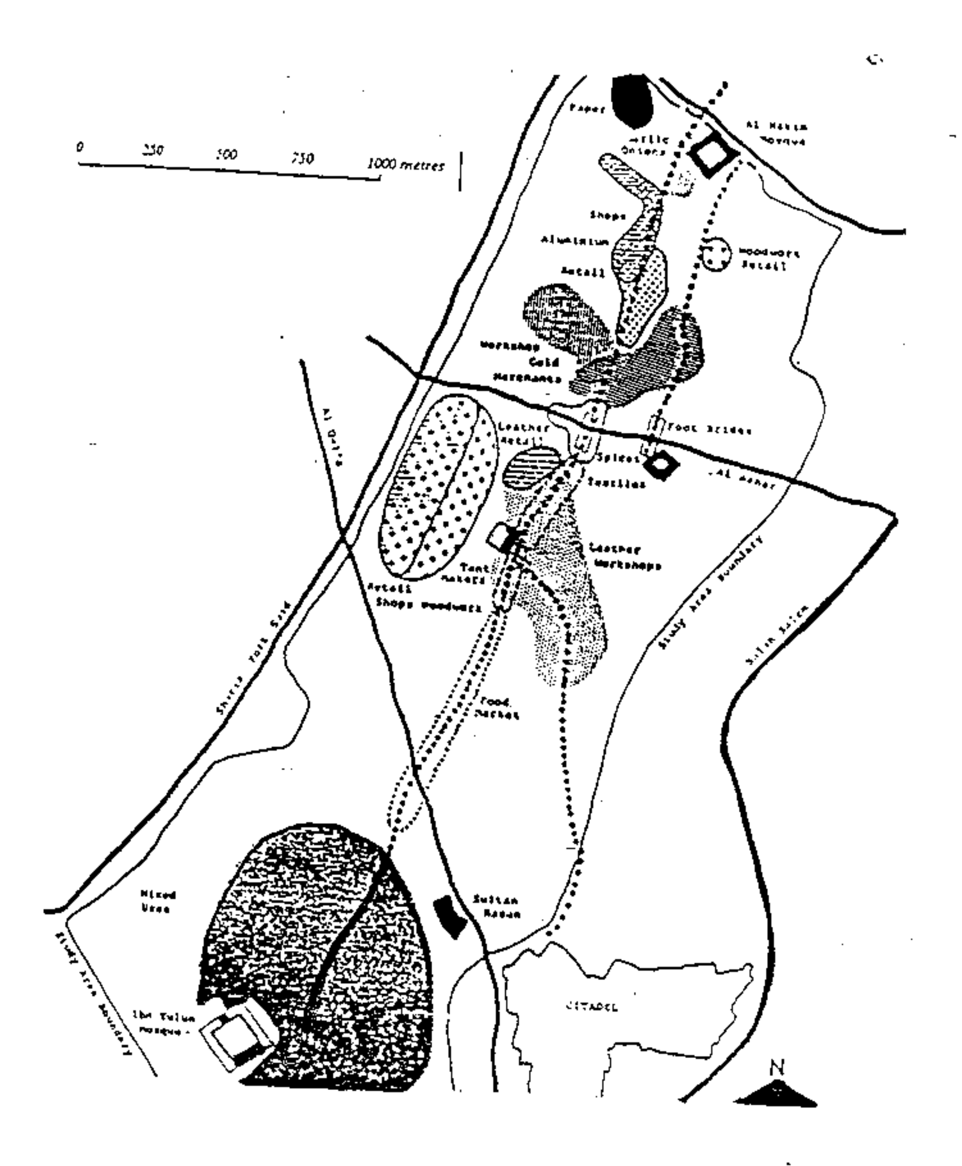
فى إطار دراستنا لتلك المناطق فإننا سوف نقوم بتحليل كل منها من حيث مراحل تكوينها على مر العصور، وذكر بداية ظهور الأنشطة بها، وعناصر الصورة البصرية المميزة لكل منطقة منهم، والمكونات العمرانية والغير عمرانية، والوحدة التصميمية الانتفاعية الأساسية بكل منهم. كما سوف ندرس العلاقة بين مكان السكن والعمل الخاص بأصحاب الورش والمحلات المتواجدة بمناطق الدراسة.

٢/٤ تحديد النطاق الأشمل لمناطق الدراسة الميدانية:

١/٢/٤ مقدمة عن المحيط الأشمل و توزيع الأسواق به:

الموقع:

تتركز الأسواق فى القاهرة المملوكية بصورة كبيرة على امتداد القصبة الرئيسية للمدينة الإسلامية التقليدية، والمتمثلة فى شارع المعز والذى يقع بداخل أسوار القاهرة، وكذلك الامتداد الحادث به خارج الأسوار. وقد تم تقسيم هذا المسار إلى قطاعات مختلفة يأخذ كل منها إسما مختلفا يعبر عن منطقة معينة يتم بها نوع ما من الأنشطة المميزة لهذا الجزء من المسار.(شكل ٤-١)

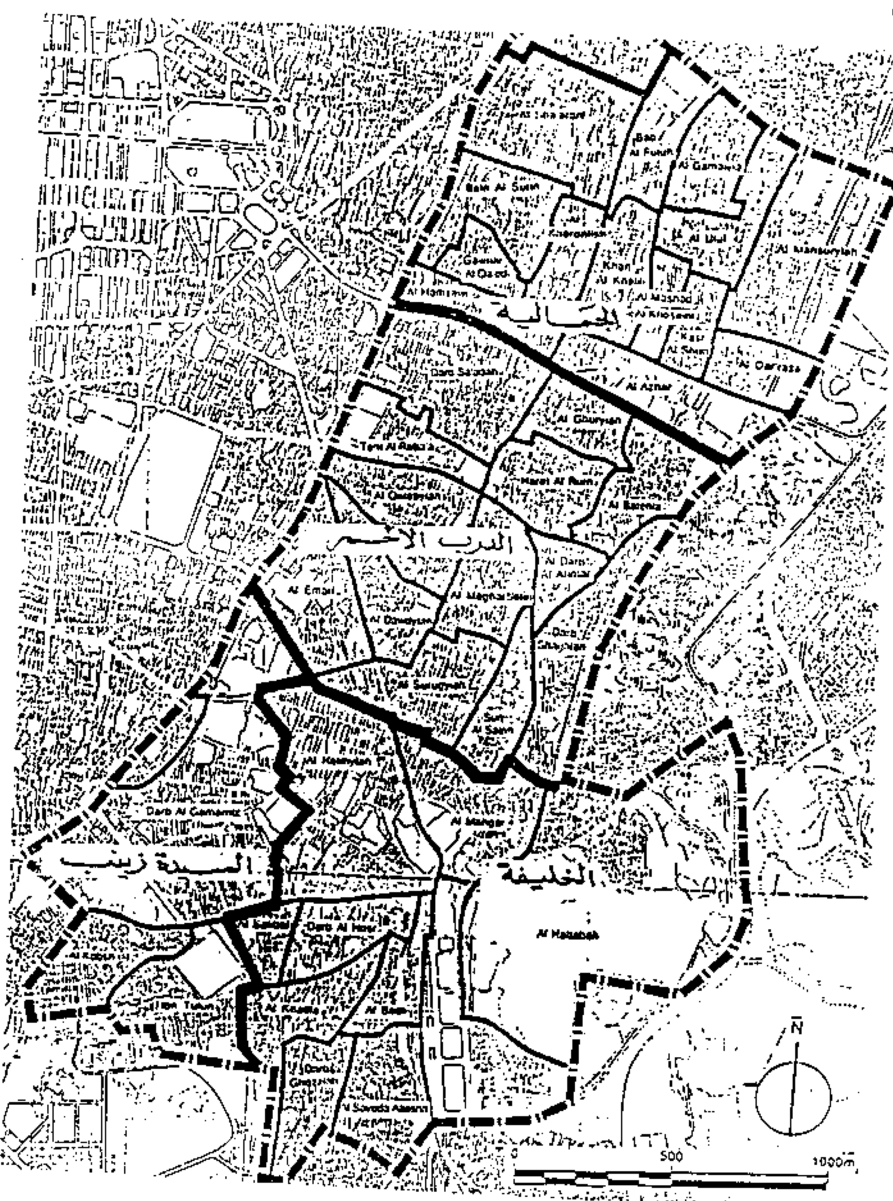


(شكل ٤-١) خريطة توضح تصنيف الأسواق التجارية بمدينة القاهرة

المصدر: م./ سامح وهبه "ثقافة الجماعة والاحتياجات الفراغية والمحيط العمرانى"، ١٩٩٥

النطاق الأشمل:

تقع منطقة الدراسة داخل التقسيم الإدارى الذى يضم قسمى الجمالية والدرب الأحمر، ويقع قسما الخليفة والسيدة زينب جنوب منطقة الدراسة (شكل ٤-٢)، أما الحد الغربى لها فهو شارع بورسعيد الذى أنشىء على موقع الخليج المصرى بعد ردمه فى عام ١٨٩٨م، ويحدها شمالا سور القاهرة الذى يشتمل على باب الفتوح وباب النصر، ويحدها شرقا سور القاهرة الشرقى الذى أنشأه صلاح الدين الأيوبى، حيث قد تم تعمير القاهرة أساسا عند دخول الفاطميين مصر فى عام (٩٦٩م) وقيامهم بتأسيس عاصمة ملكهم بالبلاد وذلك فى الشمال الشرقى لمدينة القطائع مع وجود فجوة بينها وبين القطائع قدرت بحوالى ثلاثة كيلو مترات وذلك لدواعى الأمن والحصانة من الفاطميين، و تلك الفجوة فيما بين مدينة القطائع والقاهرة الفاطمية هى التى تكونت بها فيما بعد مناطق الخليفة والسيدة زينب والدرب الأحمر والتى تم تعميرها -أول ما عمرت- على يد المماليك البحرية.



(شكل ٤-٢) خريطة لمدينة القاهرة توضح الحدود الإدارية للنطاق الأرحب

المصدر: Marcel Clerget "Le Caire", 1934

الأنشطة والاستعمالات بالنطاق الأشمل:

انتشرت الصناعات الغذائية والصناعات الاقتصادية والحرف الأخرى بمناطق القيمة الحضارية بالقاهرة، وقد تمثلت الصناعات الغذائية فى صناعات القمح والخبز والفول والسكر واللحوم والزيت وغيرها، وتمثلت الصناعات الخاصة بالكساء فى أعمال غزل القطن والأصواف والنسيج والحرير والصباغة والمدابغ وغيرها من الصناعات المتشابهة، أما الصناعات الأخرى فتمثلت فى أعمال البناء ونحت الأحجار والحدادة والنجارة وصناعة الزجاج والنحاس والذهب والسلاح. وبصفة عامة يمكن إيجاز نوعية الاستعمالات الموجودة بمنطقة الدراسة فيما يلى:

١/ استعمالات تجارية:

انتشرت الأسواق والأنشطة التجارية بالمنطقة -وبالقاهرة القديمة ككل- وتمركزت حول قصبة القاهرة أو شارع المعز وذلك منذ عصر الدولة الأيوبية وزادت انتشارا خلال عصر المماليك وقد خصص لكل نشاط حرفى مكانا بالقاهرة القديمة فظهرت مناطق السروجية والسيوفية وغيرها، كما عرفت بعض المناطق بأسماء الأسواق التجارية والصناعية، مثل سوق السلاح والخيالة وغيرها.

٢/ استعمالات صناعية:

لم تكن هناك استعمالات صناعية بالمعنى المعروف بالمنطقة ولكنها اختلطت مع بعض الأنشطة التجارية حيث غلبت عليها الصفة الحرفية.

٣/ استعمالات سكنية:

وهو الاستعمال الغالب بالمنطقة وخاصة بالنسبة لسكن الطبقة المتوسطة وتتكون المساكن من دورين إلى ثلاثة أدوار وهى متلاصقة لتعطى أكبر قدر ممكن من الظلال، كما ينتشر وجود الكوابيل والعناصر الخشبية البارزة مع وجود صحن داخلى أو فناء مزروع، وتتميز المساكن فى المنطقة بالخصوصية.

٤/ استعمالات دينية:

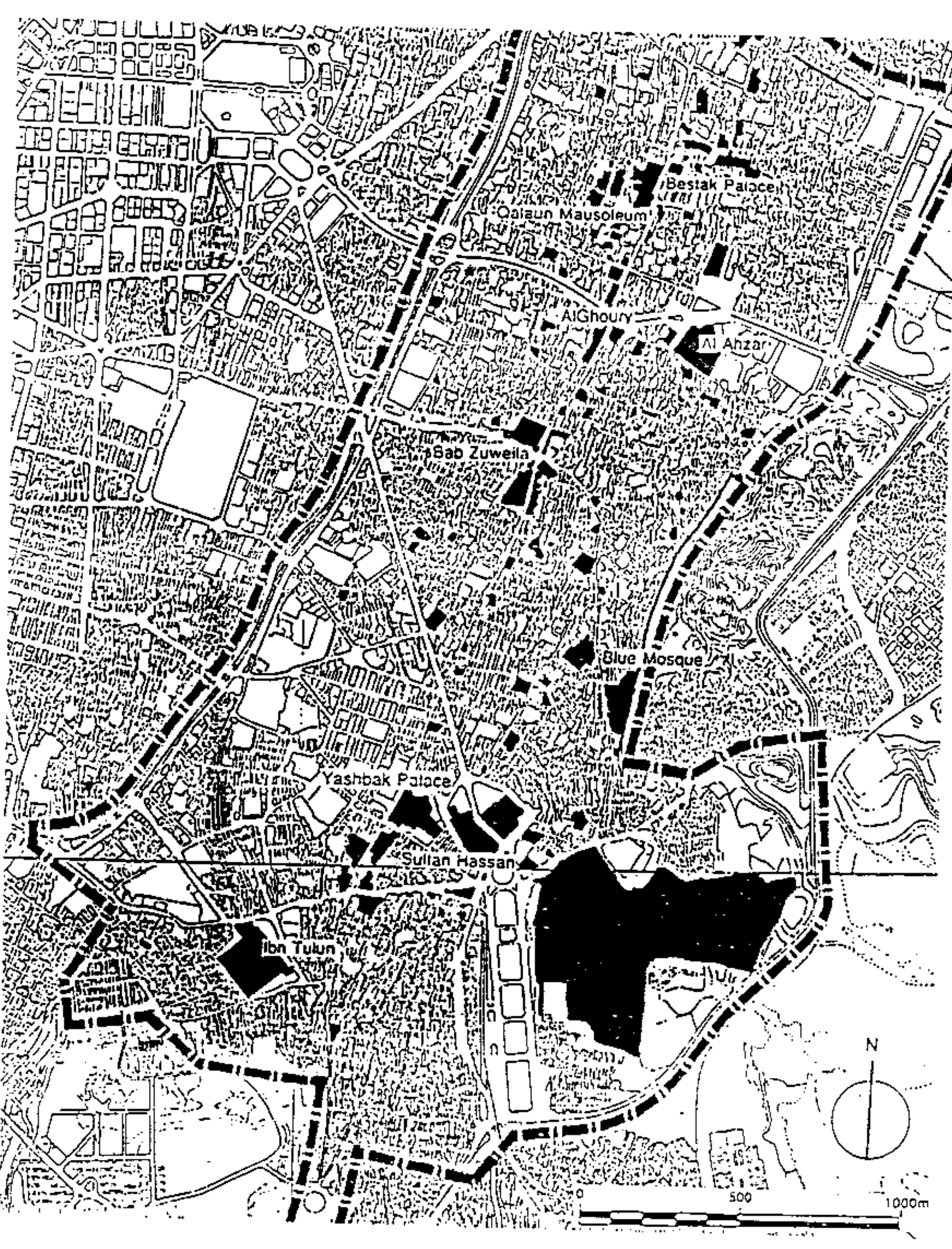
وهى كثيرة التواجد بالمنطقة حيث خلفت لنا العصور المختلفة منشآت دينية متنوعة (شكل ٤-٣)

٥/ استعمالات ترفيهية:

كانت تتركز فى الماضى حول بركة الفيل قبل ردمها وإقامة حى الحلمية ودرب الجماميز عليها وكانت المناطق القديمة تمتلىء بالمناطق الخضراء والحدائق والأشجار المختلفة.

٦/ استعمالات إدارية و صحية:

أنشئت بعض الأماكن الإدارية وأقسام الشرطة لخدمة المواطنين ولكن دائما ما ارتبطت دواوين الحكم بقصر الحاكم على مر العصور، وعنى المماليك بالمراكز الصحية ونذكر منها على سبيل المثال البيمارستان المؤيدى المتفرع من شارع سكة المحجر، كما أنشأ محمد على باشا بعض الأجزخانات لبيع الدواء بالمنطقة بعد أن كانت تباع بمحال العطارين.(شكل ٤-٣)

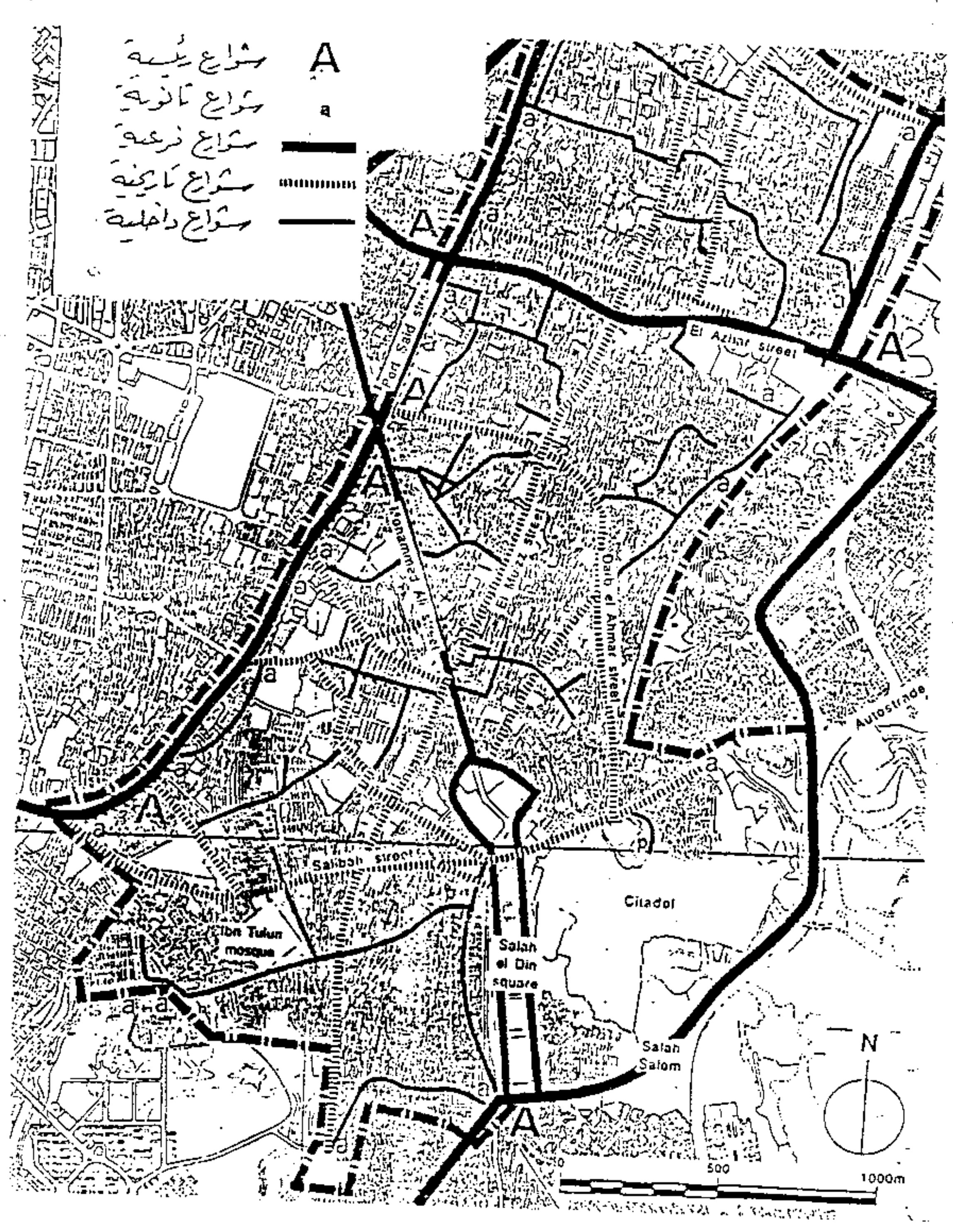


(شكل ٤-٣) خريطة لمدينة القاهرة توضح مواقع المبانى الأثرية (دينية، وإدارية، وصحية) بالمحيط الأشمل

المصدر: Marcel Clerget "Le Caire", 1934

٧/ شبكات المرافق والطرق:

كان الإمداد بالمياه فى الماضى يتم عن طريق السقايين من مياه النيل مباشرة أما الصرف الصحى فقد كان يجمع فى قنوات ويتم تصريفه عن طريق مستودعات خاصة، كما كانت شبكات الطرق والمسارات ضيقة ومعرجة (شكل ٤-٤)حيث أن السير علـى الأقدام أو استخدام الدواب كانت هى الوسائل المتاحة للنقل والمواصلات فى الماضى.



(شكل ٤-٤) خريطة لمدينة القاهرة اشبكة لطرق بالمحيط الأشمل

المصدر: Marcel Clerget "Le Caire", 1934

ويبدأ الجزء الثانى من خارج أسوار المدينة القديمة من باب زويلة وحتى يتقاطع مع شارع محمد على، وهذه المنطقة تشمل أربعة أقسام هى: قصبة رضوان وبها صناع الأحذية، الخيامية وبها صناع الخيام، المغربلين وبها صناع منتجات الحبوب وأخيرا السروجية وبها صناع مهمات الخيول من سروج وغيرها.

أما الجزء الثالث فيبدأ من منطقة تقاطع قصبة رضوان مع شارع محمد على ويمتد حتى يمر بجوار القلعة، ثم يستمر هذا الجزء من القصبة حتى يصل إلى جامع عمرو بن العاص بمصر القديمة.

٣/٢/٤ تاريخ التطور العمرانى للمحيط الأشمل لمنطقة الدراسة:

أثر امتداد شارع المعز لدين الله على امتداد العمران إلى المنطقة فى الماضى حيث كان الناس يسيرون به حتى الفسطاط وسط اتصال بنيته العمرانية، وكانت الأنشطة التجارية والحرفية متراصة على جانبيه، وعند اكتمال بناء قلعة صلاح الدين فى القرن الثالث عشر الميلادى أصبحت القلعة تمثل الحد الجنوبى الشرقى للمنطقة، وقد ازداد اهتمام الطبقات العليا والأمراء والقادة بالمنطقة وبالسكنى بها حيث أنها مجاورة لمركز الحكم القائم حينئذ.

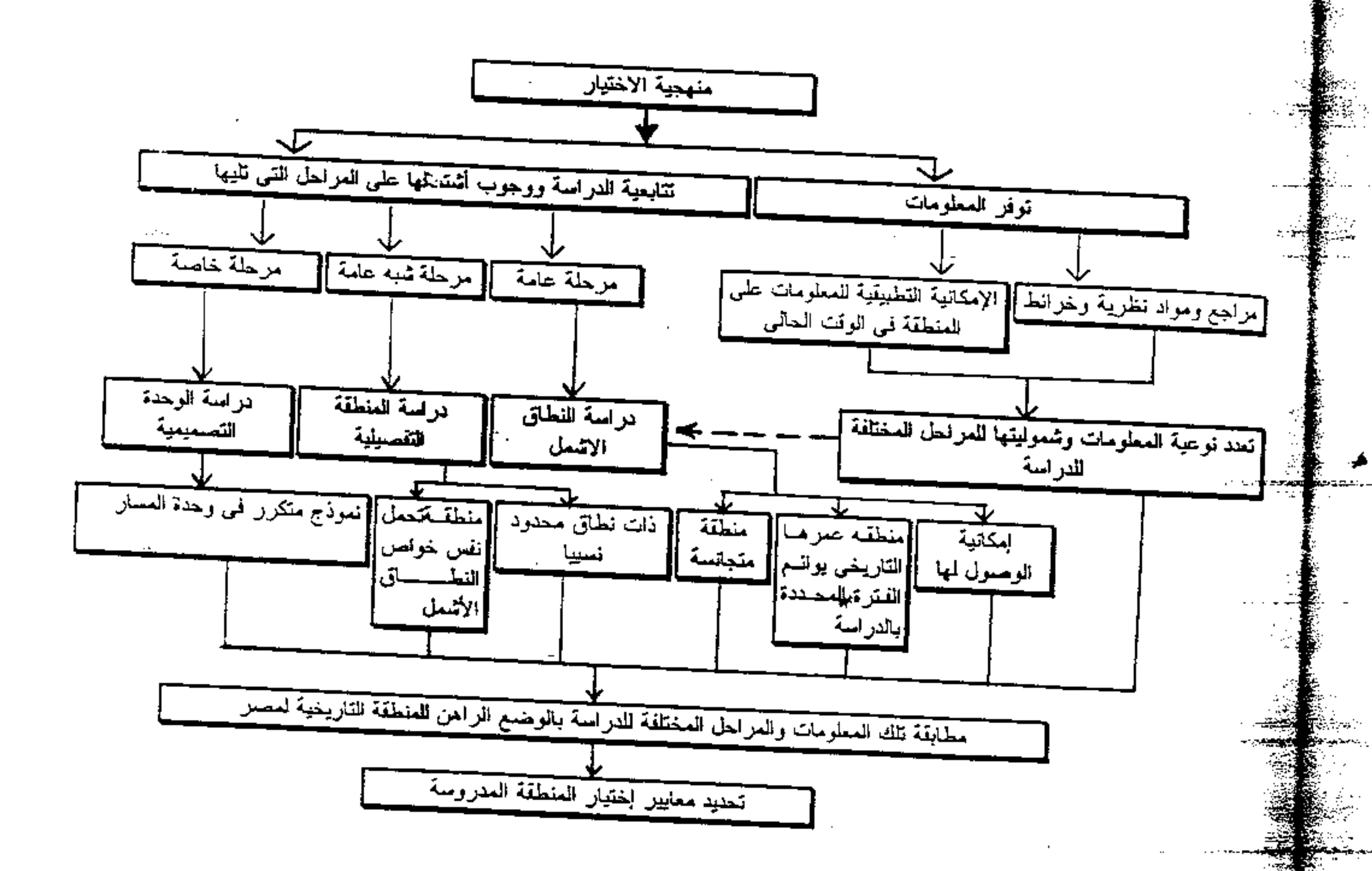
وقد اكتمل عمران المنطقة فى عصر المماليك البحرية والذين يرجع إليهم الفضل فى اتصال القاهرة الفاطمية بالعواصم الإسلامية السابقة، حيث قاموا بالعديد من عمليات التجديد والإحلال فى أجزاء القاهرة الفاطمية ومبانيها ومساراتها فظهرت الأحياء الجديدة كالقلعة والدرب الأحمر وسوق السلاح والمحجر وغيرها، كما قاموا بإنشاء العديد من المساجد والمبانى الأثرية بالمنطقة وذلك بالإضافة إلى الأسواق والوكالات والفنادق والخانات، وقد تميزت عمارة المماليك بغنى القيم الجمالية والتناسق والذوق السليم.

وقد اختفت كل تلك المظاهر العمرانية فى عصر العثمانيين والذى تلى المماليك حيث لم تزد رقعة الأحياء أو تستجد أى أحياء أخرى، بل دبت إلى العمران أيادى الإهمال وبالتالى الدمار وتدهور مستوى المعيشة كما انعدم الأمن والأمان وذلك نتيجة للمصادمات والصراعات المتوالية بين مختلف الطوائف.

٣/٤ تحديد المناطق التفصيلية للدراسة الميدانية:

١/٣/٤ المنهج المتبع فى اختيار مناطق الدراسة التفصيلية:

لإمكانية البدء لعمل دراسة تطبيقية لمنطقة موجودة حالياً وترجع أصولها الى عهود تاريخية قديمة فإن ذلك يتطلب منهجا خاصا ودقيقا لكى نضمن خروج هذه الدراسة بصورة جيدة وتؤدى دورها بكفاءة عالية . لذا كان من الواجب وضع منهج لتحديد كيفية إختيار المنطقة التى يتم عمل الدراسة الميدانية لها.



٢/٣/٤ معايير اختيار المناطق التفصيلية:

يجب توافر عدة شروط بالمنطقة التى يجرى بها الدراسة الميدانية، من أهمها:

١- أن تكون المنطقة معروفة المجال العمرانى والتخطيطى بحيث تظهر لها حدود واضحة تحدد نطاقها العمرانى.

٢- أن تكون المنطقة من المناطق الحرفية التاريخية والتى كانت موجودة فى مرحلة منذ بداية الحكم الفاطمى وحتى نهاية الحكم المملوكى.

٣- أن تحتوى منطقة الدراسة على مدلولات القيمة التراثية بما تحويه من آثار وشواهد دالة على قيمتها.

٤- أن تتوافر بالمنطقة مقومات الواقع التراثى متمثلا فى المبانى والأنشطة ذات القيمة التاريخية.

٥- أن تكون المنطقة نموذجا من نماذج المنطقة التاريخية ككل بحيث يظهر فيها تمثيلات الأنشطة والمبانى التاريخية إلى جانب وجود التقنيات المعاصرة فيها.

٦- أن تحتوى المنطقة على معظم الأنشطة التى كانت تتم بها قديما، وليس شرطا أن تحتوى على كل نوعية الأنشطة ولا الأماكن المخصصة لها.

٧- أن تكون المناطق التفصيلية المختارة لها قاسم مشترك دائما وهو وجود نشاط مميز يتم بها، كما يجب أن يكون لها عوامل مختلفة مثل موقعها بالنسبة للقصبة وشكلها وطابعها العمرانى والمعمارى، وغيرها من العوامل الثانوية والتى لا تؤثر على الهدف الأساسى من البحث.

وبتطبيق تلك المعايير والإشتراطات على مدينة القاهرة القديمة ، نجد أن هناك مناطق تعد نماذج للمنطقة التاريخية ويظهر فيها النشاط الحرفى والتجارى ، وقد تم إختيار ثلاث نماذج منها لدراستها دراسة مفصلة ووافية (شكل ٤-٥) وهذه النماذج هى:

١- منطقة جنوب باب الفتوح ← ويرجع تاريخها الى بدايات العصر الفاطمى تاريخيا والأيوبى وظيفيا.

٢- منطقة خان الخليلى ← ويرجع تاريخها الى بدايات العصر الفاطمى تاريخيا والأيوبى وظيفيا.

٣- منطقة الخيامية وقصبة رضوان ← ويرجع تاريخها الى بدايات العصر الايوبى تاريخيا والمملوكى وظيفيا.

ـة الدراسة الأولى
ـقة جنوب بـــاب
ـن)

ـقة الدراسة الثانية
ـقة خان الخليلى)

منطقة الدراسة الثالثة
(منطقـــة الخياميـــة
وقصبة رضوان)

(شكل رقم ٤-٥) خريطة لمدينة القاهرة توضح المناطق التفصيلية الثلاث التى سيتم دراستها

وقد توافرت فى تلك المناطق الإشتراطات والاسس الواردة فى معايير الاختيار، والتى تم إختيارها على أساسها كما يلى:

بالنسبة للنقطة الاولى نجد أن المناطق الثلاث واقعة فعلا داخل نطاق المحيط الاشمل والذى يقع داخل الاقسام الإدارية (الجمالية)، (الدرب الاحمر) وهى منطقة ذات نطاق عمرانى وتخطيطى محدد ، ولها حدود واضحة.

بالنسبة للنقطة الثانية فإننا نجد أن المناطق الثلاث تعد من المناطق الحرفية والتى كان كل منها موجودا فى فترة تاريخية معينة.

بالنسبة للنقطة الثالثة نجد أن المناطق الثلاث تحتوى كل منها على مناطق أو مبانى ذات قيمة تراثية ترجع الى فترة من فترات العصور الوسطى.

بالنسبة للنقطة الرابعة نجد أن كل منطقة بالإضافة الى ما تحتويه من مبانى ذات قيمة تراثية فإنها أيضا يتم بها نشاط ترجع أصوله الى نفس فترة المبانى الاثرية ، وهو نشاط كان قائما فى فترات سابقة ، وظل جزءا منه قائما حتى يومنا هذا.

بالنسبة للنقطة الخامسة والسادسة فإن هذه المناطق تعد كل منها نموذج من نماذج المنطقة التاريخية حيث نجد أن المنطقة الواقعة جنوب باب الفتوح لايزال يتم بها نفس النشاط الذى كان بها قديما وهو انتشار تجارة البصل، كما أن منطقة خان الخليلى مازال يتم به نفس النشاط الذى كان يتم به قديماوهو صناعة المشغولات الذهبية والفضية والنحاسية، وكذلك فإن المنطقة الثالثة وهى الخيامية فلايزال يتم فيها النشاط القائم منذ فترات العصور الوسطى وهو صناعة الخيام، إلا أن كل منطقة منهم يوجد بها بعض التقنيات المعاصرة حيث ظهرت أنشطة حديثة، واستخدمت مواد ومعالجات حديثة.

بالنسبة للنقطة السابعة فإن المناطق الثلاث نجد بينها قاسم مشترك دائما وهو وجود نشاط مميز يتم بها، إلا أنها تختلف من حيث تشكيلها المعمارى حيث تعد منطقة خان الخليلى مثالا للشارع التجارى الضيق، والذى يحتوى على حوانيت فى كلا الجانبين بالإضافة إلى أنه يعتبر مسارا نصف مغطى عن طريق استخدام بعض المواد الخفيفة، أما منطقة الخيامية فتعد مثالا للسوق المغطى، والذى يحتوى على حوانيت متراصة فى كلا الجانبين، بينما تعد المنطقة الثالثة وهى المنطقة الواقعة جنوب باب الفتوح مثالا للساحة التى تحتوى على محلات تبيع سلعة واحدة مميزة كما تحتوى على بعض السلع الخدمية الأخرى.

كذلك فإنه بالرغم من أن المناطق الثلاث تعد مناطق تاريخية إلا ان كل منها يتبع نموذجا حرفيا مختلفا وفقا للنماذج التى تم شرحها فى الباب الثالث، والتى تعكس تأثير النشاط الحرفى على التشكيل المعمارى للمنشأ.

٤/٤ دراسة المناطق التفصيلية تاريخيا:

٤/٤/١ تكوين كل منطقة على مر العصور المختلفة :

أولا المنطقة الواقعة جنوب باب الفتوح

يعد باب الفتوح أحد أبواب القاهرة الفاطمية ، ويقع هو وباب النصر فى الجهة البحرية للقاهرة، وقد وضعه القائد جوهر دون موضعه الان وبقى منه الى يومنا هذا عقده وعضادته اليسرى وعليه اسطر من الكتابة بالكوفى. واما الباب المعروف اليوم بباب الفتوح فانه من وضع امير الجيوش (بدر الجمالى).[٤]

وكانت المنطقة داخل باب الفتوح من حد باب الفتوح الان إلى راس حارة بهاء الدين معمور الجانبين بحوانيت اللحامين والخضريين وغيرهم وهومن اجل اسواق القاهرة واعمرها يقصده الناس من اقطار البلاد لشراء انواع اللحمان الضأن والبقر والمعز، ولشراء اصناف الخضروات، وليس هو من الاسواق القديمة وانما حدث بعد زوال الدولة الفاطمية عندما سكن قراقوش فى موضعه المعروف بحارة بهاء الدين[٥]. الا ان المنطقة داخل باب الفتوح فى وقتنا هذا تعد سوقا لبيع البصل وبعض المأكولات الاخرى كالفاكهه والخضروات والخبز، وقد تلاشت تلك الحوانيت التى تبيع مختلف انواع اللحوم.

وبالرغم من اختلاف الوظيفى الناتج عن اختلاف السلع المباعة بالمنطقة فقد احتفظت المنطقة بتشكيلها العمرانى كما هو وذلك نفس حال قصبة القاهرة الاسلامية نفسها حيث ان مدى التغيير عمرانيا ضئيل جدا. الا ان المنطقة شهدت تغييرات كبيرة فى النصف الثانى من القرن العشرين حيث نجد ان بعض المبانى قد تعرضت للتلف والدمار مما جعل اصحابها يلجأون الى هدم الدور (او الادوار) العلوى والابقاء على الدور الارضى فقط بنشاطه التجارى، واستخدمت الاسطح بعد ذلك كمخازن لأصحاب هذه المحلات. كما ظهرت بالمنطقة المبانى الحديثة ذات مواد الإنشاء والتشطيبات والألوان الحديثة.

وبالنسبة للأنشطة التى تتم فى المنطقة معظمها (ان لم يكن كلها) انشطة تجارية هى البيع والشراء، حيث ان معظم المحلات تبيع منتجات لا تحتاج الى تصنيع وذلك باستثناء افران الخبز المنتشرة، اما باقى المحلات فلا تتم بها حرف وانما يعتمد معظمها على الزراعة حيث تبيع البصل، أو يتم تخزينه فى مخازن موجودة فى الدور الأرضى أو على أسطح المحلات.

---

٤ المقريزى: " الخطط المقريزية "،جـ ١، دار صادر، بيروت. صـ ٣٨٠-٣٨١

٥ نفس المصدر السابق: جـ ٢، صـ ٩٥.

ثانيا منطقة خان الخليلى

هذا الخان كان موضعه تربة القصر الفاطمى المعروفة بتربة الزعفران، و أنشأه الامير جهاركس الخليلى.[٦] ويقع الخان والمنطقة المحيطة به والتى ندرسها فى هذا البحث داخل أسواق القاهرة الفاطمية حيث ظلت القاهرة طوال العصر الفاطمى الاول مدينة خاصة لايسمح بدخولها لافراد الشعب الذين كانوا يقيمون فى مصر (الفسطاط)، العاصمة التجارية والصناعية فى البلاد حينئذ ، إلا بإذن خاص وبغرض خدمة أهل الحصن الفاطمى الذين كانوا من خواص الخليفة ورجال الدولة وفرق الجيش.[٧] أما فى خلال العصر الايوبى فإن القاهرة كانت قد فقدت مكانتها كمركز للحكم وأخذت الانشطة التجارية والحرفية تتسرب اليها وتنتشر فى موضع القصور الفاطمية حول الشارع الاعظم أو قصبة القاهرة.[٨] وذلك نظرا لإنتقال مركز الحكم من القاهرة الى القلعة التى بناها (صلاح الدين) على غرار ما كان يحدث فى بلاد الشام حيث يتم بناء قلعة يحتمى بها ويستطيع من خلالها الاشراف على القاهرة والفسطاط معا.

وتحتوى منطقة الدراسة على العديد من ورش تصنيع المشغولات المعدنية ، من النحاس والذهب والفضة بالإضافة الى العديد من الورش الخاصة بصناعة التكفيت وهى طلاء المعادن بإستخدام الذهب والفضة وهى صناعات أغلب زبائنها - إن لم يكن كلهم - من السياح الذين يأتون الى هذه المناطق خصيصا لإقتناء هذه المشغولات. كما تحتوى المنطقة على القليل من المحلات التى تبيع المنتجات الجلدية من الشنط ، وكذلك الاقمشة والملابس والشنط التى تزينها الرسومات الفرعونية التى تطبع عليها ، بإستخدام التقنيات الحديثة. وتحتوى المنطقة أيضا على بعض (المقاهى) والكافتريات الصغيرة ، والتى تعتبر مزارا سياحيا هاما للسياح والمصريين أيضا.

ثالثا منطقة الخيامية وقصبة رضوان

كانت المنطقة الواقعة جنوب باب زويلة تعد سكن خاص للقوات السودانية التى تتبع الجيش الفاطمى ثم بدات هذه المنطقة فى النمو والامتداد كمنطقة سكنية وذلك فى ظل حكم (صلاح الدين الايوبى) الذى قام بحرق كل تكنات الجيش واحل محلها الحدائق . ثم بدأ امتداد عمران المدينة الى الجنوب فى اتجاه القلعة . وكان بجوار تلك المنطقة التى شهدت بدايات

---

٦ ابراهيم على طرخان: "**مصر فى عصر دولة المماليك الجراكسة**"، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٠، صـ ٢٧٦

٧ جومار: "**وصف مدينة القاهرة وقلعة الجبل**"، ترجمة أيمن فؤاد سيد، مكتبة الأنجلو، القاهرة، ١٩٨٨ صـ ٢٥-٢٦

٨ المقريزى: " الخطط المقريزية "، جـ ٢، صـ ٩٤

الامتداد العمرانى خارج اسوار القاهرة الفاطميـة منطقـة المدابـغ ومنطقـة اول نشـاط تجـارى وهى سوق المواشى.

وكان أول نمو أو امتداد حقيقى للقصبة خارج باب زويلة قد تم فى حكم (النـاصر ابـن قلاوون) وذلك فى القرن الرابع عشر الميلادى ، ثم شهدت المنطقة تغيرات كبـيرة وواضحـة أهمها إعادة إحيائها فى القرن السابع عشر الميلادى على يد الامير (رضوان بك)، لـذا فانـه يطلق على اول قطاع بين امتداد القصبة والذى يلى باب زويلة مباشرة قصبة رضوان. حيث قام الامير رضوان بك بتشييد هذا الجزء بغرض عمل محلات به لبيع الجلود والاحذية. وتعد هذه التجديدات بمثابة تطور او تنمية حدثت بالمنطقة نتيجة لبناء (رضوان بك) قصرا خاصـا به فى شارع قصبة رضوان. وقد تم نقل المدابغ لمنطقة اخرى تجاه الغرب وذلك لكى تستعيد منطقة قصبة رضوان رفاهيتها حيث اصبحت يقطنها اعيان او صفوة المجتمع.

وقد وصـف على باشا مبـارك امتداد القصبـة بقولـه أنـه شـارع يحتـوى علـى محـلات متعددة لبيع وصناعة الأحذية، وأخرى لبيـع الجلـود ثـم محـلات عديـدة لصناعـة مستلزمات الخيام حيث يتداخل جزء منها مع محلات الجلود والأحذية فى المنطقة المغطاة من الشـارع، ويمتد الجزء الباقى من محلات بيع مستلزمات الخيام خارج الجزء المغطى مـن الشـارع. ثـم يلى ذلك منطقتى المغربلين والسروجية حيث تختلط فيهما انواع مختلفـة فيهمـا مـن المحـلات معظمهـا يبيـع الاعشـاب واللحـوم والخضـروات والزيـوت. وكـان رئيـس الشـرطة (متولـى الشرطة) فى بداية القرن السابع عشر الميلادى يسكن فى شارع متفرع من قصبـة رضـوان. وربما كان ذلك هو السبب فى اطلاق اسم (بوابة المتولى) على باب زويلة احيانا.

وبصفة عامة فان حالة قصبة رضوان وشارع الخياميـة لـم تتغير منـذ ان حدثـت بهـا التعديلات التى امر بها (رضوان بك) فى القرن السابع عشر الميلادى، وذلك مرجعـه سـببين أساسيين أولهما هو عدم وجـود مرونـة فـى الشـوارع التجاريـة للمدينـة الاسـلامية وأن اتبـاع بعض السكان لأسلوب تغيير فعال ومؤثر فى مبانيهم لـم يكـن لـه دور واضـح حيـث ان ذلـك كان يعوق حركة المشاة ويسبب اخطاء فادحة فى سهولة ويسر استخدام تلك الشـوارع كحـيز للمشاة وقد وصـف على باشا مبارك قصبـة رضـوان وشـارع الخياميـة بانهـا لـم تحـدث فيهـا تغييرات تذكر باستثناء قلة من المبانى. حيث لم تشهد المنطقة اى تغييرات فعالـة او واضحـة الا فى العقود الثلاثة الاخيرة من القـرن التاسـع عشـر الميلادى والتـى كـانت بدايـة لظهـور المبانى الحديثة فى المنطقة. أما السبب الثانى فهو وجود أعداد كبـيرة من المبـانى التاريخيـة بالشارع وخاصة فى منطقة قصبة رضوان وشـارع الخيامية، ويعد هـذا عـاملا مسـاعدا علـى

جعل هناك صعوبة بالغة فى البعد عن الطابع العام للمبانى على امتداد القصبة. الا ان هناك القليل من المبانى والتى تشهد على حدوث بعض التغييرات حيث نرى استخدام المشربيات – وهى تمثل الطابع القديم للمنطقة– جنبا الى جنب مع الفتحات من الزجاج والالومنيوم. الا ان الاخيرة تعد معالجات فردية ولا تمثل بأى حال من الأحوال اتجاها سائدا.

ويشهد الجزء الثانى من القرن العشرين الميلادى تغييرات كبيرة وواضحة ومؤثرة على الشكل التاريخى والطابع المميز للمنطقة، حيث حلت المبانى الحديثة ذات الارتفاعات العالية محل المبانى المتهالكة وظهرت مواد البناء الحديثة كالخرسانة، ومعالجات حديثة للواجهات كعمل زجاج وألومنيوم للفتحات. وبذلك أصبحت هذه المبانى الحديثة تمثل تباينا واضحا مع المبانى التاريخية والقديمة ، كما ان ذلك كان له تأثير كبير فى عمل تغييرات واضحة فى خط السماء حيث زاد ارتفاع تلك المبانى عن المآذن.

لذا فاننا نرى ان الوضع الحالى لقصبة رضوان وشارع الخيامية يظهر فيه تباينا فى الطابع المعمارى لما كان عليه الحال فى العصور الوسطى وحتى القرن التاسع عشر.

٤/٢/٤ الوضع الراهن للمناطق التفصيلية :

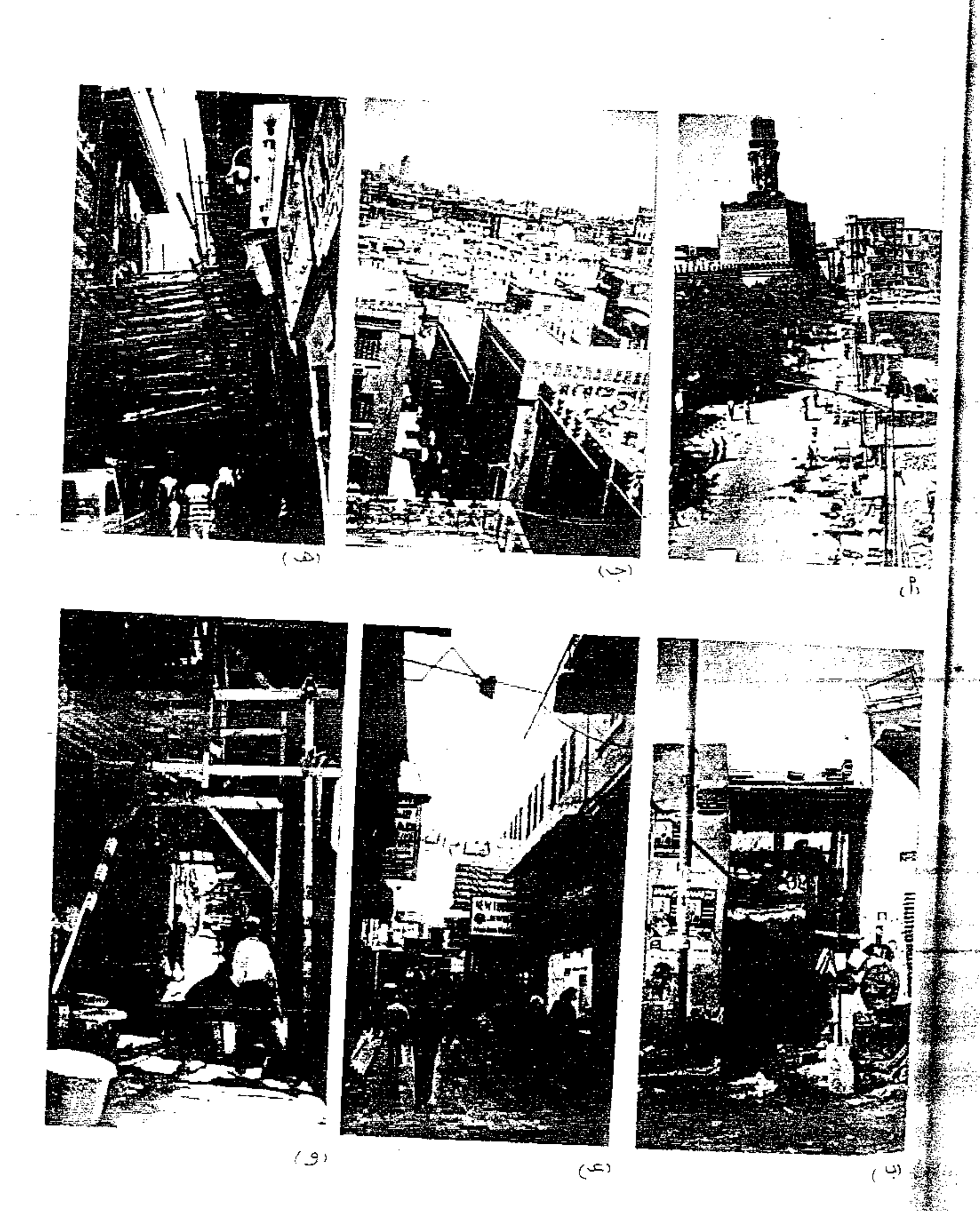
تعد مناطق الدراسة التفصيلية المختارة (منطقة جنوب باب الفتوح، منطقة خان الخليلى، منطقة الخيامية) حالات متعددة تمثل الوضع الراهن فى مدينة القاهرة القديمة والتى لم تتغيير منذ السبعينات.[٩] ولقد وصفت جانيت ابو لغد الوضع الذى أصبحت عليه مدينة القاهرة الاسلامية حيث ذكرت :

"ان التهالك هو الصفة السائدة فى المدينة حاليا. و ان هناك بعض اصحاب المحلات ولكنهم قلة يبيعون لزبائنهم –ومعظمهم من السياح– بعض البضائع. وهناك بقية قليلة باقية من المبانى القديمة التاريخية كالفنادق والمحلات والورش والمخازن. ويعتبر التلف، والتهالك، والتلاشى للاستعمالات التجارية بوضعها الذى عرفت به فى قاهرة العصور الوسطى هو الصورة السائدة حاليا. وهناك ثلاث ملاحظات هامة اخذت على الوضع الراهن لمدينة القاهرة الإسلامية. أولها ان الأحياء مزدحمة، ومتهالكة وفى حالة متردية وعلى قدر كبير من قلة النظافة. ثانيها أن هذه المناطق التقليدية بالرغم مما وصلت اليه من حالة متردية الا ان عمرانها لايزال يمثل التشكيل العمرانى للمدن الإسلامية فى العصور الوسطى. وثالثها أن المنطقة تمثل مجمع حيوى للحرف والسكن، ولكن صناعاته هذه تمثل فقط بعض المنتجات التى تعتمد على مواد بسيطة وعلى نطاق صناعى ضيق ولا تحتاج إلى ميكنة حديثة".[١٠] (شكل ٤–٦).

---

[٩] سامح نجيب وهبه: "ثقافة الجماعة والاحتياجات الفراغية والمحيط العمرانى"، ١٩٩٥، صـ ٢٣٥

[10] Abou - Lughod, J., "Cairo: 1001 Years of the City Victorious", 1971, pp 188-193



(شكل ٤-٦) صور توضح الوضع الراهن لمناطق الدراسة وهى بالترتيب: (أ، ب) منطقة جنوب باب الفتوح، (جـ، د) منطقة خان الخليلى، (هـ، و) منطقة الخيامية وقصبة رضوان

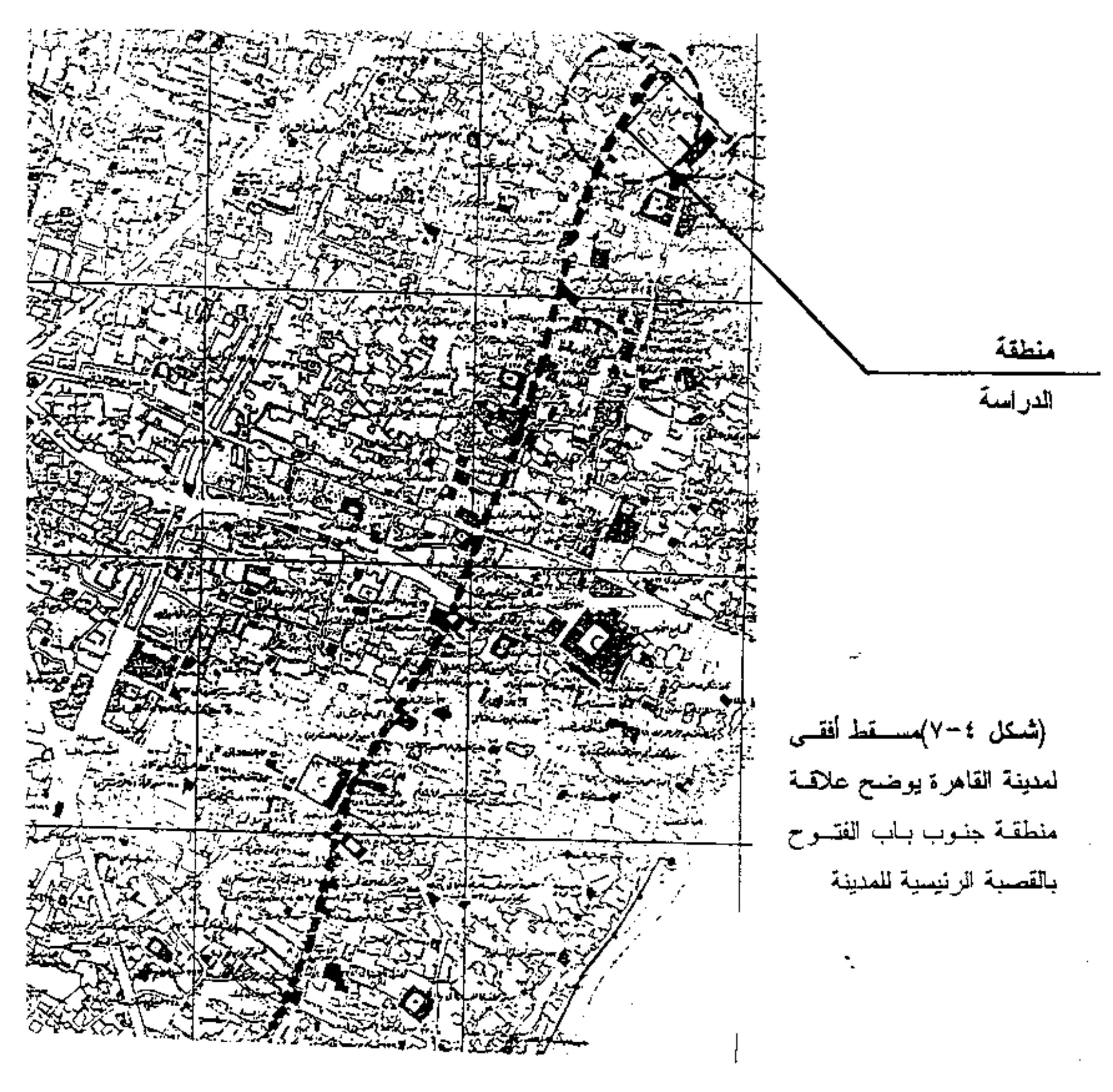
٥/٤ دراسة المناطق التفصيلية عمرانيا ومعماريا :

١/٥/٤ دراسة منطقة جنوب باب الفتوح:

١/١/٥/٤ الصورة البصرية المميزة للمنطقة:

أولا العلاقة بالقصبة الرئيسية:

تعد منطقة الدراسة هى الفراغ الواقع والملاصق لبوابة الفتوح والذى تبدأ منها القصبة الرئيسية للمدينة، بالاضافة الى أنها تعد أحد المداخل الرئيسية لمدينة القاهرة الفاطمية، وذلك لارتباطها المباشر بباب الفتوح والذى يعد البوابة الشمالية لمدينة القاهرة (شكل ٤-٧)، وهو أحد الأعمال العامة التى تمتد فى عهد الأمير بدر الجمالى، هى والبوابات الأخرى (باب زويلة، وباب الفتوح)، وقد تم بناؤهم فى الفترة من (٤٨٠ - ٤٨٤هـ / ١٠٨٧ - ١٠٩١م) على يد ثلاثة أخوة من أرمينيا، لذلك يظهر فى تصميمهم أثر العمارة الأجنبية.[١١]

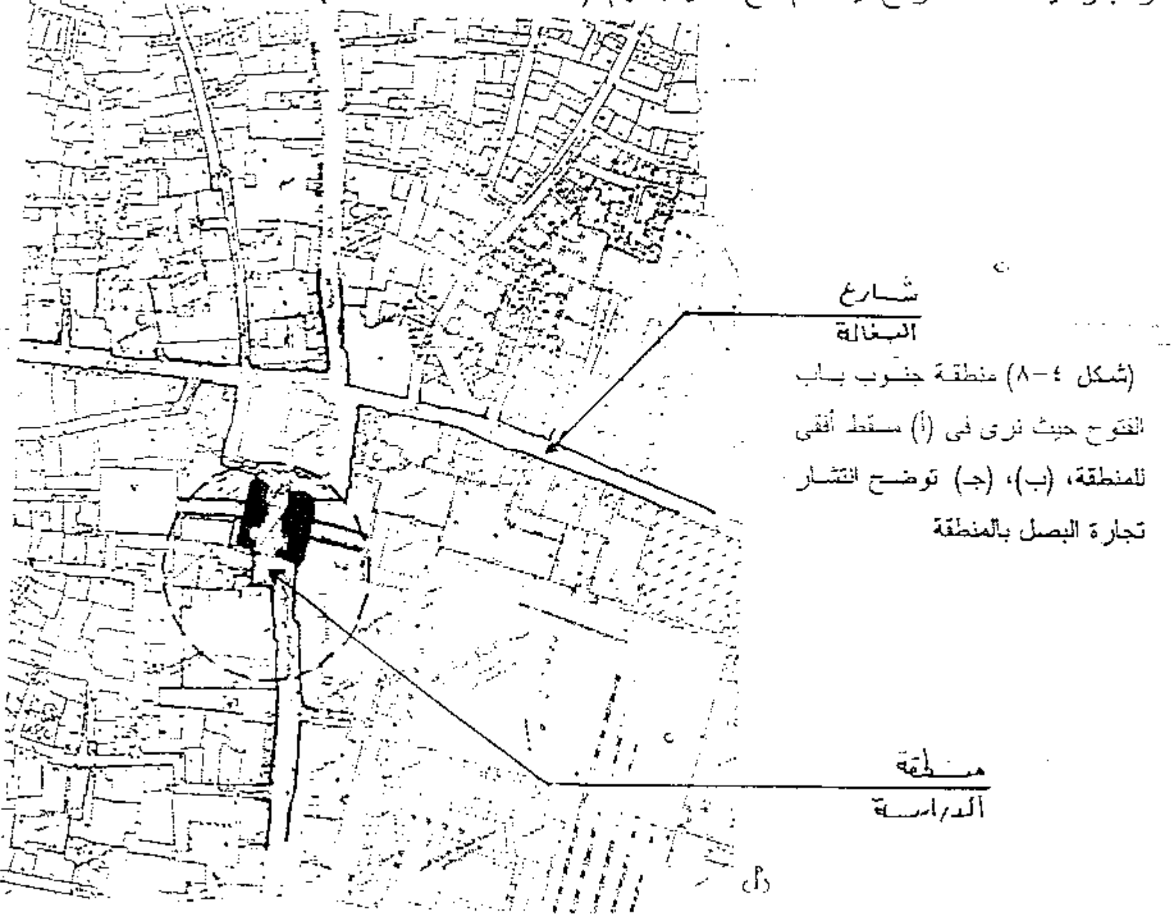


(شكل ٤-٧)مسقط أفقى لمدينة القاهرة يوضح علاقة منطقة جنوب باب الفتوح بالقصبة الرئيسية للمدينة

---

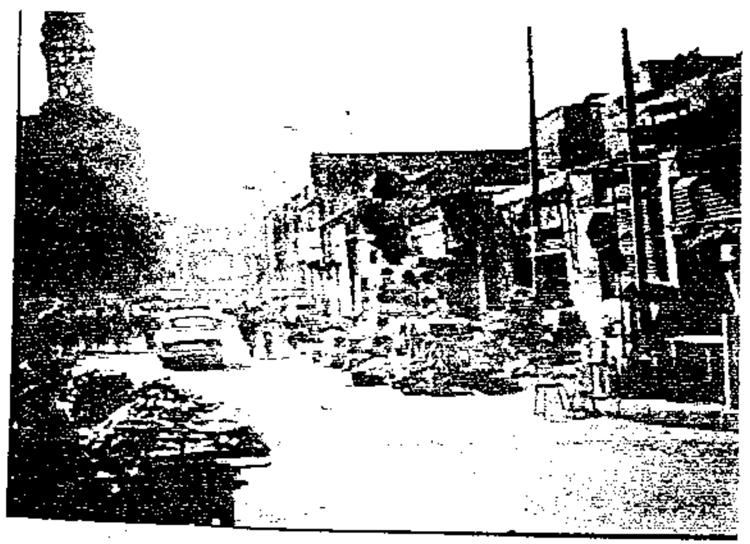
[١١] د./ كمال الدين سامح: "العمارة الإسلامية فى مصر"، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩١، صـ ٤١

ويعد المسار المدروس جزء من الفراغ الواقع أمام جامع الحاكم بأمر الله، وهو فراغ واسع نسبيا يبدأ فى الضيق والتعرج بعد نهاية الجامع ليشكل بعد ذلك جزءا من القصبة الرئيسية للمدينة الاسلامية . ويعد هذا الفراغ مثالا واضحا على أهمية عمل أفنية أو ساحات أمام المساجد وذلك لأن لها دور فعال فى تشجيع الأنشطة التجارية حيث نرى أصحاب المحلات -معظمهم باعة البصل- قد استغلوا الرصيف أمام محلاتهم فى عرض سلعهم. كما أن هذا الفراغ قد يمتلىء بالباعة الجائلين الذين ليس لهم مكان ثابت لوضع بضائعهم، وانما قاموا بتوظيف هذا الفراغ ليتلاءم مع احتياجاتهم.(شكل ٤-٨ أ، ب، جـ)



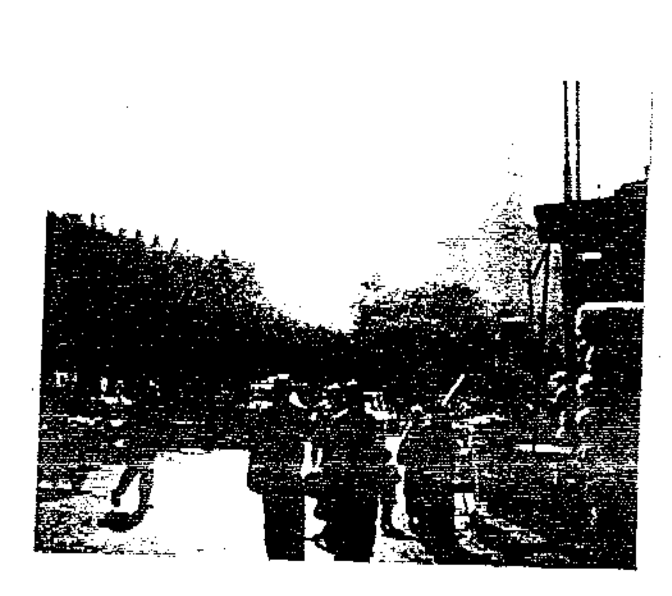
(شكل ٤-٨) منطقة جنوب باب الفتوح حيث نرى فى (أ) مسقط أفقى للمنطقة، (ب)، (جـ) توضح انتشار تجارة البصل بالمنطقة


(ب)


(جـ)

ويمكن الوصول لمنطقة الدراسة عن طريق شارع البغالة وهو شارع رئيسى مزدحم ويختلف فى كثافة المرور وفى أعداد المشاه به عن المنطقة التى تلى بوابة الفتوح ثم شارع المعز، حيث نجد أن هناك تناسب عكسى بين كثافة المرور للمركبات وبين اعداد المشاه فى الثلاث أماكن (شارع البغالة، الفراغ الذى يلى البوابة، شارع المعز) فتقل كثافة المرور بينما يزداد أعداد المشاه وتكدس الباعة بالترتيب من الأول إلى الثالث.

وبالرغم من اتساع هذا الفراغ ووجود رصيف على جانبى الطريق الا أن الأولوية للسير من هذه المنطقة تكون للمشاه الذين يستخدمون عرض الطريق فى الانتقال من حيز لأخر حيث أن الرصيف الموجود أمام المحلات تم اشغاله تماما بواسطة بضائع أصحاب هذه المحلات وبسبب جلوسهم فى الطريق لمراقبة المشاه ولاجتذاب الزبائن . كما أن الرصيف الموجود على الجانب الأخر وأمام جامع الحاكم بأمر الله متهالك وحالته متردية بالاضافة الى أن الباعة الجائلين يشغلون معظمه.(شكل ٤-٩)



(شكل ٤-٩) صورة للفراغ الواقع جنوب باب الفتوح توضح اشغال الرصيف بالبضائع مما اضطر المشاه إلى السير فى نهر الطريق

ثانيا القطاع المتجانس (ثقافيا واجتماعيا):

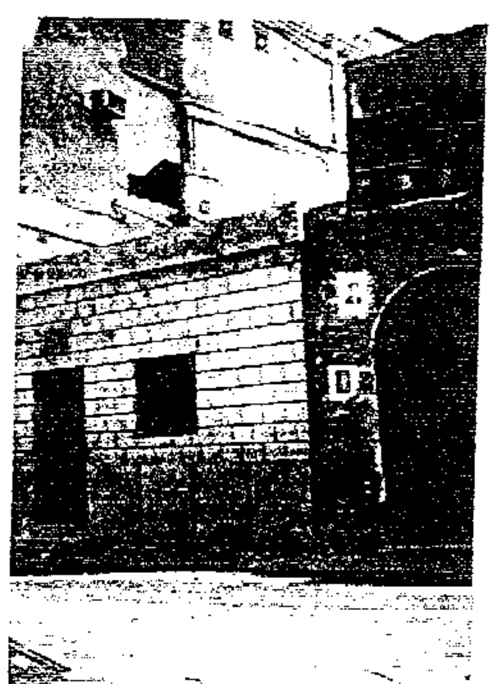
تعد منطقة جنوب باب الفتوح أحد القطاعات المتجانسة التى تحتوى عليها القصبة الرئيسية حيث توجد سمات مشتركة للمحلات والمبانى والأنشطة بالمنطقة فنجد أن المنطقة يغلب عليها حرفة واحدة، وتجارة واحدة هى بيع البصل وحيث تنتشر محلات ومخازن البصل(شكل ٤-١٠) كما توجد بعض المحلات القليلة والتى تبيع مختلف أنواع الأطعمة، ويحتوى الفراغ على العديد من الباعة الجائلين الذين لا تحتاج سلعهم الى مكان ثابت لوضعها وتخزينها.



(شكل ٤-١٠) صورة بمنطقة باب الفتوح توضح تواجد نوعيات عديدة من المحلات إلا أن السلعة الغالبة هى تجارة البصل

ويعتبر الفراغ أمام جامع الحاكم بأمر الله –وهو أكثر اتساعاً من باقي المسار– أكثر امتلاء بالضوضاء والنشاط والحركة من باقي المسار حيث أن هذا الفراغ يمتلىء بالمستعملين سواء كانوا أشخاص يستعملونه للانتقال من مكان لأخر، أو سائحين، أو أصحاب محلات، أو مشترين أو باعة جائلين أو عمال ترميم أثار.

وبينما نجد أن المنطقة تعد متجانسة وظيفيا نتيجة لوحدة النشاط أو لانتشار نشاط واحد في معظميا الا أننا نجد أن الأعمال التي قام بها المستعملون في المنطقة من أكثر الأعمال السلبية والتي أفسدت الشكل العام للمنطقة، بل وأدت الى تدهور حالة المباني وغيرت في وحدة الطابع الموجود بالمنطقة حيث قام الأفراد بهدم دور السطح لمعظم المباني، وقام بعضهم باشغاله عن طريق تخزين بضائعهم به، أو عن طريق بناء غرف لكي يسكنوا بها وهي مصنوعة من الصاج أو الخشب كما أن بعض الأسطح تبدو متهالكة أو مهدمة تماما. وقد أدت مثل هذه الأعمال الى عمل تناقض كبير في الطابع العام للمنطقة حيث نرى فرقا واضحا بين الشكل العام لبوابة الفتوح وجامع الحاكم بأمر الله ومدى ارتفاع قيمتها التاريخية، وبين باقي المباني والتي هي عبارة عن دور أرضي (محلات) يعلوها دور علوى واحد أو سطح يستخدم عادة في السكن أو كمخزن يتبع المحلات الموجودة في الدور الأرضي. (شكل ٤-١١)



(شكل ٤-١١) صورة توضح التباين الذي حدث في طابع المنطقة نتيجة لكثرة التعديلات والإضافات الخاصة بمستعملي المنطقة

لذا فاننا نرى أن المنطقة بها تجانس وظيفي أما بالنسبة للوحدة في الطابع فاننا نراها غير واضحة حيث نرى مباني منخفضة متهالكة ومباني تاريخية (باب الفتوح وجامع الحاكم بأمر الله) ومباني أخرى حديثة مرتفعة ولاتتناسب ارتفاعاتها مع عروض الشوارع (حيث يتراوح ارتفاعها بين ٤ الى٥ أدوار)، وكذلك نجد اختلافا في الألوان ومواد التشطيب أو اختلافا بين نسبة الموجودة بين ارتفاع المباني الى عرض الشارع وذلك بمقارنة المباني القديمة بالمباني الحديثة.

ثالثا الحيز الخارجى المضاف إلى نهر الطريق:

تعد المنطقة الواقعة جنوب باب الفتوح فراغا متسعا يخدم العديد من الأغراض والتى من أهميا أنه يعد الانتفاخ المرتبط بتواجد بوابة رئيسية للمدينة، والذى يمثل أحد عناصر الصورة الذهنية والبصرية للمدينة الاسلامية، وهو الذى يبدأ من نهاية القصبة الرئيسية للمدينة ثم تمتد مخترقة مدينة القاهرة وذلك حتى تنتهى بفراغ مماثل ثم تصل الى باب زويلة والذى يمثل البوبة الجنوبية للمدينة.

كذلك فان جزءا من المنطقة (الفراغ الذى ندرسه) يمثل ساحة متسعة يطل عليها جامع الحاكم بأمر الله حيث تشهد هذه الساحة تجمع أعدادا كبيرة من المصلين، ويرتبط بها تواجد العديد من الأنشطة التجارية. هذا بالاضافة الى أن الباعة الجائلين والذين لا تحتاج سلعهم الى وجود حوانيت نجدهم ينتشرون فى الفراغ ويستحوذون على الأماكن لفترات مؤقته وفقا لمبدأ الأسبقية (كما ذكرنا فى الباب الثانى) ومعظم هؤلاء الباعة يبيعون الأطعمة من خضروات، وفواكه، أو بعض الحلوى.

هذا وقد استغل بعض أصحاب محلات البصل (والتى هى منتشرة بالمنطقة) وأصحاب محلات الأطعمة، والأدوات المنزلية هذا الفراغ فى عرض منتجاتهم على الرصيف الملاحق لمحلاتيم، وكذلك استغلوا أيضا جزء من الطريق فى الجلوس، وعرض بعض سلعهم وذلك نظرا لضيق هذه المحلات، وعدم مواءمة أبعادها (والتى كانت ملائمة لمتطلبات العصور السابقة) لمتطلبات هذه الأيام. (شكل ٤-١٢)



(شكل ٤-١٢) صورة للمنطقة توضح استغلال الرصيف بكامله فى عرض المنتجات والجلوس أيضا

رابعا عناصر الجذب العامة :

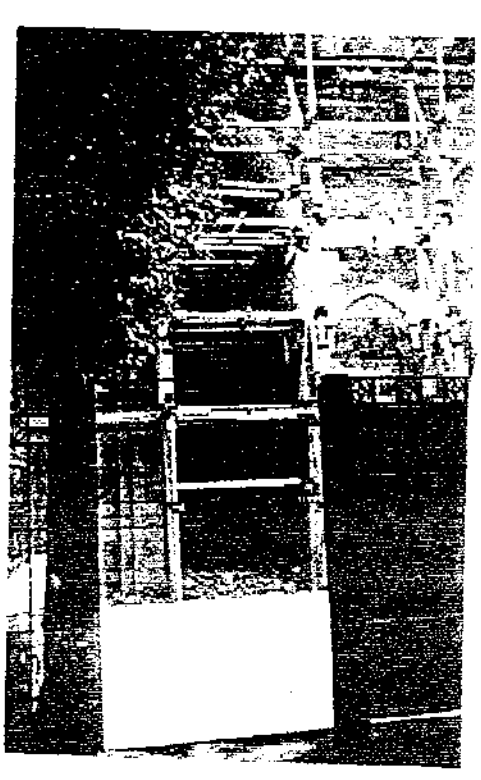
تحتوى منطقة جنوب باب الفتوح على العديد من عناصر الجذب العامة (والتى بالرجوع الى دراسة عناصر الصورة البصرية للمناطق الحرفية فى الفصل الثانى) فانه يمكن حصرها فيما يلى:

بالنسبة لعناصر الجذب الوظيفى فنجد أنها متمثلة فى تواجد نوعية واحدة من التجارة تزاول فى المنطقة وهى (بيع البصل) ، حيث يعد تركز نوع واحد من السلع فى منطقة واحدة بمثابة عامل الجذب الذى يستقطب العديد من الناس لكى يأتوا الى هذا المكان.

وبالنسبة لعناصر الجذب الفراغى فنجد أن المنطقة نفسها عبارة عن فراغ واسع تتم فيه العديد من الأنشطة التجارية من بيع وشراء، وكذلك فان جزء منها يمثل مساحة يطل عليها جامع الحاكم بأمر الله، وتشهد بذلك هذه الساحة التى يتجمع فيها الناس بعد أداء الصلاة مما ينتج عنه مزاولة أنشطة اجتماعية، من تناقل أخبار وأحاديث بين الناس.

أما ماتتميز به المنطقة من مبانى ذات أهمية تجذب اليها الناس فهى متمثلة فى تواجد جامع الحاكم وبوابة الفتوح (شكل ٤-١٣أ، ب) والذى يمثل كل منهما عنصر جذب رئيسى فى المنطقة حيث يتوافد عليهما السياح للاستمتاع بمشاهدة وتسجيل أهميتهما التاريخية، وغناهما المعمارى، وكذلك يتوافد عليهما العديد من الدارسين الذين تمثل هذه المبانى لهم قيمة تراثية عالية.





(شكل ٤-١٣) صور للمبانى الهامة بالمنطقة حيث نرى فى (أ) بوابة الفتوح، وفى (ب) جامع الحاكم بأمر الله وتظهر به الدعامات الخشبية المستخدمة أثناء عمليات الترميم

خامسا البوابة وملحقاتها:

تعد منطقة الدراسة أحد نماذج البوابات والتى ذكرت عند تحليل عناصر الصورة البصرية للمناطق الحرفية بالمدن الاسلامية (وذلك فى الفصل الثانى من هذا البحث). وهى تعد نموذجا للبوابات الواقعة بأسوار المدينة حيث تقع بالسور الشمالى للقاهرة الفاطمية وهى تمثل أحد المداخل الرئيسية للمدينة والتى كانت تمر بها طرق المواصلات الرئيسية التى تصل المدينة بغيرها من البلدان.

هذا وتحتوى منطقة الدراسة على النواحى الخاصة بالنموذج الذهنى للبوابة والتى يمكن حصرها فى النقاط التالية :

ناحية الدراسة	الوظيفة
١/ الناحية الانشائية	الهيكل العام للبوابة والذى يحتوى على برجين رئيسين يصل بينهما ممر علوى يتم الوصول اليه عن طريق سلم جانبى أو من خلال جامع الحاكم الملاصق لها.(شكل ٤-١٤أ، ب) (شكل ٤-١٤) كروكى يوضح الناحية الإنشائية للبوابة حيث نرى فى (أ) مسقط أفقى، وفى (ب) واجهة البوابة من ناحية شارع البغالة
٢/ الناحية الانتفاعية	يمثل الفراغ الموجود أمامهما عنصر جذب يستغله أصحاب الحوانيت المطلة عليه، والباعة الجائلون فى وضع بضائعهم، وبالتالى تحدث المنفعه لهم حيث يتم بهذا الفراغ نشاط تجارى ضخم.
٣/ الناحية الوظيفية	كان الهدف من انشاء البوابات فى العصر الفاطمى هو أن يكون هناك نقاط حراسة تفصل الصفوة (الشيعة الواردين من الخارج) عن المصريين (العامة) أما فى وقتنا هذا فلا تمثل البوابة سوى قيمة تاريخية، ومبنى على قدر كبير من الثراء المعمارى والانشائى.

٤/ الناحية (التجارية-الحرفية)	يحتوى الفراغ المرتبط بباب الفتوح على العديد من الأنشطة، فتطل عليه محلات بيع البصل (وهى التجارة السائدة فى المنطقة) بالاضافة الى وجود العديد من الباعة الجائلين والذين يساهمون -بالاضافة الى مرور السيارات- فى جعل الفراغ على قدر كبير من الضوضاء والزحام.
٥/ الناحية الاجتماعية	نظرا لأن المنطقة يتم بها نشاط تجارى كبير، فنجد أن هناك نوعا من العلاقات الاجتماعية التى تنشأ بين أصحاب المحلات وبعض، وبين أصحاب المحلات والباعة الجائلين مما يقوى العلاقات، ويجعل هناك ألفه بين مستخدمى الفراغ حيث يمثلون مجموعة متجانسة فهم يتبادلون الأحاديث وتناقل الأخبار، وأحيانا يساهمون فى فض النزاعات التى قد تنشأ بين أصحاب المحلات والمشترين أو بين المشاه وسائقى السيارات التى قد تتجاوز السرعة في منطقة مزدحمة كمنطقة الدراسة هذه.
٦/ الناحية الحركية	ارتبط وجود البوابة (وخاصة اذا كانت رئيسية) بوجود شارع مزدحم خارج المدينة (شارع البغالة) وهو يمثل شريان حركة رئيسى (شكل ٤-١٥) ثم يتم المرور من خلال البوابة الى فراغ به أنشطه وتجمع شديد للناس ثم قصبة المدينة (شارع المعز) حيث يزداد أعداد المشاه، وتقل السيارات أو يقل معدل مرورها حيث تقل سرعتها لتفادى وقوع حوادث. (شكل ٤-١٥) صورة توضح شارع البغالة والذى يعد من المناطق التى بها معدل مرور المركبات عال

٤/٥/١/٢ الوحدة التصميمية الانتفاعية الأساسية بالمنطقة :

كما ذكرنا من قبل (فى الفصل الثانى عند دراستنا لعناصر الصورة البصرية للمناطق الحرفية بالمدينة الاسلامية) فان البوابة بالمدينة الاسلامية قد ارتبطت بنموذج ذهنى وصورة بصرية محددة . وقد احتوى هذا النموذج على عدة عناصر كانت تمثل فيما بينها وحدة تصميمية ارتبطت دائما بتواجد بوابة المدينة.

وبالنسبة لمنطقة باب الفتوح فان هذه العناصر يمكن تقسيمها الى ثلاثة مجموعات تحتوى كل مجموعة على بعض العناصر التى لا يمكن أن تنفصل عن بعضها كما يلى:

رقم المجموعة	عناصر المجموعة	الرسم التوضيحى
المجموعة الأولى (محلات مطلة على فراغ أو مسار)	- شارع رئيسى مزدحم (شارع البغالة) - اختناق ضيق من خلال برجى البوابة - فراغ كبير تطل عليه المحلات وتتم به أنشطة تجارية عديدة من خلال تواجد الباعة الجائلين به - قصبة رئيسية بالمدينة (شارع المعز)	(شكل ٤-١٦أ) كروكى يوضح علاقة المحلات بالفراغ الذى تطل عليه
المجموعة الثانية (مبنى مميز يطل على ساحة واسعة)	- جامع كبير يطل على الفراغ الرئيسى (جامع الحاكم بأمر الله) - ساحة متسعة أمام الجامع (على علاقة مباشرة بالفراغ الرئيسى أمام البوابة) - ارتفاع مستوى الشارع (القصبة) على مر الزمن	(شكل ٤-١٦ب) كروكى يوضح علاقة الجامع بالفراغ والقصبة الرئيسية

المجموعة الثالثة (العنصر الانشائى)	- العنصر الانشائى للبوابة وهو عبارة عن برجين بينهما اختناق يتم من خلاله الدخول أو الخروج من والى قصبة القاهرة الفاطمية - سور المدينة يبدأ على يمين ويسار برجي البوابة وهو يمثل السور الشمالى للقاهرةالفاطمية .	سور القاهرة الشمالى اختناق برجى البوابة (شكل ٤-١٦جـ) كروكى يوضح العنصر الإنشائى للبوابة وعلاقته بمداخل ومخارج المدينة

٣/١/٥/٤ العلاقة بين مكان العمل والسكن بالمنطقة :

تزخر منطقة جنوب باب الفتوح بالعديد من الأنشطة والاستعمالات المتعددة حيث أن الدور الأرضى يغلب عليه النشاط التجارى، فتتواجد به مجموعة من المحلات لبيع البصل وهى موجودة فى المنطقة المقابلة لجامع الحاكم بأمر الله، ويليها كلما اتجهنا جنوبا محلات تبيع مختلف أنواع الأطعمة بالاضافة الى محلات أخرى تبيع الأدوات المنزلية كما يحتوى الدور الأرضى فى المنطقة المقابلة على السور الخارجى والمدخل الخاص بجامع الحاكم بأمر الله، ويعلو هذا السور حاجزا من الأشجار الكثيفة والتى تحجب جزءا من واجهة الجامع.



(شكل ٤-١٧) صورة بمنطقة باب الفتوح توضح تواجد العديد من العمارات السكنية الحديثة التى أفسدت الطابع العام للمنطقة

أما الأدوار العليا فانها عبارة عن أسطح مهدمة ومتهالكة أو عبارة عن بعض الغرف السكنية البسيطة والمصنوعة من مواد خفيفة (كالخشب والصاج) وأحيانا تكون مصنوعة من الطوب الأحمر. كما تحتوى الأدوار العليا فى بعض الأماكن على عمارات سكنية (يتراوح ارتفاعها من ٤-٧ أدوار) وهى متمثلة فى بعض المبانى الحديثة والتى تم انشائها خلال العقود الثلاثة الأخيرة ، وهى تمثل تباينا واضحا فى الطابع العام وأسلوب الانشاء والمعالجات المعمارية مع المبانى القديمة والتاريخية بالمنطقة. (شكل ٤-١٧)

ومن الجدير بالذكر أن سكان هذه العمارات أو الغرف الموجودة أعلى المحلات لايعملون بالمنطقة وانما يعمل معظمهم –ان لم يكن كلهم– فى مناطق تقع خارج نطاق سكنهم. كما أنه وجد أن أصحاب المحلات المنتشرة فى الدور الأرضى لايسكنون فى المنطقة وانما يسكن كل منهم فى أماكن بعيدة نوعا عن محلاتهم وعن منطقة باب الفتوح.

٢/٥/٤ دراسة منطقة خان الخليلى :

١/٢/٥/٤ الصورة البصرية المميزة للمنطقة :

أولا العلاقة بالقصبة الرئيسية :

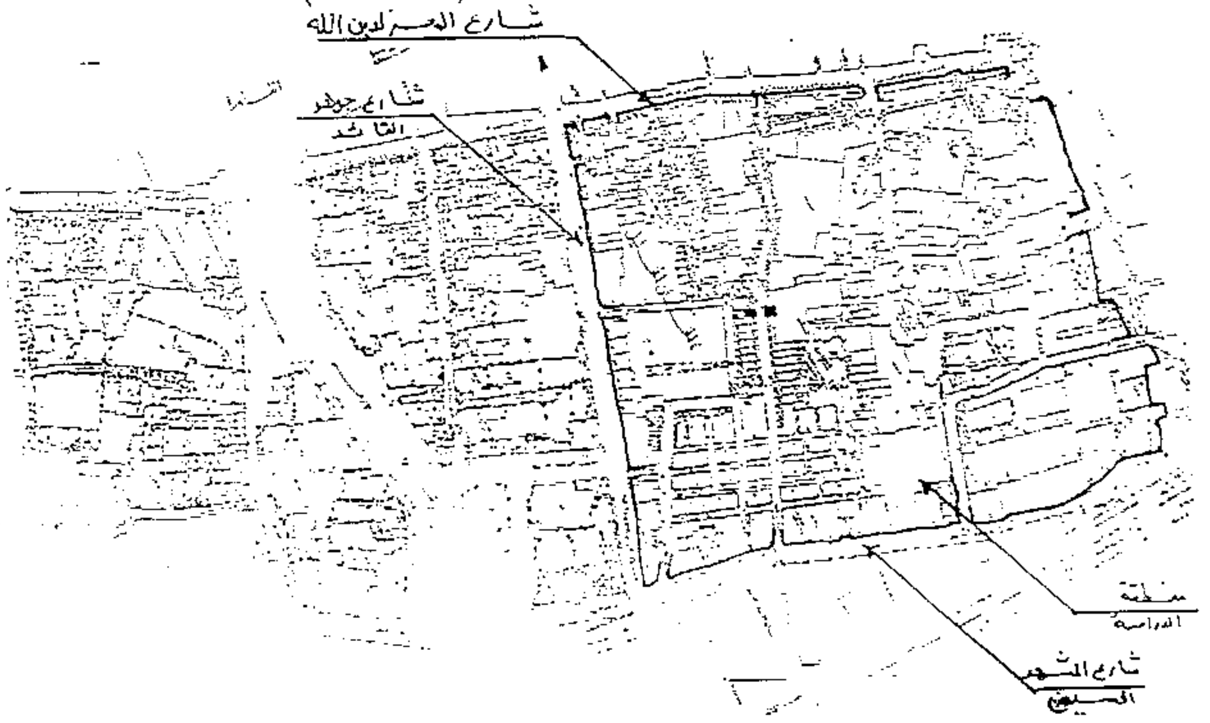
تعد منطقة الدراسة من المناطق الحرفية الهامة جدا، وهى عبارة عن منطقة متصلة بالقصبة الرئيسية للمدينة عن طريق شبكة من المسارات، ومعظمها مسارات متعرجة وبما أن هذه المسارات والتى تصب فى شارعين غير رئيسيين هما شارعى (المشهد الحسينى، والمعز لدين الله)

لذلك فان هذه المنطقة تعد منطقة هادئة نسبيا حيث أن شارع المعز – وان كان أكبر فى عرضه من المسارات الواقعة بمنطقة خان الخليلى– الا أنه لا يعتبر مزدحما بمرور السيارات، كما أن شارع المشهد الحسينى نظرا لضيقه فان معدل مرور السيارات به قليل. (شكل ٤–١٨)

منطقة الدراسة

(شكل ٤–١٨)مسقط أفقى لمدينة القاهرة يوضح علاقة منطقة خان الخليلى بالقصبة الرئيسية للمدينة

ويمكن الوصول الى منطقة الدراسة عن طريق شارع المشهد الحسينى، وهو شارع متفرع من الساحة أمام المشهد الحسينى، كما يمكن الوصول اليها أيضا من شارع المعز لدين الله، وكذلك يمكن الوصول للمنطقة من شارع جوهر القائد. (شكل ٤-١٩)



(شكل ٤-١٩) مسقط أفقى لمنطقة خان الخليلى يوضح العلاقة بالطرق المحيطة

ونظرا لضيق المسارات بمنطقة الدراسة حيث تعتبر كلها مسارات متعرجة ملتوية يتراوح عرضها بين (٢-٤أمتار)، ولا يتجاوز العرض تلك الأمتار القليلة الا عند مناطق التقاء المسارات (Nodes) حيث يزيد عن ذلك قليلا وتكون الأولوية فى السير للمشاه كما نجد أن معظم المسارات بها تبليطات لا تتحمل سير المركبات عليها، وكذلك فان كثرة التعرجات، والالتواءات والضيق الحادث بتلك المسارات يجعل هناك صعوبة لسير السيارات بها ونجد فى بعض الأحيان أنه بالرغم من ضيق المسار الا أن أصحاب المحلات يصرون على عرض جزء من بضائعهم خارج المحل (لاجتذاب المشترين) والذين يكون معظمهم من السياح. (شكل ٤-٢٠)



(شكل ٤-٢٠) صورة لأحد مسارات منطقة خان الخليلى توضح ضيق وتعرج المسارات

ثانيا القطاع المتجانس (ثقافيا واجتماعيا):

تعد منطقة الدراسة أحد القطاعات المتجانسة التى تتصل بالقصبة الرئيسية عن طريق مجموعة من المسارات. ونجد أن هناك سمات مشتركة للمناطق التجارية والحرفية الواقعة بتلك المنطقة حيث نجد أن النشاط الغالب بها هو صناعة المنتجات المعدنية، وتكفيت (أى طلاء) المعادن بالذهب والفضة، وانتشار المشغولات الذهبية والفضية والنحاسية سواء المحفور عليها أو ذات الرسومات البارزة والمطلية. (شكل ٤-٢١)



(أ)



(ب)

(شكل ٤-٢١) صور لمنطقة خان الخليلى توضح (أ) محلات بيع الحلى الفضية والذهبية، و(ب) محلات بيع لأطباق النحاسية المشغولة

وتعتبر منطقة الدراسة هذه ذات أنشطة متعددة وترتبط كليا بالمشاة. وتتنوع الأنشطة ما بين التجول والسير ومشاهدة أماكن العرض والشراء وذلك بالنسبة لزوار المنطقة، أو لبيع والجلوس أمام المحلات وعرض البضائع خارج المحلات وذلك بالنسبة لأصحاب

المحلات، أو الجلوس وتبادل الأحاديث والاستمتاع بتناول بعض المشروبات الخفيفة وذلك بالنسبة لرواد (المقاهى)الموجودة بالمنطقة.

وبينما نجد أن المنطقة تعد متجانسة وظيفيا نتيجة لانتشار نشاط واحد فى معظمها، الا أننا نجد أن الأعمال التى قام بها المستعملون فيها أساءت اليها وأدت الى تدهور حالتها العامة، حيث قاموا بعمل كمرات خشبية رديئة بعرض المسار، وهى تعلو الدور الأرضى حيث تم تغطيتها بأسطح من الصاج، كما قام بعض المستعلمين وهم عادة أصحاب المحلات الموجودة بالدور الأرضى بعمل مظلات من القماش الملون أعلا اللافتات الخاصة باسم المحل.

كما قاموا باستخدام المواد الحديثة من دهانات ووحدات اضاءة وتبليطات ومعالجات حديثة أما بالنسبة للاضافات الخاصة بالأدوار العليا (والمشتمل على نشاط سكنى) فهى تظهر فى أعمال الدهانات الحديثة وهدم بعض الأسطح، وبناء غرف من الصاج أو الخشب ووضع بعض وحدات تكييف الهواء على الواجهة وكل هذه الاضافات سواء فى الدور الأرضى أو الأدوار العليا قد أضرت بالطابع العام للمنطقة، وأدت الى وجود تباين شديد وواضح بين طابع المبانى القديمة والتقليدية، وتلك المبانى أو الاضافات والمعالجات الحديثة. (شكل ٤-٢٢)

(شكل ٤-٢٢) صورة لأحد مسارات منطقة خان الخليلى توضح استخدام الخشب والصاج فى تغطية المسار، وكذلك تم عمل معالجات حديثة لواجهات المحلات واستخدمت وحدات التكييف التى تظهر على واجهة احدى العمارات السكنية بالمنطقة

لذا فاننا نجد أن المنطقة بها تجانس وظيفى واضح أما بالنسبة للوحدة فى الطابع فانها غير واضحة حيث نرى مبانى منخفضة متهالكة، ومبانى أخرى يتراوح ارتفاعها بين (٣-٤ أدوار) وبعض المبانى السكنية الحديثة والتى يرجع تاريخ انشائها الى السبعينات من هذا القرن، الا أن شكلها متنافر مع طبيعة وقيمة المنطقة.

ثالثا الحيز الخارجى المضاف إلى نهر الطريق:

تحتوى منطقة الدراسة على بعض الانتفاخات التى تتكون من تقاطعات بعض المسارات أو نتيجة لحدوث انحناء معين فى منطقة ما من المسار أمام مبنى معين. وقد استغلت تلك الانتفاخات كمناطق تجمع للأنشطة التى يمكن مزاولتها فى الساحات والأفنية،

والتى قد لا تحتاج الى وجود حوانيت ثابتة،وهى تلك التى يقوم بها الباعة الجائلون حيث يستحوذون على مكان مؤقت لفترة ما من اليوم، وتكون بضائعهم اما على عربات يدوية أو على الرصيف أو حتى فى عرض الطريق نفسه. ومعظم هؤلاء الباعة يبيعون الأطعمة من خضروات وفواكه أو بعض الحلوى المصنعة بطرق بسيطة، كما يظهر أيضا بعض الباعة الذين يبيعون الشنط المصنوعة من القماش المطبوع، والمنتجات الجلدية.

وقد استغل بعض أصحاب محلات المشغولات المعدنية، وغيرها من المحلات الأخرى الفراغ أو المسار الواقع عليه محليهم أو الرصيف بكامل عرضه فى الجلوس أمام محلاتهم، وفى عرض بعض سلعهم، وذلك نظرا لضيق تلك المحلات وعدم ملاءمة أبعادها لمتطلبات اليوم ولسلع اليوم، حيث تعتبر معظم مساحة المحل مستغلة فى التخزين. (شكل ٤-٢٣)

(شكل ٤-٢٣) صورة للفراغ أمام بوابة خان الخليلى توضح استغلال أصحاب المحلات لجزء كبير من الفراغ فى عرض بضائعهم

رابعا عناصر الجذب العامة :

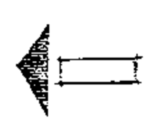
تحتوى منطقة خان الخليلى على نوعيات متعددة من عناصر الجذب العامة، والتى يمكن حصرها فيما يلى، وذلك بعد الرجوع الى ماتم دراسته فى الفصل الثانى من عناصر مميزة للصورة البصرية للمناطق الحرفية بشكل عام:

فنجد أن المنطقة تحتوى على عنصر جذب وظيفى وهو متمثلا فى تواجد نوعية واحدة من التجارة تزاول فى المنطقة وهى بيع المشغولات المعدنية من ذهب وفضة ونحاس أو مشغولات تعتمد على حرفة (التكفيت) وهو طلاء المعادن. وتعتبر هذه هى الحرفة أو التجارة الغالبة على المنطقة الا أنه توجد بعض السلع الأخرى والتى لا يتنافر وجودها مع ورش المشغولات المعدنية مثل محلات بيع الشنط والمنتجات الجلدية، والشنط المصنوعة من القماش المطبوع. أو محلات بيع العطور والمباخر.

وبالنسبة لعناصر الجذب الفراغى فإننا نجد أن المنطقة كغيرها من المناطق فى المدينة التقليدية تتميز بوجود مسارات ضيقة متعرجة تكون فيما بينها وعلى فترات متباعدة وغير منتظمة مناطق تجمع يستفيد فيها السكان أو أصحاب المحلات أو الباعة الجائلين

بمزاولة نشاطاتهم، فبالنسبة لأصحاب المحلات نجدهم يستغلون المساحة الواسعة أمام محلاتهم فى عرض أكبر قدر من السلع التى يبيعونها وأما بالنسبة للباعة الجائلين فانهم يستغلون تلك المساحة الواسعة فى وضع بضائعهم أو عرباتهم اليدوية التى يبيعون عليها بعض السلع كالفاكهة والخضروات أو بعض الملبوسات والأدوات المنزلية البسيطة، وبالتالى فان هذه الفراغات أو الساحات تمثل عنصر جذب حيث تستقطب العديد من الناس بسبب اتساعها ووجود أنشطه متعددة بها. أما ما تتميز به المنطقة من مبانى ذات أهمية تجذب اليها الناس، فهى متمثلة فى تواجد خان الخليلى بطابعه الخاص وقيمته التراثية العالية(شكل ٤-٢٤) وكذلك بوابة خان الخليلى والتى تطل على فراغ يزخر بالعديد من الأنشطه المختلفة.





(شكل ٤-٢٤) صورة بمنطقة خان الخليلى توضح مبنى الخان والذى يمثل عنصر جذب هام بالمنطقة

خامسا البوابة وملحقاتها:

تحتوى منطقة الدراسة على أحد نماذج البوابات والتى ترتبط فى أذهاننا بصورة بصرية موحدة كانت موجودة فى المدن الاسلامية كلها (وقد ذكر ذلك بالتفصيل فى الفصل الثانى من هذا البحث وذلك عند دراستنا لعناصر الصورة البصرية المميزة للمناطق الحرفية). وهى تعتبر أحد النماذج للبوابات الواقعة بداخل المدينة وهى تفصل بين منطقتين.

وتحتوى تلك البوابة على معظم النواحى الخاصة بالنموذج الذهنى للبوابات والتى يمكن حصرها فى النقاط التالية:

ناحية الدراسة	الوظيفة
١/ الناحية الانشائية	الهيكل العام للبوابة بطابعها الأثرى.(شكل ٤-٢٥) الفراغ أمام البوابة بوابة خان الخليلى (شكل ٤-٢٥) كروكى يوضح مسقط أفقى لبوابة خان الخليلى

٢/ الناحية الانتفاعية	يمثل الفراغ الموجود أمام البوابة عنصر جذب يستغله أصحاب الحوانيت المطلة عليه والباعة الجائلون فى وضع بضائعهم وبالتالى تحدث المنفعة لهم حيث يتم بهذا الفراغ نشاط تجارى.
٣/ الناحية الوظيفية	لاتمثل البوابة حاليا سوى قيمة تاريخية، ومبنى على قدر كبير من الثراء المعمارى والانشائى والزخرفى. أما قديما فانها كانت تمثل نقطة حراسة تفصل بين منطقتين.
٤/ الناحية (التجارية والحرفية)	يحتوى الفراغ المرتبط ببوابة خان الخليلى على العديد من الأنشطة حيث تطل عليه محلات بيع المشغولات الذهبية والفضية والنحاسية، وأخرى تبيع الشنط الجلدية ومنتجات من القماش المطبوع، والمباخر، وغيرها من الأنشطة الأخرى التى تتميز بها المنطقة. وذلك بالاضافة الى تواجد بعض الباعة الجائلين والذين يساهمون هم والمحلات الموجودة بالمنطقة فى جعل الفراغ على قدر كبير من الضوضاء. (شكل ٤-٢٦) (شكل ٤-٢٦) صورة لبوابة خان الخليلى توضح الفراغ الواقع أمامها، والباعة والمعروضات التى تشغله
٥/ الناحية الاجتماعية	نظرا لوجود نشاط تجارى وحرفى كبير يتم بالمنطقة نجد أن هناك نوعا من العلاقات الاجتماعية التى تنشأ بين أصحاب المحلات وبعض، وبين أصحاب المحلات والباعة الجائلين وبين رواد المقاهى المنتشرة بالمنطقة، مما يجعل هناك علاقات تآلف بين مستخدمى الفراغ، حيث يمثلون مجموعة متجانسة، فهم يتبادلون الأحاديث وتناقل الأخبار، وأحيانا يساهمون فى فض المنازعات التى تنشأ بين أصحاب المحلات والمشترين أو المشاه.

٦/ الناحية الحركية	ارتبط وجود البوابات الواقعة بداخل المدن الاسلامية ونأخذ مثالا لها هنا بوابة خان الخليلى بوقوعها فى مسار متعرج ضيق لا تدخله أحيانا السيارات، وبالتالى فهو مخصص أساسا للمشاه أو لعرض سلع بعض أصحاب المحلات حيث لا يوجد جزء من المسار مخصص كرصيف للمشاة أو للعرض وجزء أخر للمشاه.

٢/٢/٥/٤ الوحدة التصميمية الانتفاعية الأساسية بالمنطقة :

ارتبطت المسارات بالمدن الاسلامية بنموذج ذهنى وصورة بصرية محددة وقد احتوى هذا النموذج الذهنى -أيا كان موقعه أونوعه- على عدة عناصر كانت تمثل فيما بينها وحدة تصميمية ارتبطت دائما بوجود مسار تطل عليه بعض الأنشطة الحرفية والتجارية.

وبالنسبة لمنطقة خان الخليلى فانها منطقة تتميز بوجود مسارات ضيقة ومتعرجة كثيرة وتنتهى معظم مساراتها بنهايات مسدودة، كما أنها تخلق عند التقاطعات أو التعرجات الشديدة نقاط تجمع أنشطة والتى تمثل نقاط تجمهر للناس وعادة ما يحتوى النموذج الذهنى للمناطق الحرفية والتجارية التى تطل على مسار ضيق على الوحدة المتكررة وهى (المحل) على جانبى الطريق ثم المسار والذى عادةيكون فى مستوى واحد، ولا يفصله عن المحل مستوى أخر، كما يحتوى الطريق فى بعض الأماكن (وذلك قديما فقط) على بعض الجلسات (المصاطب) والتى يجلس عليها صاحب المحل أحيانا مع أحد أصدقائه من أصحاب المحلات المجاورة أو بعض المشترين. ويمكن ايضاح عناصر النموذج الذهنى فى الجدول التالى:

المجموعة	عناصر المجموعة	الرسم التوضيحى
محلات مطلة على مسار وأحيانا على فراغ	- مسار ضيق متعرج - بعض نقاط التجمع (الانتفاخات) وهى تكون على مسافات متباعدة - وحدة متكررة (المحل) تطل على ذلك المسار .	شارع خان الخليلى الفراغ الذى يلى البوابة المحلات المتراصة على جانبى المسار (شكل ٤-٢٧) كروكى يوضح أحد مسارات منطقة خان الخليلىوالمحلات المتراصة على جانبيه

٣/٢/٥/٤ العلاقة بين مكان العمل والسكن بالمنطقة :

كما ذكرنا فى الفصل الثالث عند دراستنا للعلاقات التبادلية بين مكان التصنيع (الورشة)، ومكان العرض ومكان السكن الخاص بالحرفى فإن الحرفى قد ارتبط بمكان عمله ارتباطا وثيقا، حيث أنه المكان الذى يقضى فيه معظم ساعات يومه، كما أنه يعد مصدر دخله الوحيد.

وبالنسبة لمنطقة خان الخليلى فإنها تعد من أهم الأمثلة للمناطق الحرفية والتى يتجاور فيها سكن الحرفى مع ورشته، حيث نجد أن المنطقة كانت عبارة عن قطاع متجانس مهنيا وأهليا. بمعنى أننا نجد أن كل هؤلاء الصناع الذين يشتغلون فى الخامات الثمينة (كالذهب والفضة والنحاس) من المسيحيين السوريين أو من الأرمن.[١٢] وبذلك فإنهم تجمعهم وحدة فى الجنسية وبالتالى فى الميول والعادات والتقاليد، كما يجمعهم مكان واحد فى العمل والسكن. حيث يقطنون الربوع السكنية الواقعة أعلا ورشهم والتى تتواجد متراصة على جانبى المسارات الموجودة بالمنطقة.

ونجد أنه نتيجة لهذه الوحدة فى الجنسية والديانة والمهنة فقد نشأ مجتمع صغير تجمعه علاقات من الألفة والتكاتف، وكذلك المشاركة فى الأعياد والاحتفالات الدينية والموسمية. كما أدى ذلك إلى تسهيل دور الدولة فى الإشراف على هذه الفئة –وغيرها من الفئات فى المجتمع– حيث ينتخب فرد من هذه الفئة لكى يكون شيخا لطائفة الحرفيين الذين يعملون فى المشغولات الذهبية، كما أن هذا الفرد أحيانا كان يلعب دور شيخ الحارة، وبالتالى فقد كان هو المسئول عن حل مشاكل الطائفة الحرفية وكذلك مشاكل سكان الحارة.

---

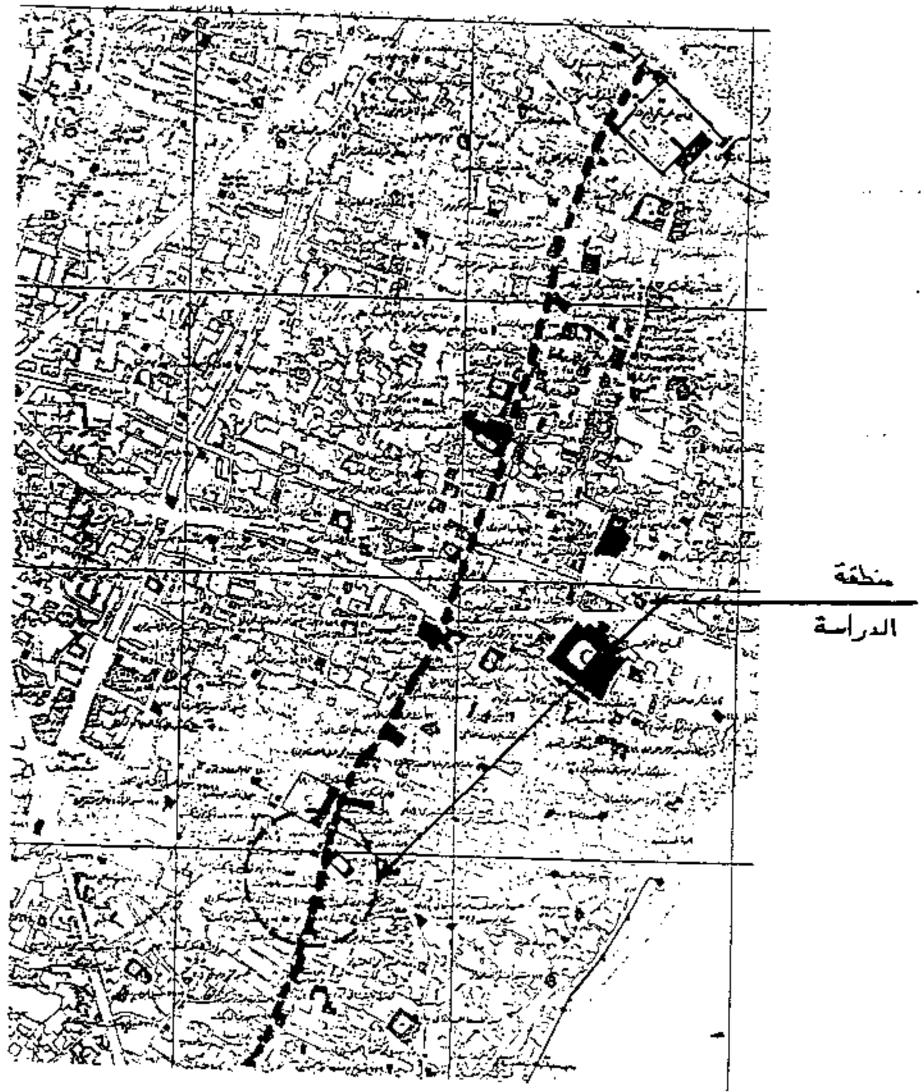
١٢ علماء الحملة الفرنسية: "وصف مصر"، ترجمة زهير الشايب، صـ ٣٤٠

٣/٥/٤ دراسة منطقة الخيامية وقصبة رضوان :

١/٣/٥/٤ الصورة البصرية المميزة للمنطقة :

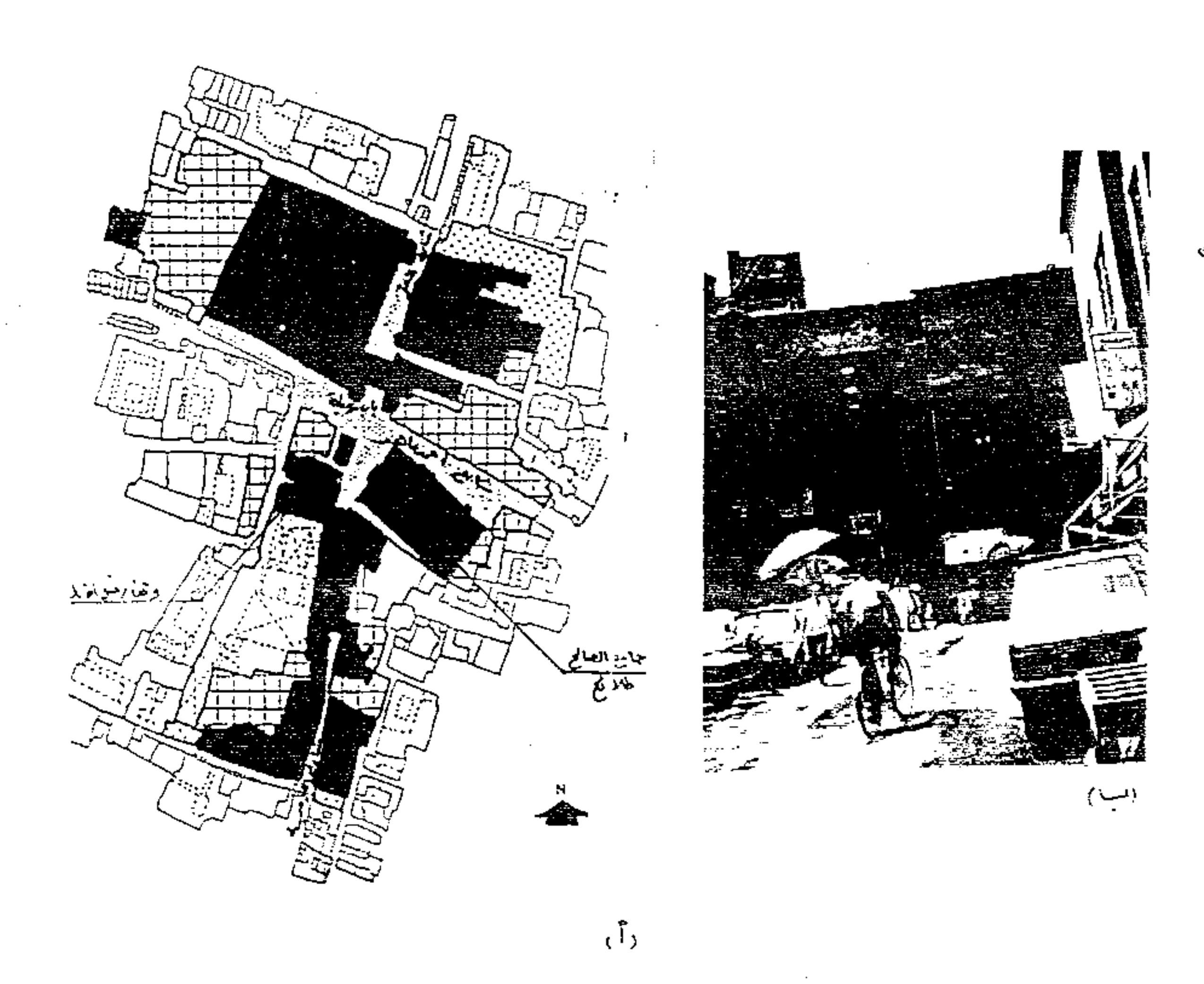
أولا العلاقة بالقصبة الرئيسية :

تعد منطقة الدراسة هى أول امتداد حدث فى قصبة المدينة خارج أسوار القاهرة الفاطمية فى اتجاه الجنوب من باب زويلة حيث تبدأ المنطقة بفراغ واسع يطل عليه وقف رضوان بك وجامع الصالح طلائع، ويقطعه شارع أحمد ماهر المزدحم بسبب كثافة مرور السيارات به، بالاضافة الى أنها تعد أحد المداخل الرئيسية لمدينة القاهرة الفاطمية، وذلك بسبب موقعها الملاصق لباب زويلة الذى يعد البوابة الجنوبية للقاهرة الفاطمية (شكل ٤-٢٨)، وهو أحد الأبواب الرئيسية التى بناها الأمير بدر الجمالى ، والذى تم الاشارة اليه فى هذا الفصل عند دراستنا لمنطقة جنوب باب الفتوح.



(شكل ٤-٢٨)مسقط أفقى لمدينة القاهرة يوضح علاقة منطقة الخيامية وقصبة رضوان بالقصبة الرئيسية للمدينة

يبدأ المسار بالفراغ الذي يطل عليه جامع الصالح طلائع، ووقف رضوان بك ويستغل الباعة الجائلون وأصحاب المحلات هذا الفراغ فى عرض سلعهم ثم يبدأ فى الضيق حيث يكون قصبة رضوان التى تطل عليها منازل رضوان بك والتى تعد امتدادا للقصبة الرئيسية للقاهرة خارج أسوارها، ثم يزداد ضيق المسار بعد ذلك، كما نجد المسار أصبح له سقف خشبى به فتحات مربعة صغيرة على امتداد محوره الطولى وذلك فى منطقة تركز صانعى الخيام (الخيامية). (شكل ٤-٢٩ أ، ب)

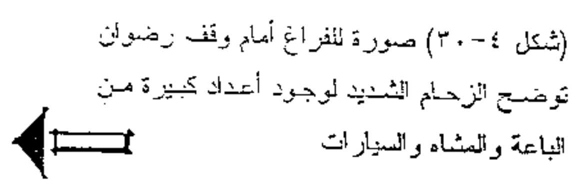


(شكل ٤-٢٩) منطقة قصبة رضوان والخيامية حيث نرى فى **(أ) مسقط أفقى للمنطقة، (ب)** توضح الفراغ الذى يلى باب زويلة وبداية قصبة رضوان وشارع الخيامية

ويمكن الوصول الى منطقة قصبة رضوان وشارع الخيامية عن طريق باب زويلة وذلك بعد عبور التقاطع مع شارع أحمد ماهر -والذى كان يعرف من قبل باسم شارع تحت الربع- الذى يعد أحد الشرايين الرئيسية التى تقسم المدينة الاسلامية، حيث يعتبر هذا الشارع أحد الشرايين الثلاثة الرئيسية والتى يمر بها أتوبيسات النقل العام التى تخدم منطقة الدرب الأحمر (الشارعين الأخرين هما شارع الدرب الأحمر وشارع التبانة).

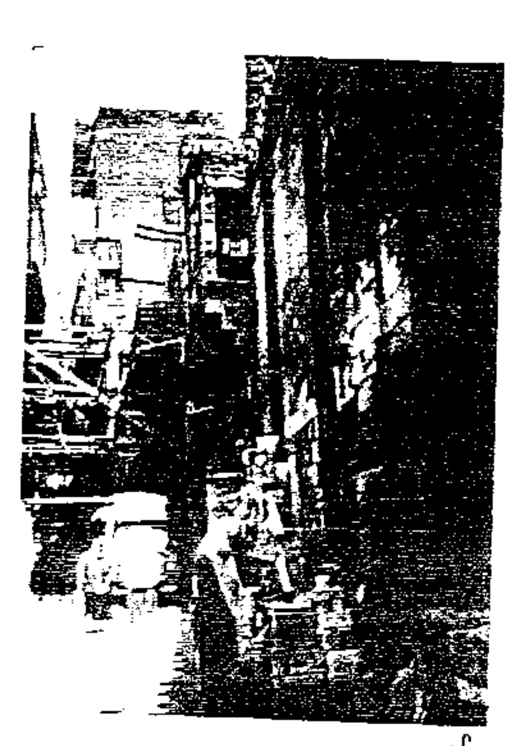
ومن الجدير بالذكر أنه عند مرور المركبات بشارع الخيامية أو قصبة رضوان أو حتى الفراغ أمام جامع الصالح طلائع فان ذلك يحدث زحاما شديدا بسبب التدفق الهائل فى أعداد المشاه وبسبب صغر عرض الشارع حيث لا يستوعب مرور المركبات بصورة سلسة. (شكل ٤-٣٠)





(شكل ٤-٣٠) صورة للفراغ أمام وقف رضوان توضح الزحام الشديد لوجود أعداد كبيرة من الباعة والمشاه والسيارات

وقد قام أصحاب المحلات، والباعة الجائلون بالاستحوّاذ على الرصيف المخصص للمشاه لعرض سلعهم مما اضطر المشاه الى استغلال الطريق لكى يجدوا مكانا يسيرون فيه. كما أن وضع بعض أصحاب المحلات لسياراتهم الخاصة فى الشارع يعد من الأسباب الهامة التى تسبب زحاما وذلك بالاضافة الى أن الدعامات الخشبية التى تستخدم فى تدعيم وتقوية بعض المبانى المتهالكة تؤدى الى تضييق الشارع بصورة واضحة، وكذلك انخفاض الارتفاع المسموح لسير السيارات. (شكل ٤-٣١ أ، ب)



(أ)





(ب)

(شكل ٤-٣١) شارع الخيامية حيث نرى فى (أ) استغلال الباعة لنير الطريق. (ب) توضح الضيق الذى حدث فى الشارع نظرا لاستخدام الكمرات الخشبية التى تدعم المبانى المتهالكة

ثانيا القطاع المتجانس (ثقافيا واجتماعيا):

تحتوى منطقة الخيامية وقصبة رضوان على مثالين للقطاع المتجانس، حيث يوجد بها مجموعتين من المحلات بحيث يوجد بين كل مجموعة بعض السمات المشتركة فتحتوى المجموعة الأولى والتى تقع بقصبة رضوان على بعض المحلات التى تبيع الأحذية أما المجموعة الثانية فتحتوى على محلات بيع الخيام ومستلزماتها كما يحتوى الفراغ المطل عليه جامع الصالح طلائع على بعض المحلات، بالإضافة إلى تواجد العديد من الباعة الجائلين الذين يبيعون مختلف أنواع الأطعمة. (شكل ٤-٣٢)



(شكل ٤-٣٢) صورة لأحد محلات صناعة مستلزمات الخيام بشارع الخيامية

ويشترك أصحاب المحلات بالمسار مع سكانه والمشاه به فى الأنشطة الرئيسية التى تتم به حيث نجد أنه نظرا لندرة وجود مركبات بالمسار فان معظم الأنشطة تكون متعلقة بالمشاه، حيث تنحصر تلك الأنشطة فى حركة البيع والشراء، أو حل مشاكل المرور التى قد تحدث فى أوقات الزحام والتى عادة تحدث عندما يتصادف مرور سيارتين فى اتجاهين متضادين، أو فى حل المنازعات التى قد تحدث بين بعض الأفراد فى الشارع، أو بين أصحاب المحلات والباعة الجائلين الذين يستحوذون على الرصيف (والذى يستخدمه أصحاب المحلات فى عرض سلعهم).

كما نجد أن هناك أعمالا متعددة قام بها المستعملون قد أدت الى تغير الطابع العام للمنطقة الا أن المنطقة لا تزال متجانسة وظيفيا ومن هذه الأعمال قيام بعض السكان بتقفيل البلكونات بواسطة زجاج وألومنيوم مما جعلها متباينة مع المشربيات الى تميز واجهات المبانى بالمدن الاسلامية. كما نجد أن بعض المستعملين (سواء سكان أو أصحاب محلات) قاموا بدهان الواجهات بألوان متواضعة مع الشكل الداخلى لفراغ السكن أو البيع. الا أن هذا العمل أيضا كان له تأثيرا سلبيا على الشكل الخارجى . كما نجد أن بعض أصحاب المحلات

كما نجد أن بعض أصحاب المحلات التى تطل على هذا الفراغ، والواقعة أسفل وقف رضوان قد استخدموا الرصيف لعرض منتجاتهم وكذلك استغلوا أحيانا جزءا من الطريق فى وضع سلعهم أو الجلوس أمام محلاتهم.

رابعا عناصر الجذب العامة :

تحتوى منطقة الخيامية وقصبة رضوان على العديد من عناصر الجذب العامة (والتى بالرجوع الى دراسة عناصر الصورة البصرية للمناطق الحرفية فى الفصل الثانى فانه يمكن حصرها فيما يلى :

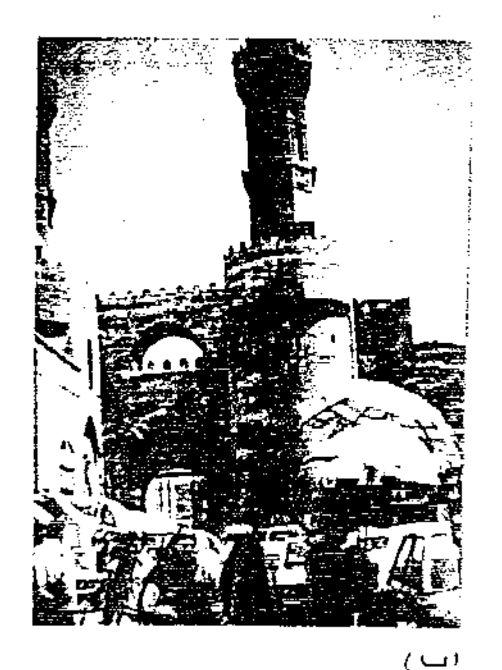
بالنسبة لعناصر الجذب الوظيفى فنجد أنها متمثلة فى تواجد نوعية واحدة من التجارة تزاول فى المنطقة وهى صناعة الخيام ومستلزماتها (شكل ٤-٣٥)، وبعض محلات بيع الأحذية حيث يعد تمركز نوع واحد من السلع فى منطقة واحدة بمثابة عامل الجذب الذى يستقطب العديد من الناس لكى يأتوا الى هذا المكان.



(شكل ٤-٣٥) صورة لأحد محلات صنع الخيام والتى تميز المنطقة وتجعلها مركز جذب خاصة للسياح

وبالنسبة لعناصر الجذب الفراغى فنجد أن الفراغ الواقع جنوب باب زويلة والذى يعد جزءا من منطقة الدراسة هو عبارة عن ساحة واسعة يتم بها العديد من الأنشطة التجارية من بيع وشراء كما أنها تمثل المكان المتسع الذى يتجمع فيه الناس بعد أداء الصلاة مما يؤدى الى ظهور احتكاك اجتماعى ثقافى بين الناس.

أما ما تتميز به المنطقة من مبانى هامة فهى متمثلة فى بعض المبانى ذات القيمة فيها مثل جامع الصالح طلائع، ووقف رضوان بك وورش العمل القديمة بمنطقة الخيامية وباب زويلة والسقف الخشبى بفتحاته المربعة الصغيرة والذى يعد من أهم الصور البصرية التى تميز تلك المنطقة. (شكل ٤-٣٦ أ، ب)



(ب)



(أ)

(شكل ٤-٣٦) صور لبعض العلامات المميزة بمنطقة الخيامية فنرى فى (أ) السقف الخشبى ذو الفتحات المربعة الصغيرة، وفى (ب) بوابة زويلة

خامسا البوابة وملحقاتها:

تعد منطقة الدراسة أحد نماذج البوابات والتى ذكرت عند تحليل عناصر الصورة البصرية للمناطق الحرفية بالمدن الاسلامية (وذلك فى الفصل الثانى من هذا البحث)، وهى تعد نموذجا للبوابات الواقعة بأسوار المدينة حيث تقع بالسور الجنوبى للقاهرة الفاطمية، وهى تمثل أحد المداخل الرئيسية للمدينة والتى يمر بها طرق المواصلات الرئيسية التى تصل المدينة بغيرها من البلدان.

هذا وتحتوى منطقة الدراسة على النواحى الخاصة بالنموذج الذهنى للبوابة والتى يمكن حصرها فى النقاط التالية :

ناحية الدراسة	الوظيفة
١/ الناحية الانشائية	الهيكل العام للبوابة والذى يحتوى على برجين رئيسيين يصل بينهما ممر علوى، ومئذنتى جامع المؤيد. (شكل ٤-٣٧ أ، ب). (أ) (ب) (شكل ٤-٣٧) كروكى يوضح (أ) مسقط أفقى لباب زويلة، (ب) واجهة البوابة

٢) الناحية الانتفاعية	يمثل الفراغ الموجود أمام البوابة من ناحية شارع أحمد ماهر عنصرا للجذب حيث يستغله أصحاب الحوانيت المطلة عليه والباعة الجائلون فى وضع بضائعهم، وبالتالى تحدث المنفعة لهم وبذلك يمثل هذا الفراغ عنصر جذب لنشاط تجارى كبير يتم فيه.
٣) الناحية الوظيفية	كان الهدف من انشاء البوابات فى العصر الفاطمى هو أن يكون هناك نقاط حراسة تفصل الصفوة (الشيعة الواردين من خارج مصر) عن عامة الشعب (المصريين)، أما فى وقتنا هذا فلا تمثل البوابة سواء قيمة تاريخية ومبنى على قدر كبير من الثراء المعمارى والانشائى.
٤) الناحية (التجارية - الحرفية)	يحتوى الفراغ المرتبط بباب زويلة على العديد من الأنشطة ، فتطل عليه محلات بيع الأحذية ، وبعض المنتجات الجلدية، بالاضافة الى وجود العديد من الباعة الجائلين والذين يساهمون -بجانب وجود السيارات- فى جعل الفراغ على قدر كبير من الضوضاء والزحام. (شكل ٤-٣٨) (شكل ٤-٣٨) صورة توضح الزحام والأنشطة المختلفة بالفراغ الذى يلى البوابة
٥) الناحية الاجتماعية	نظرا لأن المنطقة يتم بها نشاط تجارى كبير، فاننا نجد أن هناك نوعان من العلاقات الاجتماعية التى تنشأ بين أصحاب المحلات وبعض وبين أصحاب المحلات والباعة الجائلين مما يقوى العلاقات، ويجعل هناك ألفة بين مستخدمى المنطقة حيث يمثلون مجموعة متجانسة، فهم يتبادلون الأحاديث وتناقل الأخبار، وأحيانا يساهمون فى فض النزاعات التى قد تنشأ من أصحاب المحلات

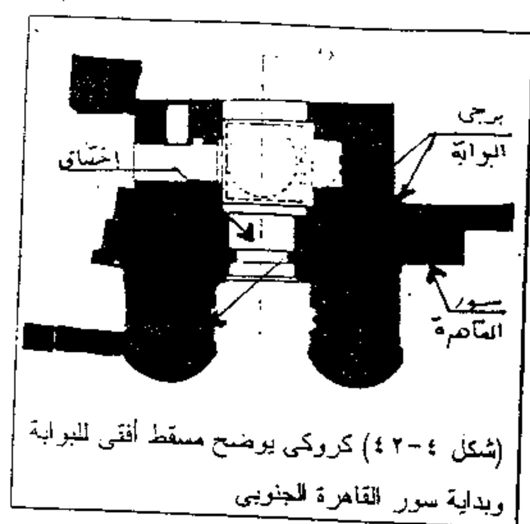
	والمشترين، أو بين المشاه وسائقى السيارات التى قد تتجاوز السرعة فى منطقة مزدحمة لمنطقة الدراسة هذه.
٦) الناحية الحركية	ارتبط وجود البوابة (وخاصة اذا كانت رئيسية بوجود شارع مزدحم خارج المدينة (شارع أحمد ماهر) وهو يمثل شريان حركة رئيسى وهو عادة يكون موازيا للسور الذى تقع به البوابة، وتتم به حركة المركبات والمشاه بمعدل كبير وبأعداد ضخمة، ثم يتم نقل الحركة بعد ذلك الى الفراغ الذى تطل عليه البوابة سواء من خلال البوابة نفسها (كما فى باب الفتوح) أو فى الجهة الأخرى منها (كما هو الحال هنا فى باب زويلة) ويشتمل هذا الفراغ على العديد من الأنشطة ويحدث به تجمهر شديد للناس، ثم يضيق الفراغ ليصبح قصبة هى امتداد للقصبة الرئيسية للمدينة (وهو الجزء المسمى بقصبة رضوان ثم الخيامية ثم المغربلين ......الخ) حيث يقل معدل مرور السيارات، ويزداد أعداد المشاه نظرا للضيق الشديد الحادث فى المسار.

٤/٥/٣/٢الوحدة التصميمية الانتفاعية الأساسية بالمنطقة :

كما ذكرنا فى الجزء الخاص بالدراسة الميدانية للمنطقة الواقعة جنوب باب الفتوح حيث وجدنا أن البوابة بالمدينة الاسلامية قد ارتبطت بنموذج ذهنى وصورة بصرية محددة. وقد احتوى هذا النموذج على عدة عناصر كانت تمثل فيما بينها وحدة تصميمية ارتبطت دائما بتواجد بوابة المدينة.

وبالنسبة لباب زويلة والخيامية وقصبة رضوان فان هذه المنطقة تشتمل على أكثر من مجموعة من مكونات النموذج الذهنى نظرا لاحتوائها على البوابة بعناصرها و مكوناتها المختلفة وكذلك المسار (قصبة رضوان والخيامية) بجوانبه المختلفة، والتى يمكن ايضاحها جميعا فى الجدول التالى:

رقم المجموعة	عناصر المجموعة	الرسم التوضيحي
المجموعة الأولى (محـلات مطلـة على فراغ)	• شارع رئيسى مزدحم (شارع أحمد ماهر) . • اختناق ضيق من خلال برجى البوابة . • فراغ كبير تطل عليه المحلات وتتم به أنشطة تجارية عديدة من خلال تواجد العديد من الباعة الجائلين . • بداية امتداد قصبة المدينة .	(شكل ٤-٣٩) كروكى يوضح مسقط أفقى للفراغ الذى يلى البوابة
المجموعة الثانية (محـلات تطـل على مسار) مبنى مميز يطل على الساحة	• وحدة متكررة هى (المحل) تتكرر على امتداد القصبة المغطاة .مسجد الصالح طلائع وهو يطل على الفراغ الرئيسى للبوابة. • ارتفاع مستوى الشارع على مر الزمن.	(شكل ٤-٤٠) كروكى لجزء من المسار يوضح المحلات المتراصة على جانبيه
المجموعة الثالثة مبنى مميز يطل على الساحة	• مسجد الصالح طلائع وهو يطل على الفراغ الرئيسى للبوابة. • ارتفاع مستوى الشارع على مر الزمن .	(شكل ٤-٤١) كروكى يوضح مسقط أفقى لجامع الصالح طلائع والفراغ المطل عليه
المجموعة الرابعة العنصر الانشائى	• برجى البوابة بينهما اختناق يتم من خلاله الدخول والخروج من والى قصبة القاهرة الفاطمية (شارع المعز)ويحملان مئذنتى جامع المؤيد .	

	• سور المدينة (السور الجنوبي للقاهرة) . • السقف الخشبي الذي يغطي منطقة الخيامية وهو يحتوى على فتحات صغيرة مربعة .	 (شكل ٤-٤٢) كروكي يوضح مسقط أفقي للبوابة وبداية سور القاهرة الجنوبي

٤/٥/٣/٣ العلاقة بين مكان العمل والسكن بالمنطقة :

كما ذكرنا في الفصل الثالث فإن العلاقات التبادلية بين مكان التصنيع (الورشة)، ومكان العرض ومكان السكن الخاص بالحرفي كانت ذات أهمية بالغة في تحديد التشكيل المعماري والعمراني للمنطقة الحرفية.

وبالنظر إلى (شكل ٢-١٠) الذي عرضناه في الفصل الثاني عند دراستنا للجوانب العمرانية من ملامح تشكيل المناطق الحرفية بالمدن الإسلامية فإننا نجد أن منطقة قصبة رضوان والخيامية تشابه إلى حد كبير منطقة صناعة المشغولات المعدنية الواقعة بخان الخليلي من حيث وجود ربوعا سكنية تعلو ورش صناعة الخيام.

ونجد أنه نتيجة لهذه الوحدة في السكن والمهنة فقد نشأ مجتمع صغير تجمعه علاقات من الألفة والتكاتف. كما أدى ذلك إلى تسهيل دور الدولة في الإشراف على هذه الفئة – وغيرها من الفئات في المجتمع – حيث ينتخب فرد منها لكي يكون شيخا لطائفة الحرفيين الذين يعملون في صناعة الخيام، كما أن هذا الفرد أحيانا كان يلعب دور شيخ الحارة، وبالتالي فقد كان هو المسئول عن حل مشاكل الطائفة الحرفية وكذلك مشاكل سكان الحارة.

٦/٤ تحليل ومقارنة المناطق التفصيلية:

بعد الدراسة التى قمنا بها فى هذا الفصل من تحليل ورصد للعلاقات والملامح العمرانية الموجودة فى مناطق الدراسة وهى (منطقة جنوب باب الفتوح ومنطقة خان الخليلى ثم منطقة الخيامية وقصبة رضوان)، يجدر بنا أن نقارن ما توصلنا اليه من نتائج لكى يسهل علينا تحديد أوجه التشابه والاختلاف بين هذه المناطق حيث نجد أن هناك نوعيات أنشطة مختلفة تتم فى كل منطقة منهم، كما نجد أن هناك علاقات متنوعة بين مكان التصنيع والبيع والسكن بكل منهم بالاضافة الى اختلاف موقع كل منطقة واختلاف علاقتها بالبوابات الرئيسية للمدينة . ويمكن ايضاح تلك الفروق فى الجدول التالى:

أوجه المقارنه	جنوب باب الفتوح	خان الخليلى	قصبة رضوان والخيامية
١) نوعية النشاط	النشاط السائد هو بيع البصل بالاضافة الى وجود بعض المحلات لبيع الأطعمة والأدوات المنزلية.	النشاط السائد هو بيع المشغولات المعدنية، بالاضافة الى بعض المنتجات الجلدية والملابس المطبوعة بزخارف فرعونية وإسلامية.	النشاط السائد هو بيع وصناعة الخيام ومستلزماتها، بالاضافة الى بيع الأحذية وبعض الأطعمة ومحلات البقالة.
٢) الموقع وعلاقته بالقصبة.	تعد المنطقة هى بداية القصبة الرئيسية للمدينة (شارع المعز) من ناحية السور الشمالى للمدينة.	تقع منطقة الدراسة بالقرب من القصبة الرئيسية للمدينة حيث تتعامد عليها ولاتطل عليها مباشرة.	تعد المنطقة هى بداية أول امتداد حدث فى القصبة الرئيسية للمدينة فى اتجاه الجنوب من ناحية باب زويلة.
٣) العلاقة ببوابات المدينة الرئيسية.	المنطقة ملاصقة لباب الفتوح (البوابة الشمالية للقاهرة الفاطمية).	تعد منطقة الدراسة ليست على علاقة مباشرة ببوابات المدينة الرئيسية، وإنما تقع فى قلب المدينة القديمة (القاهرة الفاطمية).	المنطقة ملاصقة لباب زويلة (البوابة الجنوبية للقاهرة الفاطمية) وهى تعد الاتصال الذى حدث بين عواصم مصر القديمة (العسكر والفسطاط والقطائع) ومدينة القاهرة

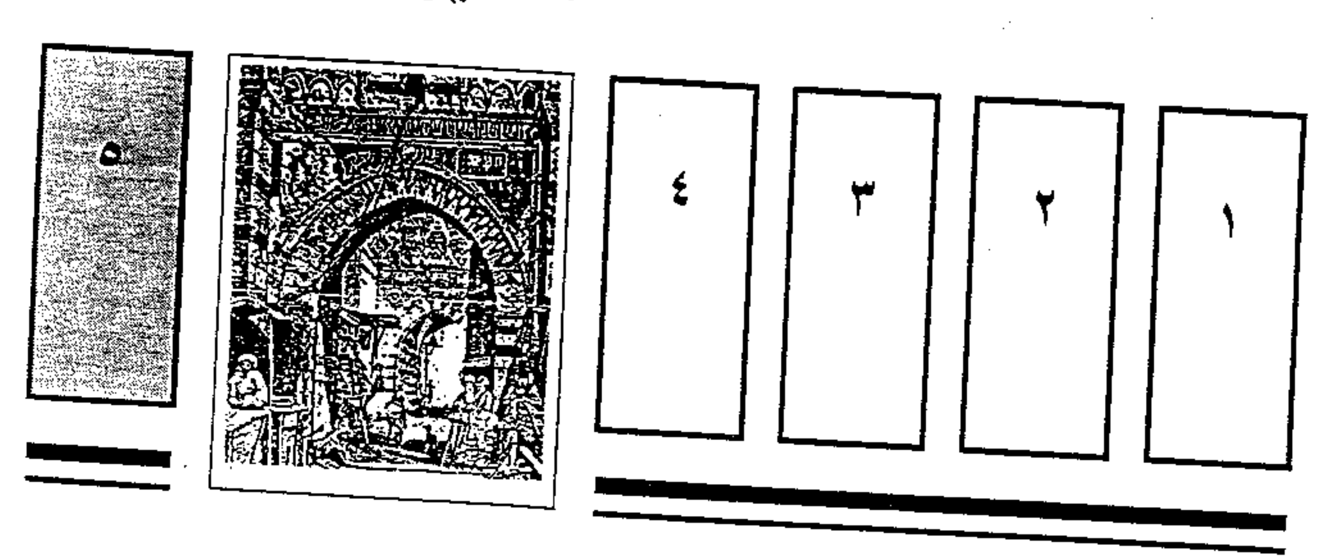
			الفاطمية.
٤) علاقة مكان التصنيع بمكان البيع.	تعد السلعة الأساسية التى تباع بالمنطقة على غير حاجة لمكان تصنيع وانما الى مكان تخزين حيث تستخدم الأسطح التى تعلو المحلات كمخازن وتستخدم بعض المحلات المجاورة كمخازن فى الدور الأرضى أيضا.	يحتوي المحل على مكان البيع ومكان التصنيع أيضا.	بالنسبة للجزء الخاص بصناعة الخيام فان مكان التصنيع هو نفسه مكان البيع والعرض حيث تعتمد الصناعة على بعض الأدوات الأولية كالقماش والابرة والخيوط وتستغل واجهات المحل فى عرض المنتجات بتعليقها عليها.
٥) علاقة مكان السكن بمكان البيع	ليس هناك تقارب بين مكان السكن والبيع.	ليس هناك تقارب بين مكان السكن والبيع.	ليس هناك تقارب بين مكان السكن والبيع.

٧/٤ خلاصة الفصل الرابع:

من الدراسة التحليلية التى تعرضنا لها فى هذا الفصل نجد أن هناك أنماطا عديدة من المناطق الحرفية والأسواق والتى تقع فى نطاق المحيط العام لمنطقة الدراسة، والتى تختلف عن بعضها من حيث تشكيلها المعمارى والعمرانى وطبيعة النشاط بها. وقد أدى هذا التعدد إلى وجود صعوبة فى اختيار عينات الدراسة مما جعلها تخضع لبعض الأسس والمبادئ فى اختيارها. ومن الجدير بالذكر أن المناطق الثلاث التى تم اختيارها (وهى بترتيب تاريخ تكوينها منطقة جنوب باب الفتوح، منطقة خان الخليلى، منطقة الخيامية وقصبة رضوان) بينها نقاط تشابه عديدة، وكذلك نقاط اختلاف، لذا فقد اختلفت عناصر الصورة البصرية والوحدة التصميمية الانتفاعية لكل منهم فى بعض النواحى، وتشابهت فى بعض النواحى الأخرى.كذلك نجد أنه فى بعض العصور السابقة كانت هناك علاقة وثيقة بين مكانى السكن والعمل للحرفيين والتجار، أما فى عصرنا الحالى فإن مكانى السكن والعمل ليسا على اتصال مباشر بل بينهما تباعد مما أدى إلى حدوث خلل فى قدرة تلك المناطق على أداء وظائفها. ويقودنا ذلك إلى العديد من النتائج الهامة للبحث، والتى نصيغ منها بعض التوصيات سوف نطرحها فى الفصل التالى.

الفصل الخامس

النتائج والتوصيات



٥/١ مقدمة الفصل الخامس:

بعد الدراسة التحليلية التى عرضناها فى الفصل الرابع، ومن خلال دراستنا النظرية فى الفصول التى تسبقه (الأول، الثانى، الثالث) توصلنا إلى العديد من النتائج التى سوف نعرضها فى هذا الفصل، والتى يمكن استقراء بعض الملامح والخصائص المميزة لتشكيل المناطق الحرفية بمصر الإسلامية فى فترة البحث.

ومن خلال تلك النتائج فسوف نصيغ بعض التوصيات فى الناحيتين العمرانية والغير عمرانية.

٥/٢ النتائج :

من الدراسة التى تعرضنا لها فى هذا البحث توصلنا الى العديد من العوامل التى أدت الى نجاح المجتمع الحرفى فى الفترة منذ بداية عهد الفاطميين وحتى نهاية عهد المماليك حيث زخرت تلك الفترة بنجاح باهر فى مجالى الصناعة والتجارة. ويمكن ايضاح تلك العوامل من خلال الجزئين النظرى والتطبيقى الذين اشتمل عليها البحث كما يلى:

٥/٢/١ نتائج الجزء النظرى:

ويشتمل هذا الجزء على الفصول من الأول الى الثالث والذى تم فيهم التعرض لدراسة العمارة والعمران بالمدن الاسلامية بصفة عامة والمناطق المركزية والحرفية بصفة خاصة ثم تطرقنا لدراسة المناطق الحرفية بمصر الاسلامية على وجه العموم. وفى اطار دراستنا هذه توصلنا للعديد من الأسس الخاصة بالملامح العمرانية والغير عمرانية (اقتصادية – اجتماعية – ثقافية – بيئية – دينية) والتى يمكن ايجازها فى النقاط التالية:

(١) أن المدن الاسلامية بصفة عامة (كمدينة فاس وتونس وتطوان وطنجة والجزائر ودمشق والقاهرة) كان يربطها وحدة (Unity) فى ملامح التشكيل العمرانى والمعمارى وذلك نتيجة لوحدة الفكر والاتجاهات والقيم والعادات السائدة فى تلك الفترة.

(٢) أن المناطق المركزية بتلك المدن (وهى مناطق مزاولة جميع الأنشطة الاقتصادية والتجارية والدينية والتعليمية والحرفية) كانت لها نفس السمات والملامح فى مختلف المدن

الاسلامية، مما يوضح بصورة أكثر أن الاحتياجات للأنشطة والخدمات كانت بينها وحدة وتشابة في المدن الاسلامية.

(٣) أنه يوجد تكاملا بين العناصر الثلاثة المكونة للنسيج (كتل - فراغات - مسارات) بما يحقق تشكيلا عمرانيا خاصا بالمدينة الاسلامية، ويتميز هذا التشكيل بأن كل عنصر فيه له دورا هاما فالكتل متناسبه في حجمها وموقعها مع الفراغات التي تطل عليها والمسارات تتعرج أحيانا لتكون انتفاخ يمثل تجمع أنشطة أو تجمهر للناس، وهكذا.

(٤) أن المناطق الحرفية بالمدن الاسلامية كانت تجمعها سمات وملامح عمرانية ومعمارية واحدة وذلك نتيجة لتشابة الأنشطة التجارية ، ونوعيات الأسواق والتي نتجت من تواجد وحدة في الاحتياجات والمتطلبات وظروف تواجد تلك النوعيات من الأسواق والحرف.

(٥) أن الدولة كانت تقوم بتعيين موظفين لهم هيبة لدى الحرفيين فعينت المحتسب والذي كان لديه سلطة المراقبة والعقاب الفوري على كل ما هو خاطيء بالأسواق وعينت مساعد له وهو العريف، وكذلك كانت هناك الرتبة التي تليه وهو ناظر دار الضيافة الذي كان مسئولا عن الأسواق التابعة للديوان السلطاني.

(٦) كان الحرفي ينتمي عادة لنقابة مهنية (Professional Organization) وذلك في مجال عمله حيث تشتمل كل نقابة على طائفة معينه من أرباب الحرف تنتخب من بينها مشرف عليهم يسمى شيخ الطائفة ويكون هو بمثابة همزة الوصل بين الشعب والدولة . كما كان هناك معاونون لشيخ الطائفة ثم يليهم في المرتبة الأسطوات لكل صنعة ثم الصبيان وهي أقل رتبة. كما كان الفرد ينتمي لنقابة أهلية (Community Organization) وذلك في مقر سكنه، والتي تخضع أنماطها للنوعيات المختلفة في الديانة والجنسية والمذهب.

(٧) كانت هناك أسس وقوانين تخضع للشرائع وهي تحدد العلاقة بين المستعملين في المدينة الاسلامية بصفة عامة، وفي منطقة الأسواق بصفة خاصة مثل مبدأ الأسبقية، وحق الانتفاع حيث نرى أن كل منهم كان يحدد المنطقة أو النطاق الذي يتحرك فيه الباعة (Vendors)، الذين لم تكن لهم محلات وإنما كانت تنشأ بينهم وبين أصحاب المحلات نزاعات بسبب حيازة جزء من الطريق والرصيف أمام محلاتهم.

(٨) أن المناطق الحرفية كانت لها صورة بصرية وذهنية مميزة اعتمدت على وجود قصبة رئيسية تصل بين بوابات المدينة ، وتنقسم الى مجموعة من القطاعات المتجانسة يمثل كل منها نموذجا لتجمع حرفى ضخم ، وتحتوى تلك القصبة على العديد من المبانى الهامة وكذلك نقاط التجمع والتى تزخر بتجمهر شديد للناس، وكذلك للأنشطة.

(٩) انعكاس القيم الاجتماعية السائدة فى فترة البحث على المهارة الحرفية وجودة المنتج وظهور فكرة التوارث المهني بين أفراد الأسرة الواحدة أدى الى أن ممارسة الابن لحرفة أبيه تبدأ منذ الصغر وبذلك يتكون جيل جديد على قدر كبير من الوعى بالحرفة ومتطلباتها وبالتالى تزداد جودة المنتجات، ونضمن استمرارية العمل الحرفى دون أن يهرب الصبيان الى العمل فى مجالات أخرى، كما يضمن ذلك استمرارية الحرفة بنفس التقنية وفى نفس مكان نشأتها وبذلك نحافظ على المناطق التاريخية ذات القطاعات المتجانسة بنفس طابعها ووظائفها وذلك بشرط أن نوقف من التعديات التى يقوم بها المستعملون والتى تؤدى إلى حدوث خلل فى نظام العمل أو الطابع العام للمنطقة.

(١٠) ظهرت فى مصر أنماط مختلفة من الأسواق والحرف وقد كون كل منها على حدة قطاعا متجانسا قد يتجاور أو يتقارب أو يتباعد عن غيره من القطاعات، وذلك وفقا لمدى التكامل أو التنافر الموجود بين نوعيات السلع المباعة فى تلك القطاعات.

ويمكن تقسيم تلك الأسواق والصناعات الى :

- أسواق خاصة بالمآكل والمشارب
- أسواق خاصة بصناعة النسيج
- أسواق خاصة بالمصنوعات الجلدية
- أسواق خاصة بصناعة المعادن
- أسواق خاصة بصناعة الزجاج والخزف والأخشاب
- منشآت مجمعة (كالوكالات)

وقد أثر هذا التعدد فى أنماط الحرف والمنتجات على التشكيل العام للمبانى فظهرت أنماط عديدة للمبانى المتعلقة بمزاولة نشاطى الصناعة والتجارة ويمكن ايضاح تلك النماذج كما يلى:

- نموذج الفناء المفتوح (كالوكالات)
- نموذج التوزيع الخطى (كالشوارع التجارية)

- نموذج المربعات (كالمناطق الحرفية الغير شريطية)
- نموذج السقائف (كالقيساريات)

(١١) ارتبط الحرفى بمقر عمله نظرا لارتباط هذا المقر فى كثير من الأحيان بمقر سكنه، حيث كانت فى بعض الأحيان المنازل تعلو ورش العمل كما هو الحال فى خان الخليلى بمصر، وفى نماذج الوكالات المتعددة . كما ارتبط مكان التصنيع بمكان البيع والعرض، وكان لايفصلهما حاجز وانما كان رواد المحل يشاهدون المنتج فى مراحل تصنيعه، حيث لم يقلل ذلك من حجم المنتجات ولا من جودة المنتج وكان ذلك بسبب ضيق الوحدة المتكررة المستخدمة لمحل ومكان البيع.

٥/٢/٢ نتائج الجزء التطبيقى:

ويشتمل الجزء التطبيقى على الفصل الرابع والذى تم فيه التعرض للدراسة الميدانية لحالة مصر الاسلامية بصفة عامة ثم التركيز على دراسة ثلاث مناطق تفصيلية تمثل كل منها قطاعا متجانسا على حدة حيث درسنا منطقة جنوب باب الفتوح حيث يتركز فيها بائعى البصل، ثم منطقة خان الخليلى حيث يتركز بائعى المشغولات الذهبية والفضية، ثم منطقة قصبة رضوان والخيامية حيث يتركز صانعى الخيام ومستلزماتها.

ومن خلال تلك الدراسة توصلنا للعديد من النقاط الهامة نطرحها بايجاز كما يلى:

(١) أن كل منطقة من مناطق الدراسة التفصيلية كانت تحتوى على نموذج متكرر (Prototypic Unit) لوحدة تصميمية انتفاعية أساسية (Basic Design Unit) كانت تمثل النواة التى تتكون منها هذه المنطقة، وكانت تختلف مكونات تلك الوحدة باختلاف النموذج وتعتمد الوحدة فى أغلب الأحيان على المحل الذى تزاول فيه الحرفة، وعلى علاقته بما حوله سواء مسار أو فراغ أو مبنى هام (مسجد) أو بعض الأنشطة والتجمعات التى تتم حوله والتى من أهمها تواجد العديد من الباعه الجائلين الذين يستحوذون على جزء من الطريق وفقا لمبدأ الأ سبقية.

(٢) أن معظم الاضافات التى قام بها المستعملون أو قامت بها الدولة فى العصر الحديث كانت من أهم أسباب حدوث الخلل فى الأداء المهنى وتقليل المهارة الحرفية، كما أن هروب

الناس من الصناعات اليدوية ومزاولة الحرف القديمة، أدى الى عدم تواجد فكرة التوارث المهنى، وبالتالى قلت جودة المنتج، وقل المنتج نفسه لقلة الأيدى العاملة.

كما أن ظهور تلك النوعيات من المبانى الحديثة، والاضافات العصرية للمبانى القديمة (مواد – ألوان – دهانات .....الخ) أدى الى تشويه الطابع العام للمناطق الحرفية، وافساد القيمة التراثية للمبانى فى مصر الاسلامية.

(٣) أن المناطق الحرفية بمصر وغيرها من المدن الإسلامية كان لها صورة بصرية مميزة، ومنهج خاص لتحليل عناصرها والتى اشتملت على علاقة بالقصبة الرئيسية، وقطاع متجانس، وحيز مرتبط بنهر الطريق تزاول فيه العديد من الأنشطة، وعناصر جذب عامة، وبوابات (سواء البوابات الرئيسية للمدينة أو البوابات التى تفصل الأحياء السكنية). وأن هذه الصورة لا تشابه الصورة البصرية للمدن الحديثة والتى حلل (Kevin Lynch) فى كتابه (The Image of the City) عناصرها وفقا لتقييمه لبعض المدن الحديثة القائمة.

٣/٥ التوصيات:

من خلال التحليل السابق والنتائج التى أمكن الوصول إليها حول أسلوب أداء العمل الحرفى وطبيعة المناطق الحرفية فى المدن الإسلامية وخاصة مصر فى الفترة منذ بداية عهد الفاطميين وحتى نهاية عهد المماليك، يمكن صياغة بعض الأسس والمعايير التى تصلح كنواة لتكوين مجتمع حرفى ناجح فى وقتنا الحالى. ويمكن تقسيم تلك التوصيات إلى نواحى عمرانية، وأخرى غير عمرانية.

١/٣/٥ توصيات عمرانية:

أولا توصيات على مستوى المنطقة الحرفية:

اعتمدت المجتمعات الحرفية فى نجاحها على مبدأ هام جدا هو وجود "القطاع المتجانس"، حيث أننا وجدنا أن تجميع الحرفة الواحدة فى مكان محدد يقصده الناس يسبب فائدة كبيرة أهمها تنوع المنتج وتعدده فى المحلات، وبالتالى سهولة ضبط الغش فى المنتجات، وأن ذلك يوفر على المشترين مسافات سير كبيرة بين الأسواق المختلفة حيث يتم تجميع

السلعة الواحدة فى مكان واحد، كما يؤدى ذلك سهولة عملية مراقبة الأسواق، حيث يكون لكل سوق مراقب وبالتالى يمكن التحكم فى جودة المنتج. ونظرا لاتساع المدن وكبر عروض الشوارع وصعوبة حركة المواصلات فى وقتنا الحالى فإن هذا التجميع للسلع يفيد إلى حد كبير فى تسهيل حركة المشاة وحركة المركبات، وذلك ما إذا روعى أن تكون مناطق السير فى هذه الأسواق للمشاة فقط وأن يتم عمل مواقف سيارات مجمعة تخدم هذه الأسواق، أو أن تكون الخدمة بالسيارات مقننة فى خلال ساعات معينة من اليوم.

ثانيا توصيات على مستوى الوحدة التصميمية الانتفاعية الأساسية:

ويقصد بها الوحدة المتكررة التى يتكون منها القطاع المتجانس وتعتمد فى تكوينها الأساسى على المحل الذى يزاول فيه العمل الحرفى، وعلاقته بما حوله (مسار، فراغ، مبنى، مخزن علوى، مكان للسكن). وقد وجد أن هذه الوحدة لها دور ناجح وفعال فى تحقيق جودة عالية حيث تسهل عملية الإنشاء كما تحقق وحدة فى الطابع وذلك إذا ماتم توحيد معالجات الواجهات وأيضا إذا ما روعى عمل دمج بين مساحة العمل ومساحة البيع وذلك بغرض زيادة عملية البيع حيث أن رؤية عملية التصنيع فى حد ذاتها تعتبر من أهم عوامل الجذب للمشترين حيث يرون المراحل المختلفة التى يمر بها المنتج قبل أن يروه فى شكله النهائى.

كما يجب أن يراعى فى هذه الوحدة المتكررة أن يكون لها أبعاد تتلاءم مع متطلبات العصر حيث يوصى بزيادة مساحتها عما كان موجودا فى العصور القديمة حيث كان المحل مربعا يتراوح طول ضلعه من (٢-٤ أقدام)، والذى يعتبر فى وقتنا الحالى مساحة ضيقة جدا. كما يجب أن تحقق هذه الوحدة المرونة والقابلية للنمو والامتداد.

- كما يجب أن يتوافر فيها الحفاظ على الطابع حيث يتم وضع اشتراطات صارمة لمعالجات واجهات المحل بما يضمن عدم تشويه الطابع العام للمنطقة الحرفية، ويضمن كذلك تكرار الوحدة (المحل) على امتداد المسار أو المنطقة بطريقة واعية وبدون معوقات، وأن يراعى فيها تحقيق احتياجات كل سلعة حيث نجد أن بعض المنتجات تحتاج فى تصنيعها إلى مساحة أكبر لوضع أدوات التصنيع، وفى هذه الحالة يتم دمج وحدتين معا لتكوين محل مساحته تعادل ضعف المساحة المستخدمة كوحدة تصميمية.

٥/٣/٢ توصيات غير عمرانية:

أولا توصيات على مستوى الناحية الاجتماعية والثقافية:

من أهم العادات الاجتماعية التي كانت سائدة فى مصر الإسلامية والتى يجب الأخذ بها مبدأ توارث الحرفة، حيث يضمن انتقال الخبرة كاملة من جيل إلى جيل، كما ينتج عنه زيادة المهارة الحرفية وذلك لأن تعلم الحرفة منذ الصغر عن الآباء والأجداد يزيد من درجة اتقان الفرد لها وإلمامه بكل عنصر بها.

لذا فمن الأمور التى نوصى بها تشجيع الصناعات الصغيرة، والتى بدأت الدولة بالتعاون مع الصندوق الاجتماعى فى الأخذ بها عن طريق عمل مشاريع الأسر المنتجة، ولكن يجب استمرار وزيادة الدعم المقدم لها وفتح أسواق جديدة وخاصة أسواق التصدير، وذلك عن طريق الدعاية لها وعمل معارض وأماكن ثابتة للتصنيع والبيع[1] يجاورها أماكن سكن هذه الأسر سواء فى المدينة القديمة أو بجوارها أو فى مناطق أو مدن جديدة.

ولتحقيق أكبر كفاءة فى الإنتاج فإن ذلك يكون عن طريق التقارب بين أفراد الطائفة المهنية الواحدة، فتكون أماكن عملهم متجاورة وكذلك أماكن سكنهم لكى تنشأ بينهم علاقات اجتماعية تساعد على زيادة هذا التقارب، هذا بالإضافة إلى العلاقات التى بينهم فى مجال عملهم.

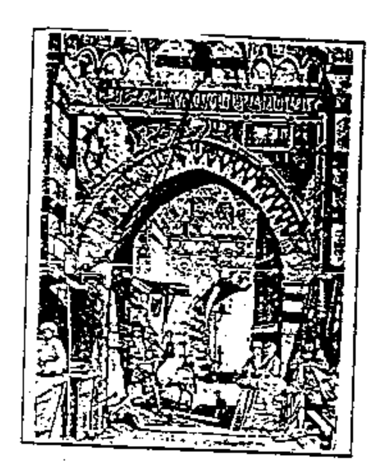
ثانيا توصيات على مستوى النواحى الإدارية:

المقصود بالنواحى الإدارية هنا إعادة نظم كانت سائدة فى العمل الحرفى بالمدينة الإسلامية حيث يتم تكوين طوائف حرفية تضم كل منها مجموعة من الحرفيين الذين يزاولون عمل واحد ويشاركون فى إنتاج نوع واحد من السلع، والعمل على تقوية دور النقابات بحيث يكون لها دور فعال فى حل مشاكل الحرفيين الذين ينتمون لها، كما تتولى تحقيق طلباتهم واحتياجاتهم عن طريق اتصالات رئيس الطائفة بمندوبى الدولة الذين تعينهم بغرض الإشراف على الأسواق والمناطق الحرفية والتجارية.

[1] لمزيد عن دور الجمعيات الحكومية التى تدعم الحرف التقليدية أنظر الملحق. ص ١٦٣-١٦٧

الفصل السادس

المراجع والملاحق



١/ المراجع العربية :

ابراهيم أحمد العدوى. "مصر الاسلامية درع العروبة ورباط الإسلام"، هيئة الأثار المصرية، القاهرة، ١٩٩٢.

ابراهيم على طرخان. "مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة"، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٠.

ابن اياس. "بدائع الزهور فى وقائع الدهور" (الجزء الرابع) ، مطبعة بولاق، القاهرة ١٨٩٤.

ابن بطوطة، أبو عبد الله محمد بن ابراهيم اللوائى. "الرحلة" (الجزء السادس)، دار بيروت للطباعة والنشر، ١٩٨٠.

أحمد رأفت الزغبى. "احياء التراث المعمارى والتخطيطى لقاهرة الفاطميين"، دكتوراه غير منشورة، كلية الهندسة، جامعة عين شمس، القاهرة، ١٩٧٣.

اسماعيل محمد أبو العينين. "مصر الاسلامية فى العصور الوسطي"، القاهرة، ١٩٧٤

اعتماد علام. " الحرف والصناعات التقليدية بين الثبات والتغير"، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ١٩٩١.

أكرم حسن العلبى. "خطط دمشق"، دار الطباع للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ١٩٨٩.

أندريه ريمون. "فصول من التاريخ الاجتماعى للقاهرة العثمانية "، مؤسسة روزاليوسف، القاهرة، ١٩٧٤.

البلاذرى، أحمد بن يحيى بن جابر. "فتوح البلدان"، مطبعة الموسوعات، ١٩١٠.

السبكى. "معيد النعم ومبيد النقم"، (تحقيق محمد على النجار، أبو زيد شلبى، محمد أبو العيون)، القاهرة، الخانجى، ١٩٤٨.

القران الكريم."سورة النور"، حزب ٣٦، الاية ٢٧

القلقشندى، أحمد بن على بن عبد الله. "صبح الأعشى فى صناعة الانشاء"، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٣٣١ هـ.

المقريزى، تقى الدين أحمد بن على. "السلوك لمعرفة دول الملوك"، مركز تحقيق التراث بدار الكتب والوثائق القومية،القاهرة، ١٩٧١.

المقريزى، تقى الدين أحمد بن على. "المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والأثار"، المعروف ب "الخطط المقريزية"، مجلدان، دار صادر، بيروت.

توفيق أحمد عبد الجواد. "العمارة الاسلامية فكر وحضارة"، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٧.

جميل عبد القادر أكبر. "عمارة الأرض فى الاسلام"، دار القبلة للثقافة الاسلامية، جدة، ١٩٩٢.

جومار. "وصف مدينة القاهرة وقلعة الجبل"، ترجمة أيمن فؤاد سيد، مكتبة الأنجلو، القاهرة، ١٩٨٨.

حسن ابراهيم حسن. "تاريخ الدولة الفاطمية فى المغرب ومصر وسوريا وبلاد العرب"، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٨٠

حسن عليوة. "دراسة لبعض الصناع"، القاهرة، ١٩٦٢

حسين مصطفى رمضان. "طوائف الحرفيين ودورهم الاقتصادى والاجتماعي والثقافي في مصر الاسلامية"، ماجستير غير منشور، كلية الأثار، جامعة القاهرة، القاهرة، ١٩٨٧.

راشد البراوى. "حالة مصر الاقتصادية في عهد الفاطميين"، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٤٨.

سامح نجيب وهبه : "ثقافة الجماعة والاحتياجات الفراغية والمحيط العمراني" ماجستير غير منشور، هندسة القاهرة، القاهرة ، ١٩٩٥.

سعيد عبد الفتاح عاشور. "المجتمع المصرى في عصر سلاطية المماليك"، القاهرة ١٩٦٢.

سعيد عبد الفتاح عاشور. " مصر فى عصر دولة المماليك البحرية "، مكتبة النهضة، القاهرة.

صالح لمعي. "التراث المعمارى الاسلامي في مصر"، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٨٤.

صفى على محمد. "مدن مصر الصناعية في العصر الاسلامي الى نهاية عصر الفاطميين"، دكتوراه غير منشورة، كلية البنات، جامعة عين شمس، القاهرة، ١٩٨٥.

عاصم عبد الرحمن. "مراكز الصناعات الاسلامية من الفتح العربي وحتى مجيء الحملة الفرنسية"، القاهرة، ١٩٨٠

عبد القادر الريحاوى. "العمارة فى الحضارى الاسلامية"، مركز النشر العلمى، جامعة الملك عبد العزيز، جدة، ١٩٩٠.

عبد الله محمد لطفى. "دراسة تحليلية لخصائص المجتمعات الحرفية التاريخية في العواصم المصرية في العصور الوسطى الاسلامية من الفتح العربى وحتى الفتح العثمانى"، ما جستير غير منشور، كلية التخطيط الاقليمى والعمرانى، جامعة القاهرة، القاهرة ، ١٩٩٤.

عزة حسين رزق : "الخصائص البصرية للمدينة الاسلامية فىفترة العصور الوسطى"، ماجستير غير منشور، كلية الهندسة، جامعة القاهرة، القاهرة، ١٩٧٧.

علماء الحملة الفرنسية. "وصف مصر" (الجزء الأول)، ترجمة زهير الشايب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٠.

قاسم عبده. "دراسات في تاريخ مصر الاجتماعي في عصر سلاطين المماليك"، القاهرة، ١٩٧٦

قتيبة الشهابي. "أسواق دمشق القديمة ومشيداتها التاريخية"، ١٩٩٠.

كمال الدين سامح. "العمارة الاسلامية في مصر"، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩١.

محمد أمين محمد. "عمارة المجمعات المعمارية الاسلامية المتكاملة حتى نهاية العصر المملوكي"، ماجستير غير منشور، كلية الهندسة، جامعة القاهرة، القاهرة ١٩٨٧.

محمد بدر الدين الخولي. "المؤثرات المناخية والعمارة العربية"، جامعة بيروت العربية، بيروت، ١٩٧٥.

محمد حبشي. "الصناعة ودورها في تشكيل المدينة الاسلامية"، مجلة البناء، العدد ٦٧ ، يوليو - أغسطس ١٩٩٢.

محمد محمد أمين وليلى على ابراهيم. "المصطلحات المعمارية في الوثائق المملوكية"، دار النشر بالجامعة الأمريكية، القاهرة، ١٩٩٠.

مصطفى محمد جاب الله الجنيدي. "البيت الاسلامي في العصور الاسلامية المختلفة وأثره على العمارة المعاصرة في مصر"، كلية الهندسة، جامعة القاهرة، القاهرة، ١٩٧٦.

يحيى محمد عثمان شديد. "مستقبل المسكن في المدينة"، ماجستير غير منشور، القاهرة.

نزار الصياد Streets of Islamic Cairo

٢/ المراجع الأجنبية :

Abou - Lughod , Janet , "Caire : 1001 Years of the City Victorious", princeton University press , princeton , New Jersey , 1971 .

AL - Soyyad , N. , "Streets of Islamic Cairo" , Massashusetts Institute of Technology , Massashusetts , 1981 .

Lane poale , S. , "Social Life in Egypt: A Description of the Country & its People" , J.S virtue & Co., London, N.D.

Lapidus , I.M. , "Moslem Cities in the Later Middle Ages " , Cambridge University press , Cambridge , N.D

Lynch , K. , "The Image of the City " , M.I.T. press , Cambridge , Massechvsetts & London , England , 1960 .

Marcel , Clarget ," le Caire ", Tomei I , 1934

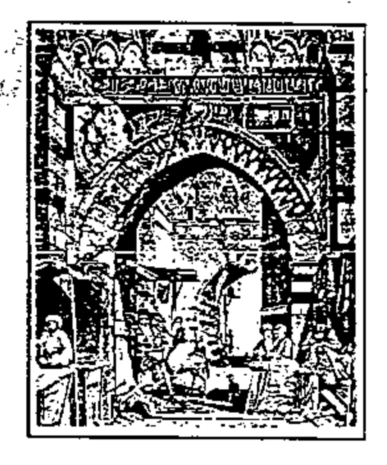
Raymand , A., "The Great Arab Cities " , New York University press, New York & London , 1984 .

الملاحق:

- مقالات نشرة جمعيةالارتقاء بالبيئة العمرانية، العدد الثالث، ديسمبر ١٩٩٥- (الحرفية والصناعات الصغيرة كمدخل للتنمية البشرية)

* أ./ على فهمى: " **تنشيط الصناعات الحرفية فى مصر**"
* أ.د/ أحمد نوار: "**حول الفنون الحديثة والفنون الحرفية التراثية**"
* أ./ عز الدين نجيب: "**أصالة ورؤيا جديدة للمراكز الحرفية**"
* أ./ فاروق حسنى: "**حديث عن الهوية المصرية فى الفنون والحرف التقليدية المحلية**"

- مقال أ./ عبد الرحمن عقل: "**النفى الإجبارى يهدد الحرفيين المهرة**"، جريدة الأهرام، (٧-٧-١٩٩٥)



ي فهمي
ط الصناعات الحرفية فى مصر

نصيب مجتمع الصناعات الحرفية فى مصر ين كبيرتن خلال الخمسة قرون الماضية ، ونعل الأولى من هاتين النكستين أن تكون ما عمد إليه ن «سليم العثمانى» بعد غزوه لمصر (١٥١٧) من مصر وبخاصة «القاهرة المحروسة» من أمهر ين وأرباب الصناعات الدقيقة وتهجيرهم قسرا إلى انة ، لضخ هذا التيار الدافق من الفنون الصناعية لة فى عاصمة الخلافة ، بعد إنبهار السلطة العثمانية ية أنذاك بهذا الزخم الفنى الرائع الذى إزدانت به فى عهود ما قبل الغزو العثمانى .

وعلى الرغم من هذا التفريغ القسرى لمصر من يا وحرفييها ذوى السمعة الفنية العالية فى العالم يط ، تشير العديد من المصادر التاريخية إلى ان ر سرعان ما إستعادت عافيتها الفنية (إن جاز بير) ، وظهرت أجيال جديدة من الكواكب الزاهرة ة فى سماء هذه الصناعات الفنية الدقيقة .

- بيد أن الضربة القاضية للصناعات الحرفية كانت الداخل ، حينما قرر العاهل محمد على سياسة تحديث ر، بدون التفات كبير لأهمية هذا التراث الخلاق الذي ل جيل بعد جيل بالرغم مما تعرض له من أزمات ارث . فقد رأى هذا العاهل العظيم أن إلغاء الطوائف نية أمر مكمن وضرورى لسياساته التحديثية فقامت ناعات الحديثة «بالمعنى الأوروبي في القرن التاسع ر ، على أنقاض الصناعات الحرفية التقليدية في ر الحديثة . مع أننا نرى – بعد هذه الفترة الزمنية ويلة – أن الصناعات الكبرى كان يمكن أن تشاد وتنمو توازي مع الصناعات الحرفية التقليدية .

- ومما يساند رأينا – بوضوح – أن خلفاء «محمد ى» ، قد عمدوا الى إنشاء بعض المعاهد التعليمية – ما بعد – لخلق وتطوير كوادر فنية تزود الصناعات برى كان يمكن أن تشاد وتنمو بالتوازي مع الصناعات رفية التقليدية بالفنانين والفنيين ممن درسوا في هذه عاهد الحديثة .

- وعلى الرغم من هاتين النكستين الكبيرتين اللتين أشرنا إليهما فإن روح التواصل بين أجيال فنانى وفنيي الصناعات الحرفية التقليدية ظل بها بعض الوهج ، نتيجة التدريب الفني الوراثي في بعض العائلات وفي بعض أحياء المدن المصرية وبخاصة مصر .

- غير أن هذه الروح ذات الوهج المحدود ، لم تكن لتستمر أجيالا عديدة بدون رعاية جادة من الأجهزة المعنية ، ومن أسف أن هذه الرعاية المنشودة لم تتحقق بما فيه الكفايه ، ومن ثم بدء هذا الوهج المحدود يخبو شيئا فشيئا ، نتيجة عوامل الهجرة الامخططة إلى الأقطار العربية النفطية سعيا وراء رزق أكثر وفرة . ولم تفلح المدارس والمعاهد الصناعية والفنية فى سد هذه الثغرة الموجعة لأسباب تتعلق بتدهور العملية ككل مصر خلال العقود القلائل الفائتة .

- ومع أنه لايمكن التقليل من شأن جهود مخلصة لبعض الرواد العظام والمستنيرين ، في محاولة خلق مدارس تدريبية (من أمثال ويصا واصف وغيره) ، فإن هذه الجهود محدودة بحكم أنها لاتنتظم في إطار عام ولاتصب فى تيار عام كبير كما ان هذه الجهود محدودة من جهة أخرى بحياة الرائد المستنير.

- ومما يضاعف من تداعيات الموقف الصعب الراهن الذى تواجهه الصناعات الحرفية التقليدية فى مصر ، ما يتواتر من تقارير عديدة مؤكدة عن دخول اسرائيل حلبة المنافسة فى هذا الميدان على الأرض الفلسطينية المحتلة ، وفق خطط تبدو مدروسة على نحو جيد.

- ومن هنا سنحاول إثارة بعض الأفكار التي نراها جديرة بالتأمل وبالمناقشة نحو تطوير الصناعات الحرفية فى مصر المعاصرة .

أفكار أولية للمناقشة والحوار

- لعل من المفيد أن نستحضر بعض التجارب الناجحة في مصر الحديثة في ميادين عديدة ، قادتها بعض الجمعيات الأهلية منذ أواخر القرن التاسع عشر وحتى منتصف القرن العشرين ، بالإضافة إلى بعض التجارب

...نية الناجحة خلال هذه الفترة ذاتها . ولقد حدث هذا ... أصعدة شتى ، من بينها التعليم والصحة والتنمية ... ية بخاصة .

- وإذ تكون الصيحة السائدة حاليا هي التخصخصية ، ... حاب الدولة من العديد من المجالات ، فإن دراسة ... ية لما حققته حركة الجمعيات الأهلية والحركة ... ونية وتأمل الإيجابيات والسلبيات ، لكفيلة بأن تعمل ... يير ناجحة للقياس بالنقل إلى ميدان آخر ألا وهو ... ن الصناعات الحرفية التقليدية .

- ومن ثم ، يمكن طرح بعض الأفكار التي تتعلق ... اث جمعيات أهليه لتنشيط حركة الصناعات الحرفية ... يدية ، ويمكن أن تنشأ هذه الجمعيات الأهلية المقترحة ... رعاية وزارة الثقافة بهيئاتها المعنية بديلا عن وزارة ... ون الإجتماعية وبعيدا عن وزارة التربية والتعليم . ... هذه الحالة يمكن لهذه الجمعيات الأهلية البازغة أن ... بمسئوليتها في اختيار العناصر الموهوبة من الناشئة ... هذا المجال ورعايتها والعمل على توجيهها وتدريبها ... حلقات دراسية تدريبية فنية .

- ثم يأتي دور حركة تعاونية كفؤة ونشطة ، لخلق ... تنشيط العمل التعاوني في مجالات الصناعات الحرفية ... تقليدية ، ودعم هذا العمل ورعايته ، مع الإسهام في ... سويق التعاوني للمنتج الفني محليا وبالتصدير إلى ... سواق الخارجية ، مع خلق أسواق جديدة بإستمرار .

- هذان الاقتراحان نعرضهما - بإيجاز وبدون ... فصيل - فهما من قبيل الاقتراحات الخام التي تتطلب ... ثير من النقاش الجاد والحوار العلمي حول المبدأ وحول ... فصيل جميعا .

- وبالطبع نحن لانستبعد الدولة من هذا المجال ... بعادا كاملا ، غاية ما في الامر أن الدولة إذ تبنت نهج ... خصيصية - على الرغم مما لنا عليه من تحفظات ... ثيرة بالإعتبار - يمكن أن تكتفي بدور الرعاية ... تربعية لحركة الجمعيات الأهلية الفنية وللحركة ... ونية في مجالات الصناعات الحرفية التقليدية .

- كما نتصور أن تقوم البنوك وروابط رجال الأعمال والغرف الصناعية والتجارية وغير ذلك ، بتقديم الدعم والرعاية لمثل هذه المنظمات الوليدة .

- كما يمكن أن تقدم وزارة السياحة وهيئات التنشيط السياحي ، الدعم والنصح والرعاية كذلك .

- وبالطبع ، ولضمان نجاح مثل هذه التجارب ، يجدر التنبيه إلى أمرين على جانب كبير من الأهمية :

أولهما - أن تبتعد هذه الجمعيات الأهلية والتعاونيات المقترحة عن الأطر والتقاليد البيروقراطية المعوقة .

ثانيهما - أن تتمتع هذه الجمعيات والتعاونيات باستقلال كاف عن الأجهزة البيروقراطية الرسمية واللوائح المعقدة التي تشتهر بها على ألا تتعارض هذه الاستقلالية المنشودة مع إعمال رقابة فعاله ومرنة في آن واحد ، على الموازنة المالية لهذه الجمعيات الأهلية وتلك التعاونيات . وفي هذا الصدد فإن رقابة ذات طابع قضائي رفيع المستوى قد تكون ذات جدوى كبرى ، حتى لايستشرى الفساد في هذه المنظمات .

علي فهمي

مستشار اجتماعي وقانوني

إلى عوالم إنقضى زمانيا ومكانيا ولكنها باقية حية في الذاكرة يضاف إليها وتزداد قيمتها يوما بعد يوم والمتحف له دور هام في حياة الشعوب وله تأثيره المباشر في بناء الوجدان وإرساء جذور خصبة وأصيلة بذاكرة الإنسان لما يحويه من عبقرية إبداعية إنسانية في شتى مجالات الحياة والدلالات الفنية والإبداعية بالمتاحف تعد بمثابة الحجة والمصدر الوحيد للكشف عن تلك القيم والمتحف له دور عميق وهام في تنمية المجتمع وخلق أجيال تحمل ذاكرة الحضارة وتدركها بوعي أيا كان نوعها في الماضي والحاضر والمستقبل فهناك المتاحف الأثرية ومتاحف التاريخ المعاصر ومتاحف التكنولوجيا والعلوم ومتاحف الفلك والفضاء.

ويعد المتحف إستثمارا قوميا.. وتراثا حيا لأمة لا بد من إستثماره قوميا فالإستثمار البشرى هو فى المقام الأول ...ـيد أى مجتمع وركيزه من ركائز الإستثمار الإقتصادى بالإضافة الى أن المتحف مؤسسة تعليمية والمخزون المتحفى حصيلة فنية علمية متشعبة فى مجالات التأثير الثقافى والجمالى والتربوى يضاف إليها المتحف ذخيرة خصبة ترتبط بالمناهج التعليمية التربوية للكبار مثل الصغار فهذا المخزون بمثابة إحياء للذاكرة من جديد ودفعها لمزيد من الإبداع والإنطلاق كما أن للمتحف بعد سياحى.. وعلمى وإعلامى بجانب البعد الفكرى والثقافى والتوثيقى..

وقد تم إفتتاح متحف الفنان محمد ناجى بحدائق الأهرام فى يناير ١٩٩١، ومتحف الفن المصرى الحديث بالجزيرة فى أكتوبر ١٩٩١ ثم أفتتحت دار النسجيات ...ـسمة بحلوان بعد تطويرها فى يوليو ١٩٩٤ ثم جاء بعد ذلك أهم الأحداث فى تاريخ مصر الثقافى وهو إفتتاح متحف محمد محمود خليل وحرمه بالجيزة أكتوبر ١٩... لتتأكد الطموحات فى دعم منابر ثقافية وفنية ... بمثابة التواصل العلمى والحقيقى للحضارة المصرية ... أبهرت العالم فيما مضى وتوقفت عند هذا الحد..

...كان لإحياء الأمة للحفاظ على ذاكرتها وهويتها ومد ...ين التواصل بين هذا الميراث وبين واقع المجتمع ...صر– عبر أجيال جديدة من المبدعين فى كافة مجالات الفنون – هو التحقيق العلمى لأصالة الشعب واستمراريته فى إنتاج الحضارة وغرس الجمال.

ومن هذين المبدأين البسيطين إنطلقت مسيرة التطوير الشامل لمراكز الفنون الحرفية (التقليدية) منذ عدد واحد. بعد أن تحملت وطواها النسيان سنوات طويلة. وكانت خلال الستينات وأوائل السبعينات تنبض بالحياة والإبداع وتبث منتجات على نطاق واسع عبر المعارض وبيوت الناس. حتى أصابها ما أصاب الكثير من أوجه حياتنا الإجتماعية والإقتصادية والثقافية من تحولات، فهجرها الصناع والفنيون المهرة، وأضمحل عطاؤها، وتقطعت السبل بينها وبين المجتمع، بعد أن تضاءل الدعم المادى والإحتضان المعنوى لها من الدولة، ووقفت اللوائح البالية عقبة في طريق أى مشروع يحاول الإستجابة لمتغيرات العصر.

إلى أن تبنى المركز القومى للفنون التشكيلية – فى أواخر عام ١٩٩٢ – هذا المشروع الشامل لتطوير تلك المراكز، مستهدفا – إضافة إلى ما أشرنا إليه – تطويرآليات الإنتاج الحرفى والإبداعى، بمفهوم التنمية الإقتصادية متضافرة مع التنمية الثقافية، سعيا إلى تأسيس قاعدة راسخة لتلك المراكز، تسمح لها بالتمويل الذاتى، وبإشراك العاملين فى عملية التطوير، بعد أن يستعيدو شعورهم بالإنتماء إلى المشروع.

وبدأت المسيرة الجديدة، بالعمل على تغيير اللوائح المكبلة للإنطلاق، وإستقطاب الفنيين المهرة لتشغيل الورش المعطلة، ووضع برنامج واقعي للتطوير، يقوم على تبنى صندوق التنمية الثقافية للمشروع، حتى يعاد بناء البنية الأساسية لعدد من المراكز الفنية، فى كل من وكالة الغورى وسبيل أم عباس وبيت الستارى والفسطاط وحلوان.

وإذا كنا لا نزال فى أول الطريق، ولم نحقق غير خطوة واحدة من طريق الألف ميل، فإنها فى الحقيقة أصعب الخطوات وأكثرها أهمية، لأنها الدليل على عودة الروح وإحياء الأمل، ولأنها مدفوعة بقوة الإيمان ووضوح الرؤية لدى هذا الفريق الصابر من العاملين فى صمت وفى ظروف بالغة الصعوبة.

وما دمنا نملك الأمل والإيمان والرؤية الصحيحة، فنحن بالغون هدفنا بإذن الله.

الأستاذ الدكتور/ أحمد نوار
رئيس المركز القومى للفنون التشكيلية
ورئيس قطاع المتاحف بالمجلس الأعلى للآثار

...ز الدين نجيب

...سالة ورؤيا جديدة للمراكز الحرفية

...تمثل المراكز الفنية أحد قطاعات العمل الثقافى.. ...يمة جدا.. الحديثة جدا.. بوزارة الثقافة – بمعنى أنها ... تقريبا مع إنشاء وزارة الثقافة عام ١٩٦٠ مع وزير ...افة آنذاك د. ثروت عكاشة، وبعد أن نمت وازدهرت ... عقد الستينات حتى أواسط السبعينات أخذت فى ...محلال حتى تجمدت تقريبا أواخر الثمانينيات، إلى ...اد الإهتمام مع نهاية ١٩٩٢ بعد إنشاء الإدارة العامة ...كز الحرف التقليدية والفنون التشكيلية وتوليت رئاستها ... أساس مشروع ثقافى متكامل تقدمت به إلى وزارة ...فة.

...تمد هذا المشروع فى خطوطه العريضة على قيام ...ة بتبنى مراكز الحرف والفنون التشكيلية فى ...ين متوازيين:

...الأول هو إحياء التراث الحضارى والنهوض بمستوى ...نيين والمبدعين فيه والعمل على تواصل الأجيال من ...التدريب المستمر داخل البيئات الأثرية التى تملكها ...كز بالفعل وترتبط من خلالها مع المجتمعات الشعبية ... الثقافة والعادات والتقاليد العريقة.

...الثانى هو التنمية الكمية لإنتاج هذه المراكز وفتح ... التسويق أماميا بما يسمح باسترداد عائد تسويقها ...ب فى عملية التنمية الذاتية للمراكز المنتجة ...عاملين فيها، وذلك بهدف الوصول تدريجيا إلى ...لالها عن الإعتماد الكلى على الدولة، وتعظيم عنصر ...تماء بين الحرفى أو الفنان المنتج وبين المشروع الذى ...يه، مما يغذيه مستقبلا بقوة دفع ذاتية.

...على مدى العامين والنصف الماضيين منذ بدأت ...ربة الجديدة أمكن ترسيخ وضع المراكز الفنية الستة ...خريطة النشاط الثقافى بالمركز القومى للفنون ...لية، وهى: مركز الفنون التقليدية بوكالة الغورى، ...ز الفن والحياة بسبيل أم عباس بحى الخليفة، ...كز الخزف بمدينة الفسطاط الإسلامية، ودار ...بات المرسمة بحلوان، وأخيرا مجمع الفنون بمدينة ...بور.. وإستكملت الجانب الأكبر من بيئتها الأساسية ...ثلة فى المبانى والتجهيزات والقوى العاملة ...مات.. الخ.. من خلال التعاون مع هيئة الآثار ...لال المبانى الأثرية، ومع صندوق التنمية الثقافية ... بعملية تسويق المنتجات، وبالرغم من المعوقات ...صل أحيانا إلى مستوى الأسوار العالية التى تحول دون الإنطلاق. فقد أمكن مضاعفة حجم الإنتاج الفنى بجميع المراكز أكثر من أربع مرات، ومضاعفة قيمة المبيعات إلى حوالى ٨ مرات، ولأول مرة حصل العاملون على مكافآت وحوافز من قيمة بيع منتجاتهم ومن خزانة الدولة ذاتها، بل أحس المسئولون بهم وقدروا قيمة عملهم. كما كان للحافز الأول والمعنوى دور هام فى هذه العملية، من خلال إقامة مسابقات سنوية بين المنتجين فى المراكز المختلفة، أسفرت عن بروز مواهب منفردة وأعمال إبداعية لامعة.

ولم تقتصر مجالات الإنتاج على نفس الأغراض السابقة بل أضيفت أغراض جديدة تتمشى مع الرسالة التى نسير فى إتجاهها، ففى مجال الفنون التقليدية بوكالة الغورى تم إستحداث فرغ لإنتاج الأثاث العربى إلى جانب إنتاج قطع النجارة الدقيقة التى كانت تتم من قبل، وكذلك إستحداث أقسام للأزياء التقليدية المستمدة من فن الخيامية، وللتفريغ الزخرفى على المعادن والأخشاب لعمل مشكاوات وأدوات للزينة للأغراض العملية اللازمة للمنزل أو المكتب.. هذا مع مضاعفة العمل فى المجالات السابقة: مثل التطعيم بالصدف والعاج والزجاج والمعشق بالجص، والنقش على النحاس وأعمال المصاغ الشعبى وأعمال الخرط والمشربية والخيامة...

وفى مركز الفن والحياة أضيف قسم متكامل للأزياء التراثية والحديثة معا، بالرسم والتطريز والطباعة والتصميم التقليدى والعصرى، وقسم للرسم على الزجاج، وقسم للتصميم الداخلى للمنزل.. وقس على ذلك فى بقية المراكز.. إضافة إلى الأقسام المعروفة تاريخيا فى كل منها.

هل كانت الاجراءات الحكومية المعتادة تسمح بالتنمية الذاتية بهذا الأسلوب؟

بالطبع كانت هناك ومازال عقبات هائلة تقف ضد هذا الاتجاه، خاصة فى مجال تسويق الإنتاج واسترداد قيمة بيعة لتطوير العمل وحفز العاملين. حيث كان الأمر يتطلب إستصدار تشريع بالموازنة العامة للدولة من مجلس الشعب يسمح بإسترداد نسبة من قيمة المبيعات وحتى الآن لم نتمكن من إستصدار هذا التشريع، وكان الخيار الثانى هو صندوق التنمية الثقافية الذى عرض إستعداده للتسويق وتسليم قيمة الأرباح الى العاملين، إلا أن الصندوق كان كل همه زيادة موارده، ولو على حساب هؤلاء العاملين، الأمر الذى لم يترك لهم فى النهاية غير الفتات.. من هنا لجأنا الى البديل الثانى..

وهو إنشاء جمعية أهلية باسم «أصالة» لرعاية الفنون التراثية والمعاصرة تقوم بتبنى ودعم الإنتاج والمنتجين

ويق أعمالهم لحسابهم. ومن الثغرات التى منا ة المهرجانات والملتقيات الثقافية، وقد أدت دورها رة رائعة.

قد كان من الضرورى فى البداية إستعارة الخبرات رة التي تركت العمل بذلك المراكز خلال سنوات مود، وأمكن ذلك إلى حد كبير عن طريق الحوافز ية والمعنوية التى أشرنا إليها، وقد تحقق الإلتحام داني بينهم وبين المكان الذى تربو فيه فترة صباهم ما أتوا إليه صبية صغارا.. بعد ذلك واصلنا السعى ول على دعم من الوزارة لإقامة مشروع متكامل ب خلال فترة زمنية فى حدود ستة أشهر، وحصلنا ل على دعم مالى فى الشهور الأخيرة من العام المنقضى.. وكان المستهدف تدريب عدد يتراوح ٤ – ٦٠ شخصا من أعمار مختلفة.. وكانت جة فى نهاية فترة التدريب هي مايقرب من ٨٠ رياً تتراوح أعمارهم بين ١٣ – ٢١ سنة من البنين ت جاءوا من أحياء القاهرة الشعبية المحيطة يحملون من الحس الحضارى بالحرف التقليدية وفنونها رثة. وإستعنا – فى سبيل تدريبهم – بالخبرات الفنية ة فعلا بالمراكز الفنية، إضافة إلى الإستعانة بشيوخ نعات الباقيين فى أحياء مصر القديمة مما أحدث بكية شديدة لدى الجميع، وخلق نوع من التسابق لخبرات القديمة والحديثة، كانت نتيجتها فى صالح الصاعد. واليوم نجد هؤلاء المتدربين متشبثين ، والعمل فى المراكز الفنية برغم قلة المكافآت التى لون عليها، لأنهم حققوا ذواتهم من خلال العمل متلكوا أسراره.

ن مدى التساؤل عن أن المبانى الأثرية تشكل النسبة لمشروع التطوير والتنمية بالمراكز الفنية؟ مكس.. فإن هذه المبانى الأثرية العريقة جزء من التكوين الثقافى والوجدانى للعاملين، إنها الوعاء رى لكافة القيم الجمالية التى تقوم عليها الحرف ية، وهى تشكل أيضا منطقة جذب لأبناء المناطق المحيطة ومعينا لا ينضب من الخبرات.. وهم فى بوكالة الغورى على سبيل المثال يواصلون نفس التى كانت تمارس فيها منذ مئات السنين، ولعل ار هذا التواجد للحرفيين فى وكالة الغورى على د ٣٥ عاما منذ بداية المشروع، من أهم أسباب هذا الأثر وبقائه فى حالة جيدة حتى الآن مقارنة من الآثار الإسلامية القريبة التى لا تستخدم فى ه الأغراض.. وفى ظنى أن وجود النشاط الحرفى بداخلها بمثابة الروح الإنسانية التى تمد المبانى الصماء بالحياة المتجددة.

ماهى إذن حقيقة الإتهامات المثارة بشأن إصرار المراكز الفنية بالمبانى الأثرية والدعوة إلى نقلها إلى مناطق نائية مثل مدينة ١٥ مايو أو مدينة ٦ أكتوبر بحجة الحفاظ على الآثار؟

إنها بلا شك إتهامات ظالمة لا أساس لها من الصحة، وقد شهدت وكالة الغورى – على سبيل المثال – أكبر عمليات للترميم والصيانة فى ظل وجود المراكز الفنية بها، ومن ثم تعد أقوى أثر إسلامى معمارى قائم من العصر المملوكى، والعبرة بالإستخدام الرشيد للمكان، ولا شك أننا نملك من الرشد والإحساس بالمسئولية تجاه المكان ما يؤهله للإستمرار كدرة مضيئة وسط الآثار الإسلامية.

أما محاولات نقل المراكز الفنية إلى الصحراء فهى جناية حقيقية على الحرف والفنون لا تعيش وتزعزع فى البيئة الطبيعية لها: ثقافيا وإجتماعيا وإقتصاديا.. إنها كشجرة عميقة الجذور فى التربة، فكيف إقتلاعها وإعادة زرعها فى بيئة لا نبت فيها ولا ماء، إلا ويكون مصيرها الحتمى هو الموت.

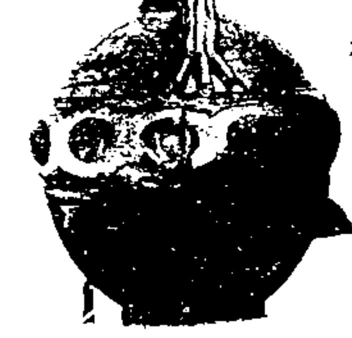
ومن عجب أن المشروع يأتى من جهة أجنبية، وهى هيئة كندية تهتم بالتنمية الثقافية فى البلدان النامية.. ولا أستطيع أن أنظر بحسن نية إلى دوافع مثل هذه المحاولات، فلها مستهدفاتها الخاصة بغير شك، لكن مايدعو للتساؤل هو: كيف يقبل الجانب الوطنى بمثل هذه الشروط المجحفة لمجرد الإغراء ببعض الأموال؟.. وهل تنقصنا كمصريين أصحاب حضارة آلاف السنين الخبرات للتخطيط الثقافى والفنى على أرض بلادنا حتى نستعين بمن يخطط لنا؟.. إن الإمتداد العمرانى خارج المدن المكتظة أمر مرغوب بلا شك، لكن ذلك لايكون على حساب البنية الثقافية التراثية ذات الجذور الإجتماعية العميقة.. وإذا كانت الذريعة هى الأموال التى تعرضها الهيئة الأجنبية فى مقابل شرطها الغريب بتهجير الحرف الفنية.. فهل حقا تعجز الإمكانيات الوطنية عن تحقيق التنمية المطلوبة بشروطنا؟.. لا أعتقد ذلك.. وفى النهاية لن يصح إلا الصحيح!

عز الدين نجيب

رئيس المراكز الحرفية

بوزارة الثقافة

رئيس جمعية أصالة





ـاروق حسنى

ـحديث عن الهوية المصرية فى الفنون ـالحرف التقليدية المحلية

إن ثقافة مجتمعنا تنبع من مخزون عميق يمتد آلاف ـنين، وترتبط بقيمه ومثالياته وعاداته وتقاليده، حتى ـبحت داله عليه، حافظة لكيانه من التفتت والذوبان، ـو ما نطلق عليه كلمة «طراز. لكن هذا التراث لن ـجاوز تأثيره وقيمته حدود المتحف التاريخى، إذا لم ـواصل مع الحياة المعاصرة ويتلاءم معها، يؤثر فيها ـأثر بها، ويكتسب سمات تربطه بالثقافات الحديثة.

ـهذه هى الرسالة الحقيقية للمراكز الفنية فى مجال ـحرف التقليدية والفنون التشكيلية، وقد إستطاعت أن ـقطع شوطا ملموسا نحو تحقيق تلك الرسالة، حيث ـلى العاملين فيها بوعى عميق بالعلاقة الدقيقة بين ما ـثقافى وما هو نفعى... بين ما هو تراثى وما هو ـصرى، بما يسمح بالتوازن بينهما، ويلبى إحتياج كل ـن النخبة المثقفة والقاعدة العريضة من المجتمع فى آن ـد.

وإذا كانت الظروف قد أدت إلى تأخير إنطلاقة هذه ـراكز الفنية سنوات طويلة، فإنها قد إستطاعت خلال ـمين، وبجهود العاملين فيها وإخلاصهم - أن تعوض ـدد تلك السنوات، وأن تكتسب مكانة رفيعة ليس فى ـصر فحسب، بل فى عدد من الدول الخارجية التى ـرضت فيها منتجاتها، وكللت بالفوز بالجوائز الكبرى فى ـهرجان الدولى للحرفيين بإسلام أباد.

ويسعدنى أن أهنىء كل القائمين على المراكز الفنية ـعاملين فيها على هذا الفوز، وعلى ما أحرزوه من تقدم ـلال تلك الفترة القصيرة، متمنيا لهم إستمرار النجاح ـتفوق، واعدا إياهم بكل العون الممكن من الوزارة، ـتبار أن رسالة المراكز الفنية الثقافية التقليدية ـتشكيلية هى إحدى الأهداف الرئيسية التى تقوم عليها ـستنا الثقافية.

ـما من شىء أكثر قدرة من الفنون على إختصار ـواجز الإجتماعية والإقتصادية والسياسية بين البشر. ـقد كانت إضافتنا الحضارية للعالم منذ فجر التاريخ عبر ـراحلنا التاريخية المتعاقبة هى الفنون التشكيلية، تلك التى تراوحت أدوارها بين الحياة والعبادة والتأمل والموت، وشكلت قوة روحية هائلة جعلت الإنسان ممتثلا لواقعه ومصيره، متفوقا عن طريقها على أسباب قهره ومتجاوزا أيضا أسباب حرمانه... ولا شك أيضا أن هذه الفنون كانت رسالة شعبنا الخالدة والمتجددة إلى العالم قديما وحاضرا ومستقبلا أيضا.

إذا كنا نطلق عليها اليوم فنونا تقليدية حيث إرتبطت منذ نشأتها بأنماط معينة كى تؤدى وظائف إجتماعية، دينية فى بيئة محددة، فإنها اليوم تثبت قدرتها على الإستمرار والتطور والتعايش مع المجتمع، وأيضا على التواصل مع العالم أجمع لأنها لغة إبداعية وحضارية تنم عن عبقرية الفنان المصرى المتواصلة حتى عصرنا الحديث.

وإذ نعيد إحياء المراكز الفنية التى تأسست منذ أوائل الستينات لترعى تلك الفنون ومنتجيها من الحرفيين والمبدعين الدارسين أو تعطيها كل ما تحتاجه من أوجه الدعم والتطور، فإننا نتطلع إلى ما هو أبعد من ذلك، إلى أن تتسع رقعة إنتشارها بين طبقات المجتمع وأيضا إلى خارج البلاد لتصبح سفيرا جيدا لماضينا وحاضرنا وقد إمتزج فى شخصية متميزة، كما نتطلع إلى أن تصبح هذه المراكز الفنية قواعد إنتاجية تسعى إلى الإعتماد على نفسها بما تحققه من رواج إقتصادى، وذلك حين تنجح فى أن تكون ضرورة يسعى إلى إشباعها المواطنون من محبى التراث والجمال بالجهود المخلصة للقائمين عليها بالمركز القومى للفنون التشكيلية.

فاروق حسنى

فنان تشكيلى ووزير الثقافة

مدينة الحرفيين مهددة بالتوقف.. هذا ما يؤكده أصحاب المحال التي مازالت تقاوم بينما فضل أصحاب ٣٠٠ محل أن يغلقوا أبوابها الى اجل غير مسمى. القصة ترجع الى ٥ سنوات مضت حين تم انشاء المدينة لتضم جميع الحرفيين بهدف ايجاد تجمع خدمي للقاهرة باكملها الا ان الحرفيين الذين لبوا دعوة الحكومة ذهبوا الى منطقة منعزلة تفتقر الى الرعاية والاهتمام. ومنذ أن تطأ الاقدام هذه المدينة والتي تقع على بعد ١٣ كيلو من مصر الجديدة تجد مجموعة من المحلات المغلقة و أخرى يقف أصحابها في انتظار اي زائر لعله يكون زبونا جديدا. وباستثناء محلات السمكرة و الدوكو فان بقية الحرفيين من الميكانيكية و النجارين و كل ما يلزم اصلاح السيارات يعيشون في حالة من الضيق لعدم مقدرتهم دفع أجور العمال أو تحمل تكاليف الأسرة وأعباء المعيشة.

بعد ٥ سنوات من انشاء مدينة الحرفيين

النفى الإجبارى يهدد الحرفيين المهرة


مئات الورش أغلقت ابوابها والمدينة يهددها الإهمال
[تصوير: أيمن إبراهيم]

تحقيق:
ياسر صبحي

● يقول محمد كهربائي سيارات ان المسافة بين مصر الجديدة و المدينة بعيدة جدا و لذلك فانه من الصعب جدا ان يحضر احد للقيام بالاصلاحات العادية و لا يأتي الا من كان عنده عملية كبيرة يقوم بها و بالتالي فهو قد خسر الركيزة الاساسية للعمل في الاصلاح السريع كضرب احد الفيوزات او الوصلة للبطارية ومن رباني مصر الجديدة القدامي يقول ان معظمهم لا يعلم أين تقع مدينة الحرفيين كما ان انتشرت بصورة كبيرة و مفزعة ظاهرة الحرفيين المتجولين في شوارع مصر الجديدة و هم يحصلون على معظم العمل و أغلبهم من الصنايعية الذين كانوا يعملون معنا ثم تركوا المدينة للبحث عن عمل يمكنهم من العيش.

و يشكو آخرون ايضا من وجود الورش في الزيتون القريبة من مصر الجديدة والعرب و جسر السويس بالاضافة الى مراكز الصيانة في معظم محطات البنزين و هو ما يمثل بالنسبة لهم وضعا غير عادل و يرى ماهر - متخصص عفشة سيارات - انه اما يتم اخلاء مصر الجديدة و الزيتون تماما من الورش او ان يسمحوا لهم بالرجوع الى ورشهم القديمة و التي اكتسبوا فيها السمعة و كان قد صدر قرار ١٢٦ لسنة ١٩٩٠ بنقل المهن الضارة بالصحة العامة و المهن الخطيرة من مناطق مصر الجديدة و النزهة ومدينة نصر و الزيتون وهو ما شمل نقل ٩٤٩ حرفيا الى مدينة الحرفيين منعا للازعاج في تلك المناطق والمحافظة على البيئة.

و يعد النجارون الاكثر تضررا من بين الحرفيين من عملية النقل و كما يقول محمد انه من الصعب ان يأتي زبون من اجل اعمال النجارة خاصة مع وجود الورش الصناعية في مدينة قباء بالاضافة الى منطقتي العرب و جسر السويس و قد وعدتهم الحكومة بالعمل الحسابي عن طريق اسناد بعض الاعمال في المدارس و المؤسسات الحكومية الا ان شيئا من هذا لم يحدث.

الاثنين الأسود

و بالنسبة للاقامة في المدينة بدأت تظهر بعض الخدمات بالجهود الذاتية و لكن يشكو جميع الحرفيين من نقص الرعاية الحكومية لهم و يحكي ماهر عن حريق حدث في المدينة في احدى السيارات واسرع العمال بالطفايات للقضاء عليه ويوضح ان المدينة لا يوجد بها جمعية تعاونية او مطافئ أو مدرسة أو فرن عيش و لا بد من شراء رغيف العيش من مسافة بعيدة كما ان جميع السلع والخدمات الموجودة حاليا في المدينة اغلى بكثير من الخارج و يضيف زكريا - حداد - ان المساكن في المدينة من اردأ انواع المساكن و لا تساوي ثمنها البالغ ٢١ الف جنيه للشقة و قد تم نقل الحرفيين الى هذه المدينة لتفادي الازعاج و تلوث البيئة ويتساءل هل الحكومة لا تمنعنا من توعية البشر فوجود الشقق فوق الورش يجعلنا نعيش في ظروف غير طبيعية ويضيف ان الايجار اصبح مرتفعا بصورة كبيرة و مع انخفاض حجم العمل اصبحنا غير قادرين على الدفع مما اضطرني لبيع محل مصر الجديدة و اخراج ابني من المدرسة الخاصة.

و يقول آخر اننا لا نعرف الحكومة الا عند تحصيل الضرائب و فرض الغرامات و الحجوزات فهي ملتزمة جدا في هذه الامور حيث يأتي الينا مندوب من الضرائب صباح كل يوم اثنين للتحصيل اما الرعاية و الاهتمام فهي لا تسعى اليه و يضيف ان الضرائب تتم جزافيا بصورة مبالغ فيها بشدة حيث يتم الحساب باعتبار اكثر من نشاطنا في مصر الجديدة و هو ما لا يقارن بالنشاط الفعلي هنا بالاضافة لزيادة المصاريف اللقاة على عاتقنا ويتساءل احد الحرفيين عن كيفية دفع الضرائب وهو لا يستطيع تغطية المصاريف الاساسية او دفع اجور العمال خاصة انه قد يمضي اسبوعا دون ان يأتي زبون واحد.

و يضيف انه لا بد من اعفاء الحرفيين لمدة خمس سنوات أسوة بما يحدث في سوق السيارات كما حصلنا على وعد من وزير الادارة المحلية بالاعفاء سنتين من ايجار المساكن الا ان موظفي الاسكان رفضوا لانه لا يوجد قرار رسمي بذلك.

و يقول طه الشناوي رئيس رابطة الحرفيين بالمدينة و رئيس جمعية أبناء شرق القاهرة ان الحكومة لا تسعى الى حل مشاكل الحرفيين و كان كل سعيهم هو ان تنتقل الى المدينة وانتهت مهمتهم بذلك و لا يهتمون بشيء بعد ذلك والمشكلة كما يراها ان الحكومة لا تزال تنظر الى الحرفيين و كانهم مجموعة انتهازية غير متعلمة تحصل على اموال بطريقة غير جيدة و بالتالي لا بد من التشديد عليهم و ملاحقتهم بالضرائب وطالما ان الحكومة تتخذ الحرفيين اعداء لهم فكيف توفر لهم الرعاية.

و يوضح ان هناك مطلب رئيسي يتمثل في توسيع الشارع و هو المدخل الوحيد للمدينة فقد كان مخططا ان يكون عرض الشارع ١٥ مترا و لكنهم قاموا ببناء سور مما جعل الشارع عرضه ٧ امتار فقط وهذا الشارع حيوي جدا كواجهة للمدينة ورغم الحصول على جميع الموافقات والتصاريح للسور للازالة ووضع الخطط له بالاضافة الى الوعود التي حصلنا عليها من المسئولين فان شيئا ما لم يتم حتى الآن وهو ما يصيبنا بالاحباط.

مستوى الزبون انخفض!

و مع ازدياد المشاكل قام الكثيرون ببيع محلاتهم بينما تبلغ المحلات المغلقة في المدينة حاليا ما يقرب من ٣٠٠ محل و يوضح ماهر ان كثيرا من الحرفيين المهرة كانت لهم سمعة كبيرة جدا في ورشهم بمصر الجديدة ومع قدومهم للمدينة اصبح يعيش اغلبهم في بطالة و هو ما يمثل تهديدا لفئة الحرفيين و خروج هذه العناصر المتميزة من المهنة.

و حول ارتفاع اسعار الحرفيين في وقت انخفاض المستوى المادي لكثير منهم يقول الشناوي ان مستوى الزبون هو الذي انخفض و ليس الحرفيين فكثير من اصحاب السيارات ليسوا على مستوى الاخلاق كما كان في الفترات الماضية وكثير منهم يأتي مهددا بالضرائب كما انه قد يأتي بزبون و يطلب سعرا بـ ١٠٠ جنيه و يبدأ بمساومة السعار موضحا مشاكل الادارة ومحطم بعض المحاربين في صنع سوريو بهذه التكلفة ثم بعد ذلك يبدأ الزبون في المساومة الجاهلة بالمهنة على مستوى الحرفيين. و يقول آخر ان ما يحدث في المدينة هو الاكثر فرقة في جذب الزبائن يسعى للتودد الى الواسطة في حرب الاسعار مما ادى الى انخفاض اجرة الصنعة في وقت ترتفع فيه جميع الاسعار.

و يطالب جميع الحرفيين بزيارة الرئيس مبارك للمدينة للتعرف على مشاكلها وحلها بعد خمس سنوات من انشائها خاصة بعد ما شكواهم هناك مع استمرار وعود المسئولين.

y. While, the noisy and environmentally polluted workshops, like gun powder and rse markets and its equipment were located out-of-town.

A special concern to the study of the inter-relation between the artisan's sidence and his place of work was given to reach wether they were adjacent on one vel or two, or they were separately located.

5- Case studies from Egyptian craft districts were analyzed in detail; from the istorical, urban and architectural view points. The selected cases were, Bab El-otouh, Khan El-Khalili, El-Kheyamia and Qassabat Radwan. Each one of them presented a special model of the functional prototype unit of workshops.

As a conclusion, this thesis resulted in the major potentials of success for the rafts from the Fatimid to the Mamluk era in Egypt, where the appropriateness of oth the architecture and urban tissue were the major factors that affected the ocation and creation of craft districts. The flexbility of such patterns to accomodate lifferent types of workshops and crafts also affected that location. Moreover, the elation between the society of the craftsmen with all other items of this society and tate also resulted in the success of such craft districts through the historical period.

ABSTRACT

In the Middle Ages, the Egyptian society of artisans and craftsmen had its own urban and architectural characteristics which, in conjunction with additional cultural, social, political and religious factors; had helped to enlarge and expand the clear strategic role of this society in improving trade in Egypt during that period - especially the Fatimid and the Mamluk periods (from 969 up to 1517 A.D.).

In the past few years, the Egyptian government has established new trial districts aimed to house craftsmen and artisans within existing cities. when these are compared with the historical ones, the new trials show a crucial problem that needs to be studied. These new crafts districts failed to achieve their objectives, in addition to the transportation difficulties to and from these new districts. All these reasons instigated the necessity to study and evaluate the historical crafts districts in Islamic cities in general and Cairo in particular.

To achieve the above mentioned goal, it was important to analyze the major characteristics of the historical workshop areas, including their urban and non-urban characteristics, in order to obtain the basic design principles and urban tissue components which had led to the success of the old districts. Consequently, the principles and components that have been reached could be applied to improve the recently established crafts districts.

The study dealt with the following main issues:

1- An overview to the affecting factors on architecture and urbanism and their impact on Historic Islamic towns -specially the central zone of these towns, such as (Fez, Tunis, Tetwan, Tanga, Algeria, Damascus and Cairo- where a certain unity between the architecture and urban fabric of these towns could be observed as a natural outcome of the prevailing unity of cultural and social habits of that period.

2- The second step is related to the organizational structure of the old historical workshop districts, where the craftsman belonged to a guild specialyzing in his field of work, and a community organization on his daily life and residence. These guilds were highly controlled by the state through the application of the Islamic Divine Law.

3- The study of the visual image of the Islamic cities was very strong and characteristic. The methodology of the analysis of the visual image was based on that used by "Kevin Lynch" with some modifications regarding the special symbolic value of the Islamic cities. These are: the relation between districts with the major spine of the city "Qassaba", the homogenity of each district culturally and socially, the addition of an outer barrier to the path pavement, the relation between districts and gateways, and also the relation with the focal points. (spaces, buildings, activities,.....etc.).

4- The research study concentrated on the types of crafts in Egypt, and the nature and reasons of its creation, such as; (food and beverage markets, metal work, textiles, glass, wood,....etc.). In some cases, there was a certain interference or neighboring between some workshops and crafts, within the entire districts of the